

أَحْسَنُ تَفْسِيرٍ لِلْقُرْآنِ بِفَيْضٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

لَمْ يَغْزِ النَّبِيُّ صَاحِدًا

مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

الْجُزْءُ السَّادِسُ وَالتَّسْعُونَ بَعْدَ الْمِائَةِ

□

المرجع الديني للمسلمين
الشيخ صالح آل صالح
أسواق الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي جعل النبوة والتنزيل يعضد أحدهما الآخر، وينصر كل منهما الآخر، وهل يختص هذا التعضيد بالحياة الدنيا أم يشمل الآخرة، الجواب هو الثاني، وهذا التعضيد والنصر خاص وعام أما الخاص فهو التعاضد بين معجزات النبي والوحي الذي أوحاه الله له، وأما العام فهو كل نبي يعضد وينصر كل تنزيل.

ومنه ما ورد بخصوص عيسى عليه السلام في التنزيل ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(١)، فإن قلت إنما بشر عيسى عليه السلام بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة وأنه ليس من نبي بينهما.

والجواب تدل البشارة بالرسول بالدلالة الإلزامية على التصديق بالكتاب الذي يأتي به من عند الله، إذ لا بد لكل رسول من وحي وشريعة، وقال أبو ذر: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء. قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، قال: قلت: يا رسول الله كم المرسلون منهم.

قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر وبقيتهم أنبياء، قلت: أكان آدم نبياً. قال: نعم كلمه الله سبحانه وخلقه بيده. يا أبا ذر أربعة من الأنبياء عرب: هود وصالح وشعيب ونبيك. قلت: يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب.

قال : مائة وأربع كتب ، منها على آدم عشر صحف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وعلى أخنوخ ، وهو إدريس ثلاثين صحيفة ، وهو أول من خط بالقلم ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان^(١).

لقد تحمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الأذى الشديد بسبب جهاده في تعزيد نزول القرآن والكتب السماوية للدفاع في سوح المعارك لتثبيت سنن التوحيد في الأرض ، فلم يطق الذين كفروا تلاوة النبي وأصحابه آيات القرآن خمس مرات في اليوم في على نحو الوجوب العيني على كل واحد منهم ذكراً أو أنثى ، وأداءهم الصلاة فرادى وجماعة بخشوع وخضوع خاصة وأن آيات القرآن تتضمن الأمر والنهي ، والحلال والحرام ، وتفصح الذين كفروا والمنافقين ، وتدعو إلى الإيمان وترك عبادة الأوثان والأخلاق والعادات المذمومة قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢).

ومن الإعجاز في المقام عدم إحصاء موضع الصلاة في المساجد ، فيجوز أداؤها في البيوت والأراضي الفسيحة ونحوها ، وحال الحضر والسفر ، ويلزم قراءة القرآن في كل ركعة من الصلاة لسمع الناس القرآن وهو رحمة بهم جميعاً لأنه مناسب للتدبر بالتنزيل ، ولكن الكفار لا يفقهون قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾^(٣).

ولقد هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة إضراراً وطلباً لغايات حميدة منها :

(١) الكشف والبيان ٨٠/١٤.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) سورة الأنعام ٦٥.

الأولى : سلامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القتل.
الثانية : إستدامة تنزيل آيات وسور القرآن.

الثالثة : الدعوة العلنية إلى الله ، قال تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾^(١).

وكان المؤرخون يطلقون لفظ الغزو ويقصدون المعنى اللغوي وهو القصد والطلب حتى أيام محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هجرية صاحب كتاب تاريخ الرسل والملوك ومنهم من يسميه تاريخ الأمم والملوك. وقد أطلق الواقدي^(٢) في مغازيه على كثير من السرايا اسم الغزوة^(٣). أي أن عدداً من المؤرخين المتقدمين لم يفرقوا بين الغزوة والسرية بلحاظ المعنى اللغوي للفظ الغزوة .

واتخذ المتأخرون منهاج التفصيل والتمييز بين الغزوة وهي التي شارك فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين السرية التي بعثها ولم يحضرها ، فجرى هذا التفصيل بأثر رجعي في المفهوم والمعنى وعلى نحو الإستصحاب القهقري ، وربما دب إلى رواة الأحاديث ، وورود اسم الغزوة فيها .

فيقال أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأبياء ثم غزوة ذات العشيرة ، والمختار أنه ليس من غزوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنهم من أطلق على السرية لفظ البعث فيقول (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) أي أرسل .

(١) سورة العنكبوت ٥٦.

(٢) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، (١٣٠-٢٠٧) هجرية (٧٤٧-٨٢٣م). وتوفى في بغداد

(٣) مرويات الإمام الزهري في المغازي ٤٢/١.

وعن الإمام علي عليه السلام قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية من أهله فقال: اللهم لك عليّ إن رددتهم سالمين أن أشكرك حقّ شكرك. فما لبثوا أن جاؤوا سالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم { الحمد لله } على سابغ نعم الله فقلت يا رسول الله ألم تقل إن ردهم الله أن أشكره حق شكره فقال أو لم أفعل .

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر وابن مردويه والبيهقي من طريق سعد بن إسحق بن كعب بن عجرة عن أبيه عن جده قال « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً من الأنصار وقال: إن سلمهم الله وأغنهم فإن لله عليّ في ذلك شكراً .

فلم يلبثوا أن غنموا وسلموا فقال بعض أصحابه: سمعناك تقول إن سلمهم الله وأغنهم فإن لله عليّ في ذلك شكراً قال: قد فعلت، قلت: اللهم شكراً، ولك الفضل المن فضلاً^(١).

وحتى معنى القصد والطلب للفظ غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يتم فكثير منها لوجوه:

الأول: الإستطلاع والرصد، وهو على جهات:

الأولى: طلب الإستطلاع بذاته من غير مداهمة عدو.

الثانية: الإحتراز والحيلة، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ

فَاتَّقُوا ثُبَاتٍ أَوْ تَقَرُّوا جَمِيعًا﴾^(٢).

الثالثة: قبل بدء المعركة .

الرابعة: بعد انتهاء المعركة، فمثلاً بعد أن غادر جيش المشركين موضع

معركة أحد بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي عليه السلام لإستطلاع أمرهم إذ قال له (أخرج في أثر القوم فانظر ماذا يصنعون

(١) الدر المنثور ٣/١.

(٢) سورة النساء ٧١.

و ماذا يريدون ؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل و امتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة .

وإن ركبوا الخيل و ساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة و الذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم قال علي رحمة الله عليه : فخرجت في أثرهم أنظر ماذا يصنعون فلما جنبوا الخيل و امتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة أقبلت أصبح ما أستطيع أن أكتم ما أمرني به رسول الله صلى الله عليه و سلم لما بي من الفرح إذ رأيتهم انصرفوا عن المدينة^(١).

الخامسة : تنمية ملكة حفظ الثغور عند المسلمين ، و طرد الركون إلى الغفلة لتكون سرايا الإستطلاع من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

الثاني : تعظيم شعائر الله ، لتكون سرايا الإستطلاع التي بعثها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣).

و هل كان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم يخرج في سرايا الإستطلاع الجواب نعم ، ويمكن تسميتها كتائب الإستطلاع.

الثالث : بعث الخوف في قلوب المشركين.

الرابع : قد يقصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في كتائبهم ديار قوم أو لا يقصدون إنما يجولون حول المدينة وفي نواحيها والقرى المحيطة بها ثم يعودون.

(١) ابن اسحاق / السيرة النبوية ١١٨/١.

(٢) سورة آل عمران ٢٠٠.

(٣) سورة آل عمران ١٥١.

الحمد لله حمداً كثيراً متصلاً ذا بهاء يشع على القلوب فيملأها سكينة ،
ويضئ للعقول صراط الهدى ، وينفذ إلى الجوارح فيبعثها على العمل
والسعي لكسب الصالحات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى من اتبع
هداه ونهجه إلى يوم الدين .

الحمد لله الذي جعل الحياة الدنيا (دار التقوى) ففي كل زمان هناك أمة
تحشى الله ، وتأتي بالفرائض ، ويحسب أفرادها ذكوراً وأنثاً ما نهى الله عز
وجل عنه .

وهل وجود هذه الأمة باختيارها أم أنه بفضل ولطف من عند الله عز
وجل ، الجواب هو الثاني ، إذ يقرب الله عز وجل الناس إلى مسالك الهدى
والإيمان ، وفي التنزيل ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّا اللَّهُ كَانِ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١) .

وهل يتغشى الفعل (كان) في الآية أعلاه كل أفراد الزمان الطولية ، أم
أن المراد من الفعل الماضي في المقام أوان الفعل والزمن اللاحق ، المختار هو
الأول ، وأن الله سبحانه يعلم بما يفعل المسلمون والناس جميعاً قبل أن
يخلق آدم .

والتقوى واقية من حب الدنيا وزينتها ، وفيها حفظ للمال والنفس ،
وعدم التفريط بهما في طلبها وإرادة الرئاسة والجاه وأسباب الفتنة
والخصومة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾^(٢) .

الحمد لله الذي جعل الأنبياء أئمة الناس في سنن التقوى وحسن الخلق
ليقتدي بهم الناس ، لذا أظهر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصبر
والتسامح مع الذين كفروا طيلة مدة البعثة النبوية الشريفة ، مع أن حال

(١) سورة الأحزاب ٢ .

(٢) سورة يونس ٣٦ .

المسلمين متباين بين أولها وآخرها ، وهذا التباين وما ترشح عنه من سنن الصبر واللطف من الإعجاز في نبوة محمد ، فقد بدأ الإسلام غريباً ، ودخل فيه أفراد من أهل البيت وأهل مكة أفراداً وعلى نحو التابع والتوالي ، فتحملوا شتى صنوف الأذى ، لتتغير الحال بعد الهجرة ، فيصير المسلمون في أزدیاد مطرد من جهات :

الأولى : العدد والكثرة ، قال تعالى ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(١).

الثانية : الشأن والرفعة .

الثالثة : المنعة والسلاح .

الرابعة : بناء المساجد المتعددة ، وفي التنزيل ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٢) ، ومن معاني هذه الآية منع الرياء وانتفاؤه بخصوص التطوع والبذل في بناء المساجد.

الخامسة : انبساط سلطان الإسلام على المدينة.

الحمد لله الذي جعل كلمات الحمد قليلة وسهلة على اللسان لتكون صراطاً مستقيماً ، وضياء ومقدمة للصراط ، وهو من مصاديق الصراط والهدى في قوله تعالى ﴿قُلْ كُلُّ مُرْتَبِعٍ فَرَّيْتُمْ أَنْ فَتَنَ لَكُمْ مِنْ أَصْحَابِ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾^(٣).

الحمد لله الذي وسع كرسيه السموات والأرض ليصل إليه حمد الناس من غير واسطة أو تأخير ، أو إرجاء ، فمن معاني قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ

(١) سورة النصر ١-٢ .

(٢) سورة الجن ١٨ .

(٣) سورة طه ١٣٥ .

أَيُّنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ^(١)، أن الله يسمع نداء الحمد والثناء الذي يتلفظ به العبد ، وهل قول الإنسان في نفسه (الحمد لله) من الحمد لله أم لابد من التلفظ به.

المختار هو الأول ، ولكن ثواب التلفظ بالحمد أكبر وأعظم. ويدل حديث (أم سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه أن يقول : اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . قلت : يا رسول الله وإن القلوب لتقلب ، قال : نعم . ما من خلق الله من بشر من بني آدم إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله ، فإن شاء الله أقامه ، وإن شاء أزاغه .

فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

قلت : يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي . قال : بلى . قولني اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي ، وأذهب غيظ قلبي ، وأجرني من مضلات الفتن ما أحيتني^(٢).

ويدل الحديث على أن الله عز وجل يعلم ما في قلوب العباد ، ويستجيب للدعاء بخصوص القلب مثلما يستجيب بخصوص أتيان العمل الصالح وإجتنب العمل السيئ ، وهو سبحانه يعطي الكثير بالقليل . الحمد لله عن قلبي وفؤادي وعقلي وعن بصري وسمعي ، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه ، وبديع قدرته وإحاطته بكل شئ علماً .

الحمد لله الذي جعل نعمة على كل عبد لا تحصى ، فلا يختص هذا القانون بأهل طاعته بل يتغشى كل إنسان وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣) .

(١) سورة الحديد ٤.

(٢) الدر المنثور ٢/٢٨٦.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

الحمد لله الذي جعل من معاني خلافة الإنسان في الأرض إنتشار الناس عند الصباح في ميادين العمل والأسواق والطرق ، فحال الإنسان في النهار متباين مع حاله في الليل وحتى المرأة التي لا تغادر بيتها فان حالها وعملها في النهار مختلف عن وظائفها في الليل .

وجعل الله عز وجل الفطرة وأصل الخلقة مناسبة لهذا الاختلاف إلا بالنسبة للذكر والدعاء والعبادة والصلاة فانها منبسطة على الليل والنهار ، وفي التنزيل ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(١).

الحمد لله الذي حصر الربوبية المطلقة به وحده ، وأمر المسلمين أن يشكروه على هذه النعمة وما تدل عليه من بديع الصنع وعظيم القدرة . الحمد لله الذي تغشت رحمته كل شئ ، ونفذت إلى كل شئ وأبى الله إلا أن تسبق رحمته غضبه وهو الحليم الذي يمهّل العباد مجتمعين ومتفرقين ، فقد تقوم طائفة بمعصية ، فيمهّلها الله ، وأيهما أكثر معصية الفرد أم الجماعة والطائفة .

والمختار هو الأول ، وقد يشترك الفرد مع الجماعة في العمل وينفصل عنها في الفعل الشخصي ، فصحيح أن الجماعة والطائفة قد تتعدى وتظلم الغير ، إلا أن الإنسان بمفرده عرضة للإمتحان في كل ساعة من أيام حياته ، فيقربه الله من منازل الطاعة ، ويبعث النفرة في نفسه من المعصية ، لذا ترى بعضهم يقوم بالمعصية وهو كاره لها ، لتكون هذه الكراهية طريقاً للتوبة ومقدمة لها ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢).

(١) سورة غافر ٦١.

(٢) سورة النساء ١٧.

الحمد لله الذي جعل كل جيل وطبقة من الناس يشكرونه على نعمة العافية ، وهذا الشكر من مصاديق قوله تعالى ﴿وَنَفَخْ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾^(١) إذ يدرك الإنسان الحاجة إلى نعمة العافية ، وهذا الإدراك بالإتعاظ من الذات ، وما يصيب الإنسان نفسه من الأوجاع وما يصرفه الله عز وجل منها وبما يصيب غيره من الأمراض والبلاء .

و(عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من رأى مبتلى ، فقال : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً لم يصبه ذلك البلاء)^(٢).

وهل تلاوة القرآن والتدبر في علومه يدفع الداء ويرفعه ، الجواب نعم لبيان قانون وهو ترشح المنافع البدنية والمالية عن القرآن والإشتغال بعلومه ، وهو من الأجر على التلاوة (وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرؤه وينتفع به وهو عليه شاق فله أجران .

وعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر.

وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم بعقلها وعن عثمان بن عفان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه فإن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع آخرين)^(٣).

(١) سورة السجدة ٩.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ٦١/١٢.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ٦٢/١ .

الحمد لله الذي جعل آدم يشكره وهو في الجنة وقبل أن يهبط إلى الأرض ، ليكون الحمد منهاج الناس في الحياة الدنيا (عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لما نفخ الله في آدم الروح فبلغ الروح رأسه عطس فقال { الحمد لله رب العالمين }^(١) فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله)^(٢).

ولو سئل آدم بماذا جئت من الجنة إلى الأرض يكون الجواب : جئت بالحمد لله .

فالحمد لله شعار الملائكة والجامع المشترك بين الملائكة وبين المؤمنين من أهل الأرض ، ومن حب الله للناس أن هداهم إلى الحمد ، وخفف عنهم في كيفية اتيانه بكفاية جريانه على اللسان ، وفي التنزيل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(٣).

الحمد لله الذي مدّ في عمري ونجاني من البلاء ومتعني بالصحة والعافية ، وجعلني ابلغ في التأليف هذا الجزء المبارك ، مع التوفيق بأن أتولى بمفردتي التأليف والمراجعة والتصحيح لكتبي في كل من :

الأول : التفسير .

الثاني : الفقه .

الثالث : الأصول .

الرابع : علم الكلام .

الحمد لله الذي جعلني أسألكم الدعاء لي لأصدار أجزاء كثيرة أخرى من سفر التفسير ليكون مناراً يقتدي به العلماء ، فبعد أن كانت أجزاء التفسير ومنذ ألف وأربعمائة سنة لا تصل إلى خمسة وعشرين جزءاً أو نحوها أطل على الأرض هذا السفر بعلوم مستحدثة وقوانين مستنبطة

(١) سورة الفاتحة ٢.

(٢) الدر المنثور ٧١/١.

(٣) سورة الأعراف ٤٣.

ومسائل مقتبسة من ذات آيات القرآن ، والتي جاء تفسير بعضها بثلاثة أو أربعة أجزاء ، وصارت منهجية هذا السفر في الغالب أن الجزء منه يختص بتفسير آية واحدة ، وفي التنزيل ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

وهل علوم تفسير القرآن من الذكرى والتذكير ورشحات قوله تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) أم أنها خاصة بالبيان والتبيين ، المختار هو الأول .

وقد أنعم الله عز وجل علينا بصدور هذا الجزء من تفسيرنا للقرآن ، وهو السادس والتسعون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) في إنجاز علمي لم ير التاريخ مثله ، ولم يحسب ويظن كثير من العلماء بلوغ التفسير هذا الكم والكيف والتأويل في علم التفسير خاصة ونحن لا نزال في سورة آل عمران مع أن كل مسلم ومسلمة يدركان قانوناً وهو أن علوم القرآن من اللامتناهي ، وأن تفسير آياته من اللامحدود واللامنقطع ، وتكون كل آية على وجوه :

الأول : كل آية خزينة للعلوم .

الثاني : كل آية مرآة للواقع .

الثالث : ترشح العلوم عن الآية في ذاتها وتلاوتها .

الرابع : حاجة الناس للآية القرآنية في الواقع اليومي ، فلما جعل الله عز وجل الحياة الدنيا دار إمتحان وابتلاء فانه سبحانه أنار طريق الهدى لهم ، فجعل الوحي والتنزيل وقيام الأنبياء بالبشارة والإنذار مادة السلامة بالإمتحان ، وحرزاً ونجاة من الإبتلاء ليفوز الذي يتبع النبوة والتنزيل بمحو

(١) سورة الإسراء ٨٥.

(٢) سورة الذاريات ٥٥.

الإبتلاء ، وتثبيت توالي النعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يُحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(١) .

ومما يتضمنه هذا الجزء بيان معنى ﴿غَزَى﴾ في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لِلِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى﴾^(٢).

وقد صدر الجزء الرابع والثلاثون بعد المائة من هذا التفسير خاصاً بتفسير الآية أعلاه ، ثم صدرت عشرون جزء من هذا التفسير بخصوص قانون (لم يغز النبي ص أحدا) وهي :

- الأول : الجزء الرابع والستون بعد المائة .
- الثاني : الجزء الخامس والستون بعد المائة .
- الثالث : الجزء السادس والستون بعد المائة .
- الرابع : الجزء الثامن والستون بعد المائة .
- الخامس : الجزء التاسع والستون بعد المائة .
- السادس : الجزء السبعون بعد المائة .
- السابع : الجزء الواحد والسبعون بعد المائة .
- الثامن : الجزء الثاني والسبعون بعد المائة .
- التاسع : الجزء الرابع والسبعون بعد المائة .
- العاشر : الجزء السادس والسبعون بعد المائة .
- الحادي عشر : الجزء السابع والسبعون بعد المائة .
- الثاني عشر : الجزء الثامن والسبعون بعد المائة .
- الثالث عشر : الجزء الثمانون بعد المائة .
- الرابع عشر : الجزء الواحد والثمانون بعد المائة .
- الخامس عشر : الجزء الثاني والثمانون بعد المائة .

(١) سورة الرعد ٣٩ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٦ .

السادس عشر: الجزء الثالث والثمانون بعد المائة
 السابع عشر: الجزء السابع والثمانون بعد المائة .
 الثامن عشر: الجزء الثالث والتسعون بعد المائة .
 التاسع عشر: الجزء الرابع والتسعون بعد المائة .
 العشرون: الجزء السادس والتسعون بعد المائة ، وهو الذي بين أيديكم.
 وقد اشكل بعضهم كيف تقول بقانون (لم يغز النبي ص أحداً) والقرآن
 يقول ﴿أَوْكَانُوا غُزًى﴾^(١) وكتب التفسير تشير إلى أن المقصود المنافقون أو
 إخوان المؤمنين بالنسب .

فتضمن هذا الجزء البيان والتفسير بأن المراد من لفظ ﴿غُزًى﴾ هم
 كفار قريش لإصرارهم على غزو المدينة في معركة أحد ، ومعركة الخندق ،
 وكذا ما قبل الإسلام ، وأن الله عز وجل نهى المسلمين عن التشبه بالذين
 كفروا أو محاكاتهم في عاداتهم ، وغزو بعضهم لبعض .
 لقد إبتدأ مع بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجر الأمن
 والسلام ، فلا غرابة أن يكون اسم الإسلام من معاني السلام .
 وقد تقدم قانون (الإسلام مرآة السلام)^(٢) ، وقانون (الإسلام والسلام
 توأمان)^(٣) .

لقد بني الإسلام على الرفق والتيسير والتودد إلى الناس في الدعوة إلى
 الله ، مع النهي عن التنفير والعنف ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
 وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٤) .

حرف في الثاني عشر من شهر ربيع الأول
 ٢٠١٩/١٢/٩

(١) سورة آل عمران ١٥٦.

(٢) أنظر الجزء السادس والسبعين بعد المائة من هذا السفر ص ١٤٣.

(٣) أنظر الجزء السابع والسبعين بعد المائة من هذا السفر ص ٢٨٨.

(٤) سورة النحل ١٢٥.

من هم (قانون كانوا غزى)

غزى : جمع غاز مثل صائم وصوم ، وحامد وحمد ، والغزي جمع منقوص لا يتغير لفظها في رفع ونصب وجر ، وهو جمع نادر في المعتل ، ويمكن أن يستدل عليه بقول القسم بن معن المسعودي الكوفي^(١) وهو يصف طريقاً :

علي كالحنيفة السحق يدعو به الصدى ... له قلب عفى الحياض أجون^(٢) .
والحنيفة الثوب المتخذ من كتان غليظ ، والسحق الضعيف والبالى ، وشبه الطريق به لدروسه ، وقلة الذين يسيرون والصدى ذكر اليوم ، والصدى قيل طائر يخرج من رأس المقتول إذا بلي على زعم الجاهلية فابطله النبي صلى الله عليه وآله وسلم استئصالاً للثأر والسعي في طلبه إذ أن البوم تسكن في المواضع الخالية من الناس .

والمراد من القلب في بيت الشعر أعلاه : القلب أي البئر المطوية أو غير المطوية سميت قليلاً لقلب تربتها ، والعفي جمع عاف وهو الدارس .
والحياض الأجون التي تغير طعم ولون مائها من طول مكوثه فيها .

وهذا الشطر جزء من الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣)

(١) هو أبو عبد الله القاسم بن معن بن عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي توفي سنة ١٧٥ هجرية - ٧٩١ م وكان حسن الخلق سخياً ويسمى (شعبي زمانه) ويعود نسبه إلى عبد الله بن مسعود ، ودرس عند أبي حنيفة النعمان ، اشتغل بالفقه والحديث والشعر والنحو وكان عالماً بالأخبار والأنساب من تلامذته ابن الأعرابي والفراء ، والليث من المظفر .

(٢) شرح أدب الكاتب ٢٨/١ .

(٣) سورة آل عمران ١٥٦ .

ولأننا أسسنا قانون (لم يغز النبي ص أحدا) وقانون (التضاد بين القرآن والإرهاب) .

فقد توجه لنا سؤال من رئيس جامعة ذي قار أثناء زيارته لمكتبنا ، وهو من علماء اللغة العربية في العراق ماذا تقول بالآية ﴿كَانُوا غُزًى﴾ وهو سؤال وجيه خاصة وأن كتب التفسير تشير إلى تعلق الآية بكتائب المسلمين إذ أن معنى الذين كفروا في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ في كتب التفسير على وجوه :

- الأول : يعني المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه عن السدي ^(١) .
 - الثاني : وقالوا لإخوانهم في النفاق ^(٢) .
 - الثالث : (لإخوانهم) في النسب أي ممن خرجوا مع النبي في كتائبه ، وفي السرايا التي بعثها .
 - الرابع : (لو كانوا عندنا) أي عندنا بالمدينة المنورة ^(٣) .
 - الخامس : (أو كانوا غزى) قول المنافق عبد الله بن أبي المنافق ^(٤) .
 - السادس : هم المنافقون قاله الحسن البصري ^(٥) .
- ونأتي بتفسير جديد مغاير لما ذهب إليه العلماء والمفسرون إلى الآن ، وهو أن المراد بالغزى هم الذين كفروا ، إذ أن الناس أيام نزول القرآن على أقسام :

- الأول : المسلمون ، وهم على شعبتين :
- الأولى : المؤمنون .

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٢٣٦/٣ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٥٤/٣ .

(٣) أنظر السمرقندي / بحر العلوم ٣٣١/١ .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٢٢٧/٣ .

(٥) تفسير ابن أبي زمنين ١٠٣/١ .

الثانية : المسلمون الذين لم يرتقوا إلى مرتبة الإيمان ، وفي التنزيل ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

الثاني : المنافقون .

الثالث : أهل الكتاب .

الرابع : الكفار .

وابتدأت الآية بالخطاب للذين آمنوا ، والمراد الوجه الأول أعلاه بشعبته والوجه الثاني ، ليكون من منافع الآية الكريمة وجوه :

الأول : تثبيت إيمان المؤمنين المسلمين ، وعصمتهم من الرياء والأخلاق المذمومة ، قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

الثاني : زيادة إيمان المؤمنين ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٣).

الثالث : إنذار المنافقين والمنافقات ، ودعوتهم للتوبة وعدم التشبه بالكفار .

الرابع : إخبار الناس جميعاً عن قانون وهو لزوم تنزه المسلمين عن محاكاة الكفار في التحريض على القعود ، فليس عند الكفار ما يدافعون عنه .

(١) سورة الحجرات ١٤.

(٢) سورة يونس ٣٧.

(٣) سورة الأنفال ٢.

إنما هم يقاتلون على وعن الباطل ، أما المؤمنون فأنهم يرفعون لواء التوحيد ، ويدبون عنه ، وفي التنزيل ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

وعلى الوجه الذي نفسر به الآية خلافاً لما تتابع علماء التفسير ، نقول بأن المراد بلفظ (غزى) هم المشركون وليس المسلمين ، ويكون تقدير الآية على وجوه :

الأول : يا أيها المؤمنون لا تكونوا كالذين كفروا الذين قالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى ...

الثاني : يا أيها المؤمنات لا تكونن كالذين كفروا الذين قالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى.

الثالث : يا أيها المؤمنات لا تكونن كاللأئي كفرن ، وقلن لإخوانهن وازواجهن إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا .

ولم يكن الخروج إلى القتال في تلك الأزمنة على نحو الوجوب العيني أو العمل الوظيفي لأفراد الجيش أو الجيش الإحتياطي إنما كان بالندب والتحريض والترغيب .

وقد يصاحب الترهيب في طرف الذين كفروا .

الرابع : يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٢).

(١) سورة الأنعام ١٦١.

(٢) سورة الأنعام ٧٢

لقد هاجر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وابتدأ عمله الشخصي والاجتماعي والرسالي ببناء مسجده في وسطها الذي تم تعيينه بمعجزة حسية بواسطة بروك ناقتة في ذلك الموضع ثم قيامها وعودتها إلى ذات الموضع ، ودعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل المدينة إلى الإسلام حالما وصلها ، فصار عدد المسلمين يزداد كل يوم ، ثم قامت الكتائب والسرايا تخرج من المدينة ، وفيه مسائل :

الأولى : الدعوة الظاهرة للإيمان ، فايئما يحل أوان الصلاة يقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يصلون سواء عند أبواب القرى أو في الجادة العامة صفوفاً مترابطة كالصرح في لوح هندسي دقيق ، تتجلى فيه معاني الخشوع والخضوع لله عز وجل ، ليكون النهي الوارد في آية البحث من مصاديق فضل الله عز وجل ومصاديق قوله تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ^(١) وعن (أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم { قل بفضل الله وبرحمته } قال : فضل الله القرآن ، ورحمته أن جعلهم من أهله) ^(٢).

الثانية : بعث الطمأنينة في قلوب الناس بخصوص السلامة في أنفسهم وأموالهم ، والتسليم بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ينشرون الأمن ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣).

الثالثة : زجر الذين كفروا عن التعدي على المدينة .

(١) سورة يونس ٥٨ .

(٢) الدر المنثور ٥/٢٤٣ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

الرابعة : ترغيب عامة المسلمين بالهجرة إلى المدينة .

لقد وردت الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ بصيغة النهي في باب التشبيه ، وعرف التشبيه بأنه الحاق أمر بأمر في وصف وبأداة تشبيه وقصد .

ولكن التشبيه أعم ، وقد وردت آية البحث بذكر التشبيه والنهي عن موضوعه ، وللتشبيه أركان وهي :

الأول : المشبه ، وهو الأمر الحاضر وعلة ذكر الموضوع .

الثاني : المشبه به الذي يستحضر ذكره للإستشهاد ، وتقريب موضوع المشبه ، ومن خصائصه أن تكون الصفة وجهة التشبيه واضحة فيه عند القائل والسامع ويسميان طرفي التشبيه .

الثالث : أداء التشبيه وهي التي تربط بين الطرفين أعلاه وهي على شعب :

الأولى : ما يكون حرفاً مثل الكاف ، كأن ، كما في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾^(١) إذ وردت الكاف للتشبيه .

الثانية : ما يكون فعلاً مثل يشبه ، يماثل .

الثالثة : ما يكون اسماً مثل (شبه ، نظير ، مثل) ، قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بُيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

الرابع : وجه الشبه والصفة المشتركة بين الطرفين أعلاه ، ويأتي التشبيه لأغراض ومقاصد منها :

الأول : تقريب المعنى والمفهوم .

(١) سورة القارعة ٤.

(٢) سورة العنكبوت ٤١.

الثاني : بيان المفهوم سواء بمعناه اللغوي الذي هو مصدر فهم ، ومعرفة الشئ بالقلب والعلم به .

ومعناه في الإصطلاح هو ما يفهم من اللفظ في غير محل النطق .

الثالث : بيان إمكان المشبه مثل المشبه به ، إذ يعلم السامع أن المشبه قد تنجز ، ويحمل المشبه ذات الصفة التي يتصف بها المشبه به ، وقد يكون التشبيه من المغالطة ، كما في ادعاء المشركين بأن معاملة الربا صحيحة مثل البيع ، وفي التنزيل ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(١).

الرابع : بيان حال المشبه .

الخامس : الإشارة إلى كم ومقدار المشبه .

السادس : تقرير الحال أو التحذير منه ، قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَقُصَّ غَزَلُهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يُلْوِكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٢).

السابع : إتخاذ التشبيه آلة ووسيلة للنهي والزجر عن فعل بذكر المشبه به ، سواء كان ذاتاً أو جماعة أو موضوعاً أو حكماً أو أثراً .

وورد التشبيه في آية البحث ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من الوجه الأول والسادس أعلاه ، إذ أنه يتضمن زجر المسلمين والمسلمات عن محاكاة ومماثلة الذين كفروا .

(١) سورة البقرة ٢٧٥.

(٢) سورة النحل ٩٢.

اصطلاح جديد (وقف معنى)

من إعجاز الآية ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تضمنها للنهي المركب والمتعدد

من جهات :

الأولى : النهي عن التشبه بالذين كفروا في القول والفعل وتقدير الآية

على هذه الجهة الوقوف عند ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾^(١)

ويمكن تسمية اصطلاح : الوقف للمعنى في مقابل الوقف اللازم والوقف الجائز في علم القراءة ، فالمراد من الوقف بالمعنى الذي نؤسسه في هذا الجزء هو إختيار وقف خاص بعلوم التفسير للبيان والتوضيح ، وقد يلتقي هذا الوقف مع الوقف اللازم أو الجائز .

لإرادة لزوم حذر المسلمين من الشرك الخفي (عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الشرك الخفي ، أن يقوم الرجل يصلي لمكان رجل .

وأخرج أحمد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي ، عن شداد بن أوس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أخاف على أمتي الشرك والشهوة الخفية .

قلت : أتشرك أمتك من بعدك؟ قال : نعم ، أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ، ولكن يراؤون الناس بأعمالهم . قلت : يا رسول الله ، فالشهوة الخفية؟ .

قال : يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه ويواقع شهوته)^(٢) .

وهل يعني هذا بطلان صلاة المرائي الذي يريد في صلاته أن يراه غيره ، الجواب لا ، فالمختار أن الصلاة صحيحة ، وفيها اسقاط الفرض خاصة وأن الرياء يكون غالباً في حال وجوده عرضاً مصاحباً لقصد القربة .

(١) سورة آل عمران ١٥٦

(٢) الدر المنثور ٤٣٢/٦ .

نعم هو محرم وينقص الثواب في أداء العبادة مع الرياء لذات الإخلاص ، وهو شرط في العبادة ، وهناك قول مشهور عند علماء الإسلام ببطلان الصلاة مع الرياء خاصة في الرياء المحض الذي لا تؤدي العبادة معه إلا لمراعاة الناس واستدل عليه بالكتاب وأحاديث من السنة ، قال تعالى ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالً يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا...﴾^(١) ولا تدل الآية على بطلان صلاتهم .

وعن محمد بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (عن محمود بن لبيد؛ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر".

قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: "الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء")^(٢).

ومن مصاديق وقف المعنى الذي نؤسسه هنا وبلحاظ آية البحث وجوه:
الوجه الأول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣).

ونقف عند النداء^(٤) لما فيه من الدلالة على إكرام الله عز وجل للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والذين آمنوا برسائله من المهاجرين والأنصار والتابعين وتابعي التابعين .

(١) سورة النساء ١٤٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٠٧/٥.

(٣) سورة آل عمران ١٥٦.

(٤) انظر الأجزاء ١٣١-١٣٢-١٣٤-١٣٦-١٣٧-١٣٨-١٣٩ التي تختص بتفسير ومعاني

نداء الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وهذا النداء شهادة من عند الله عز وجل للمسلمين بالإيمان ووجود أمة مؤمنة تشهد بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وتكون عبادة أفرادها لله حجة على الذين كفروا ، وهذه الحجة مقدمة لدعوة المسلمين لما جاء في هذه الآية من وجوب عدم محاكاة الذين كفروا ، لقد أحب الله عز وجل الذين آمنوا بانبياؤه ، فانزل النداء المتكرر لهم من السماء وينحل هذا النداء على وجوه :

الأول : يا أيها الذي آمن .

الثاني : يا أيها التي آمنت .

الثالث : يا أيها اللذان آمنّا .

الرابع : يا أيها اللتان آمتتا .

الخامس : يا أيها الذين آمنوا .

السادس : يا أيها اللائي آمنّا .

ومن أسرار قانون وقوف المعنى في المقام أن في النداء بصيغة الإيمان

وجوه :

الأول : إكرام الله للذين آمنوا ، (عن جابر بن عبد الله قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال : يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، ألا إن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألا هل بلغت؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : فليبلغ الشاهد الغائب) ^(١) .

الثاني : دعوة المسلمين للتآخي والمحبة ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

إِخْوَةٌ ﴾ ^(٢) .

الثالث : زجر المنافقين عن الإقامة على النفاق .

(١) الدر المنثور ٩/٢٦٨

(٢) سورة الحجرات ١٠.

الرابع : ترغيب الناس بدخول الإسلام لما في نداء الإيمان من الإكرام النازل من فوق سبع سماوات .

الخامس : بعث الشوق في قلوب المسلمين لقراءة القرآن لما فيه من النداء والإكرام والتشريف لهم .

السادس : بيان قانون وهو حب الله عز وجل للمؤمنين ، وهناك مسألة وهي هل الذين آمنوا على مرتبة واحدة ، وعرض واحد ، والجواب أنهم على مراتب ، ويشمل هذا النداء كلاً من :

الأول : المتقون والمتقيات .

الثاني : المؤمنون والمؤمنات .

الثالث : المسلمون والمسلمات .

الرابع : المنافقون والمنافقات .

فمن إعجاز القرآن أن يأتي النداء والخطاب فيه عاماً ، وقد يرد بصيغة العموم الإستغراقي للناس كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١).

الوجه الثاني : من وجوه وقف المعنى ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إذ يتضمن هذا الشطر نهياً متوجهاً من الله عز وجل إلى جميع المسلمين بأن لا يصيروا كالذين كفروا ، وتحتمل النسبة بين ﴿لا تكونوا﴾ وبين عدم التشبه بالكفار وجوهاً :

الأول : التساوي بين ﴿لَا تَكُونُوا﴾ و﴿تتشبهوا﴾ .

الثاني : العموم والخصوص المطلق ، وهو على شعبتين :

الأولى : لا تكونوا أعم من لا تشبهوا .

الثانية : لا تشبهوا أعم من لا ﴿لَا تَكُونُوا﴾ .

الثالث : نسبة العموم والخصوص من وجه ، فهناك مادة للإلتقاء وأخرى للإفتراق بينهما .

والمختار هو الشعبة الأولى من الوجه الثاني أعلاه ، وهو من إعجاز القرآن بأن يأتي بالمعنى الأعم والأوفى لما فيه نجاة المسلمين ، واجتناب محاكاة المشركين من قريش .

لقد كان المسلمون في مكة والمهاجرون حديثي عهد بالصلة مع المشركين وإتيان مثل ما كانوا يفعلون ، ويرون المشركين كيف يتقربون زلفى إلى الأصنام ، فأراد الله عز وجل إصلاح المسلمين ومنعهم من محاكاة الذين كفروا والتشبه بهم من وجوه :

الأول : منع المسلمين من تقديس الأصنام ، وهي على شعب :
الأولى : الأصنام التي في البيت الحرام وعددها ثلاثمائة وستون صنماً .
الثانية : الأصنام الخاصة بكل قبيلة ، ويقتنيها أهل القبائل عندهم مع وجود صنم خاص لكل قبيلة في المسجد الحرام .

الثالثة : الأصنام التي في الطرق العامة بين القرى والأمصار للتعوذ من الهوام وأفات الطريق .

الرابعة : الأصنام التي في البيوت إذ كان كثير من أهل الجاهلية يحرصون على أقتناء الأصنام في بيوتهم سواء على نحو دائم باتخاذ صنم من الحجر أو على نحو مؤقت بصناعة صنم من الطين أو التمر .

(عن جبير بن مطعم قال : لما كان يوم الفتح نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يترك في بيته صنماً إلا كسره وأحرقه ، وثمنه حرام قال جبير : وقد كنت أرى قبل ذلك الأصنام يطاف بها بمكة ، فيشتريها أهل البدو ، فيخرجون بها إلى بيوتهم ، وما من رجل من قريش إلا وفي بيته صنم ، إذا دخل يمسحه ، وإذا خرج يمسحه ؛ تبركا به) (١) .

الخامسة : الصنم الشخصي الذي يصاحب الفرد في ليله ونهاره ، وكان بعضهم يصنع صنماً من تمر يتزلف إليه ، ويلوذ به ، ويصاحبه في حله وترحاله ، وقد يسجد له ، ولكنه إذا جاع أكل منه ومن الصحابة من كان يقر بأن حاله في الجاهلية كان هكذا ويشكر الله على الإيمان .

(عن جابر بن سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طويل الصمت، وكان أصحابه يتناشدون الاشعار في المسجد وأشياء من أمور الجاهلية فيضحكون ويتبسم.)^(١).

لقد جاء الإسلام بثورة في عالم الأخلاق بما يؤدي إلى تهذيبها، وإصلاح المجتمعات ، والتتزه عن قسوة القلوب وعن البخل والغيبة والنميمة ونحوها من الأخلاق المذمومة .

وفي خطاب إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى ﴿وَأَنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

وجاء القرآن بالنهاي عن التشبه بالكفار ، ومنه آية البحث ، وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣) واجتهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمنع عنه .

وعن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من تشبه بقوم فهو منهم)^(٤).

وعن (عبد الله بن عمرو قال رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي ثوبين معصفرين فقال يا عبد الله بن عمرو ان هذه ثياب الكفار فلا تلبسها)^(٥).

(١) سبل الهدى والرشاد ٤٨٣/٩.

(٢) سورة ن ٤.

(٣) سورة التوبة ٣٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٣٧٣/١.

لقد كان الإسلام في بداياته ، والمسلمون حديثي عهد بأيام الجاهلية فنهاهم الله عز وجل عن محاكاة الكفار ، وقد ورد مثلاً كراهة أن يصلي المسلم وأمامه نار لما فيه من التشبه بالمجوس ، وقال الحنفية والشافعية بجواز الصلاة إلى نار توقد أو سراج أو شمعة ، وهو المختار ،

وقال بالكراهة بعض فقهاء الحنابلة والمالكية ومنهم في هذا الزمان قال بالمعنى الأعم ، وشمل بالكراهية المدفأة الكهربائية ، ولا أصل له وقد كان المجوس يعبدون ذات الجمر وليس النار الموقدة .

وقال ابن القيم (كره الصلاة إلى ما قد عبد من دون الله تعالى وأحب لمن صلى إلى عود أو عمود أو شجرة أو نحو ذلك أن يجعله على أحد جانبيه ولا يصمد إليه صمداً قطعاً لذريعة التشبه بالسجود إلى غير الله تعالى)^(١) .

ولم تثبت هذه الكراهة .

وقيل أن النار تلهي المصلي ، ولكنها ذريعة مستبعدة ليس لها أثر في الحكم الشرعي .

والمختار أن المراد من الكراهة في بدايات دخول الإسلام خاصة بالنسبة للذين كانوا يعبدون النار ، ولا كراهة في هذا الزمان خاصة وأن الكراهة حكم شرعي لا يثبت إلا بدليل شرعي .

والأصل في الأمور الجواز ، وينتقل عنه عند ورود الدليل إلى أحد الأحكام التكليفية (الشرعية) الأخرى ، وهي :

الأول : الواجب : وهو ما أمر به الله عز وجل على نحو الفرض واللزام والحث ، ويؤثم من تركه ، مثل أداء الصلاة اليومية الخمس والصيام والزكاة ، قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٢) أو أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل الختان للرجال .

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٢٤٥/٣ .

(٢) إعلام الموقعين ١٤٣/٣ .

(٣) سورة النور ٥٦ .

وهناك مسألتان :

الأولى : ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب كالوضوء على القول باستحبابه النفسي كمقدمة للصلاة ولاحضار الماء للطهارة ، ولو بثمان ليس فيه حرج وكقطع المسافة لأداء مناسك الحج عند وجوبه ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١) .

الثانية : وجوب ترك ما لا يتم ترك الحرام إلا بتركه والإمتناع عنه كما في مقدمات الزنا والربا .

الثاني : المندوب ، وهو ما أمر به الله ليس على وجه الإلزام ، ويثاب فاعله ولا يؤثم تاركه مثل النوافل اليومية ومنه كتابة الدين والقرض ، كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾^{(٢)(٣)} أو أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنص الصريح والصحيح سنداً مثل السواك .

وعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء)^(٤) .

والمندوبات كثيرة ومتعددة وثوابها عظيم (عن جبريل عن الله عز وجل قال : يقول الله عز وجل : من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وإنني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرود ، وما تقرب إلي عبدي المؤمن ، بمثل أداء ما افترضت عليه .

(١) سورة آل عمران ٩٧ .

(٢) سورة البقرة ٢٨٢ .

(٣) أنظر الجزء الثالث والثلاثين الذي اختص بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٤) الدر المنثور ١/٢٢٠ .

وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ، كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً ، إن دعاني أجبتة وإن سألني أعطيته ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه .

وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة ، فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ، ولو أسقمته لأفسده ذلك .

وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا القسم ، ولو أصححته لأفسده ذلك ، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير^(١) .
ويسمى المندوب بأسماء أخرى متعددة وهي :

أولاً : السنة .

ثانياً : المسنون .

ثالثاً : المستحب .

رابعاً : النفل .

خامساً : القرية .

سابعاً : المرغوب فيه .

سابعاً : الإحسان .

وهل يجب اتمام المستحب عند الشروع فيه ، فيه قولان :

أولاً : يجب اتمام المستحب ، وبه قال الحنفية واستدلوا بقوله تعالى ﴿وَلَا

تُبْطَلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾^(٢) وبما ورد (وعن طلحة بن عبيد الله قال : جاء رجل إلى

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل نجد نائر الرأس ،

يسمع دوي صوته ولا يفهم ما يقول ،

حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام ،

(١) الدر المنثور ٧١/٩ .

(٢) سورة محمد ٣٣ .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمس صلوات في اليوم والليلة قال : هل عليّ غيرهنّ؟

قال : لا إلا أن تتطوع قال صلى الله عليه وآله وسلم : وصيام شهر رمضان قال : هل عليّ غيره؟
قال : لا،

إلا أن تتطوع وذكر له عليه الصلاة والسلام الزكاة،
قال : هل عليّ غيرها؟
قال : لا،

إلا أن تتطوع فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه،

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفلح إن صدق^(١) .

ثانياً : لا يجب إتمام الفعل المستحب والمندوب لأن الأصل في النفل أنه شرع على نحو التطوع ، إذ يثاب فاعله ، ولا يعاقب تاركه ، ليدل من باب الأوليّة على جواز القطع .

والمختار هو الوجه الثاني أعلاه إلا ما دل الدليل على وجوب اتمامه .

فمثلاً يجوز للصائم تطوعاً الإفطار في النهار (عن أمّ هانئ)
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَدَعَا بِشَرَابٍ فَشَرِبَ ثُمَّ نَاولَهَا فَشَرِبَتْ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا إِنِّي كُنْتُ صَائِمَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الصَّائِمُ الْمُتَطَوُّعُ أَمِيرٌ نَفْسِهِ إِنْ شَاءَ صَامَ وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ^(٢) . ومن المندوب ما يتعلق بالصيام .

(١) الكشف والبيان للثعلبي ١٧/٢ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ١٧/٢ .

الصيام المندوب^(١)

ووجوهه واقسامه كثيرة للأخبار ولما ورد في فضله ومنافعه الدنيوية والاخرية ، ومنه ما لا يختص بسبب مخصوص ولا زمان معين كصوم ايام من السنة عدا ما استثني كالعيدين وبإضافة ايام التشريق لمن كان بمنى ، ومنه ما يختص بسبب مخصوص كالصوم لصلاة الاستغفار .

ومنه ما يختص بوقت معين كصوم ايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر ، او صوم ثلاثة ايام من كل شهر وهو ان تصوم أول خميس من الشهر ، وأول اربعاء في العشرة الثانية ، وآخر خميس منه ، ومنه صوم شهر رجب .

(مسألة ١٦٤) لا يجب اتمام صوم التطوع بالشروع فيه ، بل يجوز الافطار الى الغروب وان كان يكره بعد الزوال .

يستحب للصائم تطوعاً قطع الصوم اذا دعاه اخوه المؤمن الى الطعام .
ويحتمل المستحب وجهين :

أولاً : أفراد على مرتبة واحدة في الأداء كما وزماناً وثوابه .

ثانياً : المستحب على مراتب متفاوتة ، فمتى ما يكون استحباباً مؤكداً كأداء النوافل اليومية .

الثالث : المكروه : وهو القول والفعل الذي يثاب تاركه عن امتثال ، ولا يعاقب إن أتى به .

والمكروه على مراتب من حيث الشدة والضعف .

ويمكن تقسيم المكروه بلحاظ ذات الفعل العبادي مثلاً المكروهات في الصلاة (وهي أمور :

الأول : الإلتفات بالوجه .

الثاني : العبث باللحية او غيرها من أعضاء البدن او اللباس .

(١) أنظر رسالتنا العملية (الحجة) الجزء الثاني / الصفحة ١٨١

الثالث : القرآن بين السورتين على الاقوى، أي من غير ان يفصل بينهما بسكتة ونحوها.

الرابع : عقص الرجل شعره وهو جمعه وجعله في وسط الرأس وشده او ليه وادخال اطرافه في اصوله ونحوه من الهيئات المشابهة.

الخامس : كثرة حركة اليد وعدم استقرارها.

السادس : البصاق.

السابع : نقض الاصابع أي فرقعتها وتصويتها.

الثامن : التمطي.

التاسع : التثاؤب الاختياري.

العاشر : الأنين.

الحادي عشر : التأوه.

الثاني عشر : مدافعة البول والغائط.

الثالث عشر : مدافعة النوم.

الرابع عشر : الامتخاط.

الخامس عشر : التصاق القدمين في حال القيام.

السادس عشر : وضع اليد على الخاصرة.

السابع عشر : تشبيك الاصابع.

الثامن عشر : تغميض البصر.

التاسع عشر : لبس الخف او الجورب الضيق الذي يضغط على القدم والساق.

العشرون : حديث النفس، وعن الصادق عليه السلام: "ولا يشغل نفسه بأمر الدنيا".

الحادي والعشرون : قص الظفر والأخذ من الشعر عمداً.

الثاني والعشرون : النظر الى المصحف وقراءته الا ان يكون عن ضرورة او راجح شرعي فلا كراهة، ويلحق به النظر في الدعاء المكتوب.

الثالث والعشرون : النظر الى الكتاب ونقش الخاتم.
الرابع والعشرون : التورك أي وضع اليد على الورك في حال القيام.
الخامس والعشرون : الانصات في اثناء الصلاة لقائل كما لو كان يستمع لحديث جماعة يمرون عليه.

السادس والعشرون : فعل ما ينافي الخشوع المطلوب في الصلاة^(١).
 والمكروهات في الصيام (وهي أمور عديدة ومنها ما هو مكروه ولكن كراهته تشتد في حال الصوم ومنها ما تترشح عليه الكراهة بالعرض حال الصوم وهي :

الأول : مباشرة النساء لمساً وتقبيلاً وملاعبة خصوصاً لمن تتحرك شهوته بشرط عدم قصد الإنزال، أو لو لم يقصده ولكن كان من عادته ذلك.
الثاني : الاكتحال بما فيه صبر أو مسك ونحوهما بما يصل طعمه أو رائحته الى الحلق، وكذا ذر وصب مثله في العين.

الثالث : دخول الحمام اذا خشي منه الضعف.
الرابع : اخراج الدم المضعف بحجامة او غيرها، اما اذا علم انه يؤدي الى الإغماء المبطل للصوم فهو حرام.
الخامس : السعوط مع عدم العلم بوصوله الى الحلق، والا فلا يجوز على الاقوى.

السادس : شم الرياحين وكل نبت طيب الريح خصوصاً النرجس.

السابع : بل الثوب على الجسد.

الثامن : جلوس المرأة في الماء.

التاسع : قلع الضرس بل مطلق ادماء الفم.

العاشر : السواك بالعود الرطب.

الحادي عشر : المضمضة عبثاً.

الثاني عشر : انشاد الشعر بغير الحق.

(١) أنظر رسالتنا العملية (الحجة) ٢ / ٤٠.

الثالث عشر : الجدال والمراء واذى الخادم والمسارة الى الحلف. (١).
ومن المكروهات في الحج مكروهات الإحرام :

الأول : الاحرام بالثياب واللباس الذي يوجب الشهرة.

الثاني : الاحرام بالثياب السود.

الثالث : الإحرام بالثياب الوسخة وان كانت طاهرة، ولو عرض الوسخ في الاثناء فالأولى تأخير غسله الى ان يحل كما تقدم.

الرابع : النوم على الفراش الاصفر او المخدة الصفراء، والاحوط اجتناب كل فراش يدل على الترف والزينة.

الخامس : يكره احرام الرجل بالثياب المعلمة والتي تشمل على لونين او أكثر.

السادس : يكره للمحرم دخول الحمام وتديلجك الجسد فيه أشد كراهة.

السابع : يكره للمحرم تلبية من يناديه، فلا يجيب من يناديه بلفظ (ليك) ، والأولى كما في الصحيح ان يقول في اجابته يا سعد.

الثامن : استعمال الرياحين التي لا تحتسب من الطيب عرفاً.

التاسع : مصارعة الغير، والمزاح بالجوارح لاحتمال سقوط الشعر او الجرح والادماء ، وللأولوية في النهي عن الجدال.

العاشر : رواية الشعر وان كان شعر حقا.

الحادي عشر : يكره للمحرم ان يجلس جلسة الاحتباء وهي ضم الساقين الى البطن بالثوب او اليدين لأنها مجلبة للنوم والكسل وقد تفضي الى نقض الطهارة، كما انها منافية للتعظيم وحال الاحرام. (٢).

ومن مكروهات الطواف كراهية الكلام بغير الذكر والقرآن والدعاء ويكره في هذا الزمان الوقوف قبالة الحجر الأسود للإشارة إليه لما فيه من التسبب بالزحام الشديد والعسر ، ومنه مسألة :

(١) أنظر رسالتنا العملية الحجة ٢/ .

(٢) أنظر رسالتنا الموسومة / مناسك الحج ص ١١٨.

(يكره الطواف بعد احرام الحج حتى يعود من منى، واما الطواف قبل احرام الحج وبعد تقصير العمرة والتحلل منها فلا يكره بل يستحب الاتيان به وبصلاته) ^(١).

وروى سعيد بن جبير (أن رجلاً سأل ابن عباس عن الكبائر أسبع هي؟ قال : إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبعة ، لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار ، فكانه يذكر أن كبائر الإثم ما لم يستغفر منه) ^(٢).

الرابع : وهل ما نهى عنه الله عز وجل ورسوله على وجوه الإلزام بالترك ، ويثاب تاركة امتثالاً ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ^(٣) ويترتب العقاب على اتيانه وفعله ويسمى الحرام باسماء أخرى :

الأول : المحذور .

الثاني : الممنوع .

الثالث : المعصية .

الرابع : الإثم .

الخامس : الذنب .

وفي التنزيل ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ^(٤).

ورد لفظ ﴿لَا تَكُونُوا﴾ في القرآن في الآيات التالية :

الأولى : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ^(١).

(١) أنظر رسالتنا الموسومة / مناسك الحج ص ١٧٩.

(٢) النكت والعيون ١٩٠/٤.

(٣) سورة آل عمران ١٣٢.

(٤) سورة النساء ١١٢.

الثانية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢).

الثالثة : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(٣).

الرابعة : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾^(٤).

الخامسة : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَفُضَّ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يُلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٥).

السادسة : ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾^(٦).

السابعة : ﴿مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٧).

الثامنة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾^(٨).

(١) سورة آل عمران ١٠٥.

(٢) سورة آل عمران ١٥٦.

(٣) سورة الأنفال ٢١.

(٤) سورة الأنفال ٤٧.

(٥) سورة النحل ٩٢.

(٦) سورة الشعراء ١٨١.

(٧) سورة الروم ٣١.

(٨) سورة الأحزاب ٦٩.

التاسعة : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

لقد ورد لفظ ﴿لَا تَكُونُوا﴾ تسع مرات في القرآن ، وكلها خطاب للمسلمين ، وهو من إعجاز القرآن في كون إختصاص المسلمين بهذا اللفظ وما فيه من وجوه :

الأول : الإكرام .

الثاني : التأديب .

الثالث : التعليم وفي التنزيل ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^{(٢)(٣)} .

الرابع : التحذير والإنذار .

الخامس : الهداية والرشاد ، قال تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤) .

السادس : الأجر والثواب .

ووفق نظم القرآن ابتدأت هذه الآيات بسورة آل عمران ، إذ ورد فيها هذا اللفظ مرتين ، وهل من موضوعية ودلالة لهذا الإبتداء، الجواب نعم ، إذ أراد الله عز وجل للمسلمين والمسلمات التنزه عن محاكاة الذين كفروا كمقدمة لبناء صرح دولة الإيمان ، وتثبيت أحكام الشريعة ، ومنها أداء الفرائض اليومية ، فقد ورد النهي عن محاكاة الكفار قبل نزول سورة المائدة.

(١) سورة الحشر ١٩.

(٢) سورة البقرة ٢٨٢.

(٣) أنظر الجزء الثالث والثلاثون من هذا السفر الذي صدر خاصاً بتفسير هذه الآية الكريمة .

(٤) سورة يوسف ١٠٨.

وتفسر آيات القرآن بعضها لبعض من غير أن يلزم الدور بينها لتعدد جهات التفسير والتأويل والمقاصد الحميدة .

وتضمنت الآية (١٠٥) من سورة آل عمران نهى المسلمين عن التفرق والاختلاف والتباعد والطوائف والمذاهب لبيان النهي عن الخصومة والقتال بين المسلمين من باب الأولوية القطعية .

وابتدأت آية البحث بنداء الإيمان لبيان مسألتين :

الأولى : التشابه بين الاسم والمسمى ، فلما أثنى الله عز وجل على المسلمين بوصفهم بصفة الإيمان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١) فلا بد أن يكون عملهم بذات الصبغة والسنخية .

الثانية : دلالة التباين في الاسم بين المسلمين والذين كفروا على التباين والاختلاف في القول والعمل ، ليكون من خصائص آية البحث تنزه المسلمين عن الغزو بذات الكيفية التي يقوم بها الكفار .

لقد قام الذين كفروا بالإعداد لمعركة أحد لمدة سنة كاملة ، وانفقوا الأموال الطائلة فيه ، وطافوا بالقبائل وبذلوا لرؤسائها والشعراء ، ثم زحفوا من مكة إلى المدينة مسافة (٤٥٠) كم لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، فلم يعودوا إلا بالخيبة والخسران ، وهلاك طائفة منهم ، كما في قوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(٢).

و(القلب: تحويل الشيء عن وجهه.

قلبه يقلبه قلبا، وأقلبه، الأخيرة عن اللحياني وهي ضعيفة، وقد انقلب. وقلب الشيء، وقلبه: حوله ظهرا لبطن.

(١) سورة آل عمران ١٥٦.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

وقلب الأمور: بحثها ونظر في عواقبها، وفي التنزيل: (وقلبوا لك الأمور)^(١) كله مثل بما تقدم.

وتقلب في الأمور، وفي البلاد: تصرف فيها كيف شاء. وفي التنزيل: (فلا يغررك تقلبهم في البلاد)^(٢) معناه: فلا يغررك سلامتهم في تصرفهم فيها، فإن عاقبة امرهم الهلاك.

ورجل قلب: يتقلب كيف يشاء.

وتقلب ظهرا لبطن، وجنباً لجنب: تحول، وقوله تعالى: (تتقلب فيه القلوب والأبصار)^(٣).

قال الزجاج: ترجف وتحف من الجزع والخوف، قال: ومعناه: أن من كان قلبه مؤمناً بالبعث والقامة ازداد بصيرة ورأى ما وعد به، ومن كان قلبه على غير ذلك رأى ما يوقن معه أمر القيامة والبعث، فعلم ذلك بقلبه، وشاهده يبصره، فذلك تقلب القلوب والأبصار.

وقلب الخبز ونحوه يقلبه قلباً: إذا نضج ظاهره فحواله لينضج باطنه، واقلبها: لغة، عن اللحياني، وهي ضعيفة.

واقلبت الخبزة: حان لها أن تقلب.

واقلب العنب: ييس ظاهره فحول.

والقلب: انقلاب في الشفة العليا واسترخاء.

شفة قلباء.

ورجل اقلب.

وفي المثل: "اقلبي قلاب".

يضرب للرجل يقلب لسانه فيضعه حيث شاء.

وقلب المعلم الصبيان يقلبهم: أرسلهم ورجعهم إلى منازلهم.

(١) سورة التوبة ٤٨.

(٢) سورة غافر ٤.

(٣) سورة النور ٣٧.

واقلبهم: لغة ضعيفة، عن اللحياني، على أنه قد قال: إن كلام العرب في كل ذلك: إنما هو قلبته، بغير ألف.

والانقلاب إلى الله عز وجل: المصير إليه والتحول.

وقد قلبه الله إليه، هذا كلام العرب.

وحكى اللحياني: أقلبه، قال: وقال أبو ثروان: اقلبكم الله مقلب أوليائه، ومقلب أوليائه، فقالها بالألف.

وقلبه عن وجهه: صرفه.

وحكى اللحياني: أقلبه، قال: وهي مرغوب عنها.

وقلب الثوب والحديث وكل شيء: حوله. وحكى اللحياني فيهما: أقلبه.

وقد قدمت أن المختار عنده في جميع ذلك: قلبت.

وما بالعليل قلبة: أي ما به شيء، لا يستعمل إلا في النفي.

وما بالبعير قلبة: أي ليس به داء يقلب له، فينظر إليه، قال حميد الأرقط

يصف فرسا:

ولم يقلب أرضها البيطار... ولا لحبلية بها حبار

وما بالمريض قلبة: أي علة يقلب منها.

والقلب: الفؤاد، مذكر، صرح بذلك اللحياني، والجمع: أقلب،

وقلوب، الأولى عن اللحياني، وقوله تعالى: (نزل به الروح الأمين على

قلبك) ^(١).

قال الزجاج: معناه: نزل به جبريل عليه السلام عليك فوعاه قلبك

وثبت، فلا تنساه أبدا.

وقلبه يقلبه، ويقلبه قلبا، الضم عن اللحياني وحده: أصاب قلبه.

وقلب قلبا: شكا قلبه) ^(٢).

(١) سورة الشعراء ١٩٣.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٥٩/٣.

والمراد من الانقلاب في الآية أعلاه من سورة آل عمران هو إنصراف ورجوع جيش المشركين في معركة أحد إلى مكة كسبب للنزول وأن كانت الآية أعم في موضوعها ودلالاتها .

ومعنى الفاء في ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾^(١) على جهات :

الأولى : حرف العطف ، بالحاق ما بعدها على ما قبلها .

الثانية : التعقيب وأن الثاني يأتي بعد الأول من غير مهلة .

ويحتمل مجئ انقلاب الذين كفروا إلى مكة خائبين بعد وجوه :

الأول : قطع طرف من الذين كفروا ، وهلاك جماعة منهم .

الثاني : نزول الكبت والذل والحزن بجيش الذين كفروا لأنهم لم يحققوا أياً من الغايات التي غزوا بسببها المدينة ، ومنها إرادتهم قتل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : إرادة أسباب أخرى لم تذكرها الآية أعلاه ، ولكن الآيات

القرآنية الأخرى الخاصة بمعركة أحد ، ومنها نزول الملائكة ، قال تعالى ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾^(٣) .

الرابع : وجود حذف في الآية ، وهو على قسمين :

أولاً : موضوعية الفاء في ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾^(٤) بهذا الحذف .

ثانياً : تقدير حذف حتى مع وجود الفاء ، وتقديره على وجوه منها :

(١) سورة آل عمران ١٢٧.

(٢) أنظر الجزء الحادي والثمانين من هذا السفر المبارك وفيه قانون الفاء في ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ والبحاث الملحقه به ص ٣٠٨-٣٧٥ .

(٣) سورة آل عمران ١٢٤.

(٤) سورة آل عمران ١٢٧.

الأول : فينقلبوا بفضل الله خائبين ، وهل فضل الله في خيبة الذين كفروا خاص بالمسلمين أم هو أعم ، الجواب هو الثاني ، ليتغشى فضل الله الناس جميعاً برجوع الذين كفروا خائبين لما في خيبتهم من الزجر عن الإصرار على محاربة النبوة والتنزيل .

الثاني : فينقلبوا بصبركم ودعائكم خائبين كما في قوله تعالى ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ^(١) وإذ نزل الملائكة لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فلا بد أن عدوهم يسارعون للهزيمة .

الثالث : فينقلبوا بدعائكم خائبين ، قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ ^(٢).

الثالثة : الفاء للسببية ، وفي الصناعة النحوية أن فاء السببية تدخل على الفعل المضارع بعد أن يسبقها نفي أو طلب ، وعندما يكون ما قبلها سبباً لما بعدها .

ولا تعارض بين هذه الجهات ، وكلها من مصاديق ومعاني الفاء في ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ وهو من عمومات أن الله عز وجل يأخذ الكفار بأشد الأحوال ، فكيف وقد جمعوا بين أمور :

الأول : الإصرار على الكفر .

الثاني : الإقامة على عبادة الأوثان .

الثالث : الجحود بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتنزيل .

الرابع : محاربة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

الخامس : إنفاق الأموال الطائلة في صد الناس عن النبوة والتنزيل ،

وترغيبهم بقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(١) سورة آل عمران ١٢٥ .

(٢) سورة الفرقان ٧٧ .

السادس : زحف ثلاثة آلاف مشرك من مكة إلى المدينة على الإبل والخيول للحرب والقتال ، وسقوط سبعين شهيداً من المسلمين ، واستغراق الجراحات للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، قال تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّيِّبِ الْجَمْعَانِ فَيَاذَنْبُ اللَّهِ وَلَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

فان قلت قد قام الكفار بقتل سبعين عن الصحابة في معركة أحد ، والجواب في هذا القتل حجة أخرى على الذين كفروا من جهات :
الأولى : نفرة عامة الناس من القتل .

الثانية : تحمل رجالات قريش المسؤولية الجنائية لقتلى الطرفين يومئذ لأنهم الذين زحفوا للقتال وأصرروا عليه وقاموا بالإبتداء به .

الثالثة : ترتب الإثم على قتل المؤمنين ، وعلى إغواء الذين قتلوا من الكفار ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يُقْتَلْ مُؤْمِنًا مَّعْتَمِدًا فَأُجْرَؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٢).

الرابعة : فوز الشهداء بالمنزلة الرفيعة عند الله ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٣).
وليس من حصر لموضوع النهي في قوله تعالى ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٤) ومن وجوهه :

الأول : ولا تكونوا كالذين كفروا في المبادئ والإعتقاد ، وفي التنزيل ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٤).

الثاني : ولا تكونوا كالذين كفروا في رغبتهم في الغزو .

(١) سورة آل عمران ١٦٦.

(٢) سورة النساء ٩٣.

(٣) سورة البقرة ١٥٤.

(٤) سورة آل عمران ١٥٦.

الثالث : لا تكونوا كالذين كفروا في إمتناعهم عن الإنصات للحق والتنزيل ، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾^(١).

الرابع : لا تكونوا كالذين كفروا في إيذائهم للمؤمنين .

الخامس : لا تكونوا كالذين كفروا في ظلمهم للمرأة ، ومنعها حقها في الميراث .

السادس : لا تكونوا كالذين كفروا المعاملة والصلوات مع الناس للزوم تحلي المسلمين بالأخلاق الحميدة ، قال تعالى في الثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .

ومن معاني الجمع بين هذه الآية وقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٣) وجوب إقتداء المسلمين بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سنته وأخلاقه الحميدة وتواضعه وزهده ، وصبره وإمامته قوانين التقوى ، (مسلم في صحيحه أن عمر بن أبي سلمة-ابنها-سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن القبلة للصائم؟

فقال: "سل هذه" يعني: أم سلمة فأخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعلها، فقال: لسنا كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يحل الله لرسوله ما شاء. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إني أتقاكم لله وأعلمكم به" أو كما قال. ومثل هذا لا يقال لصغير جدا، وعمر ولد بأرض الحبشة قبل الهجرة. وقال البيهقي: وقول من زعم أنه كان صغيرا، دعوى ولم يثبت صغره)^(٤).

(١) سورة الكافرون ١-٢.

(٢) سورة ن ٤.

(٣) سورة الأحزاب ٢١.

(٤) تفسير ابن كثير ٦/٤٠٧.

السابع : لا تكونوا كالذين كفروا في عدم إقرارهم باليوم الآخر ، وفي امتناعهم عن العمل والإستعداد له .

الثامن : بيان قانون وهو أن الإيمان برزخ ومانع من محاكاة الذين كفروا .

التاسع : وجوب إمتناع المسلمين والمسلمات عن التشبه بالذين كفروا .

العاشر : مضامين آية البحث في لزوم تنزه المسلمين عن توجيه اللوم للذي يموت أو يقتل من أصحابهم ، فمضمون آية البحث هو أن الذي يموت من الذين كفروا خارج البلدة أو القرية لا يسلم من ذم أصحابه له ، وكان سفره على أحد وجوه منها :

الأول : التجارة وطلب الرزق .

بينما جاء القرآن بالحث على السعي والكسب والتجارة ولو بالسفر ، قال تعالى ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ^(١) وقال تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ^(٢) ، وفيه شاهد على أن الله عز وجل يحث المسلمين على السعي في الأرض ، ويدل في مفهومه على النهي عن ذم أو مؤاخذه الذي يسافر لطلب الرزق ، إلا إذا كان هناك سبب آخر بالعرض يفيد الذم .

ومن إعجاز القرآن ورود الضرب في الأرض على جهات :

الأولى : المعنى العام كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ

جُنَاحٌ أَنْ تُقْصِرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ^(٣) .

(١) سورة المزمل ٢٠ .

(٢) سورة الجمعة ١٠ .

(٣) سورة النساء ١٠١ .

الثانية : المعنى الخاص ، وهو الخروج والسفر للدفاع ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَقْبَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ﴾^(١) لبيان قانون وشاهد على التأريخ وهو أن طلب الغنائم ليس غاية أو هدفاً لخروج المسلمين للدفاع ، وهو لا يتعارض مع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (عن سيّار، عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "فَضَّلَنِي رَبِّي عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ قَالَ : عَلَى الْأُمَمِ - بِأَرْبَعٍ" قال "أَرْسَلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ كُلَّهَا وَلَأُمَّتِي مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيْنَمَا أَدْرَكْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي الصَّلَاةَ فَعِنْدَهُ مَسْجِدُهُ وَطَهُورُهُ، وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ يَقْدِفُهُ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِي وَأَحَلَّ لِي الْغَنَائِمُ")^(٢).

وقال سعيد بن منصور: أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث: أن أبا يونس حدثه، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ عَلَى الْعَدُوِّ". ورواه مسلم من حديث ابن وهب.

وروى الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن أبي بردة، عن أبيه أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أَعْطَيْتُ خَمْسًا: بَعَثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلْ لِمَنْ كَانَ قَبْلِي، وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ شَهْرًا، وَأَعْطَيْتُ الشَّفَاعَةَ، وَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ سَأَلَ شَفَاعَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ شَفَاعَتِي، ثُمَّ جَعَلْتُهَا لِمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا"^(٣).

(١) سورة النساء ٩٤.

(٢) تفسير ابن كثير ١٣٢/٢.

(٣) تفسير ابن كثير ١٣٢/٢.

الثالثة : الضرب في الأرض لأغراض التجارة والكسب والأمر العامة ، ويدل عليه رفقة وحضور غير المسلمين معهم كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسَبُوهمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْإِيمَانِ﴾^(١) .

وهل يمكن أن يجمع المسلمون في سفرهم بين الجهاد والتجارة ، الجواب نعم ، لذا يبين قوله تعالى ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٢) ، لزوم أخذ المسلمين الحائطة والحذر ، وقد رخص الله للمسلمين والمسلمات بالتقصير في الصلاة لأن الأولى هو سلامتهم ونجاتهم ، ودعوتهم إلى محل إقامتهم ثم أداءهم الصلاة كاملة

ليكون من معاني آية البحث وقوله تعالى ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أمور :
الأول : حرص المسلمين على أداء الصلوات اليومية حتى في حال السفر بينما يلجأ الكافر إلى الصنم والوثن الذي يعبد .

الثاني : دعوة المسلمين لله في حال الحضر والسفر .

الثالث : حرص المسلمين على إجتنب التشبه بالذين كفروا ، وهذا الحرص وصورته ملكة حاضرة عند المسلمين من منافع ورشحات هذه الآية الكريمة .

الرابع : قيام المسلمين بالأمر بالمعروف بالتخلي بالأخلاق الحميدة ، وتعاهد سنن الإيمان ، والنهي عن المنكر ومنه التشبه بالذين كفروا .

(١) سورة المائدة ١٠٦ .

(٢) سورة النساء ١٠١ .

الخامس : فضل الله عز وجل على المسلمين بالتخفيف في ركعات الصلاة من جهة الكم والكيف والوقت الخاص ، أي التقصير في عدد الركعات مع بقاء ذات الفرائض الخمس .

وتكون الصلاة اليومية على الوجه الآتي :

جدول الصلاة اليومية في الحضر والسفر

ت	الصلاة	في الحضر	في السفر
١	صلاة الصبح	ركعتان	ركعتان
٢	صلاة الظهر	أربع ركعات	ركعتان
٣	صلاة العصر	أربع ركعات	ركعتان
٤	صلاة المغرب	ثلاث ركعات	ثلاث ركعات
٥	صلاة العشاء	أربع ركعات	ركعتان
	المجموع	١٧ ركعة	١١ ركعة

ولا يختص التقصير في عدد الركعات بل يشمل الكيفية والوقت الذي تستغرقه وجواز التخفيف فيها .

ومن السنة التخفيف في الصلاة حال السفر ، ومنه تقصير القراءة وعدم إطاعتها

وهل يشمل الصلاة في المطارات والسفن وموانئها وصالات الإنتظار ، الجواب نعم ، وبحيث لا تكون هذه الصلاة عائقاً للناس أو في طريقهم كما تسقط النوافل اليومية عن المسافر إلا الوتر فإذا مات الإنسان يموت على وتر وصلاة ركعة واحدة ، والله وتر ويجب الوتر .

وذكر أنه يؤدي نافلة الفجر أيضاً ، وهل يجوز صلاة النافلة في الطائرة أو القطار ، الجواب نعم ، وإن لم يحرز المكلف جهة القبلة ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمِنْ وَجْهِ اللَّهِ إِنَّا اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) .

ومن مصاديق التخفيف إجماع المسلمين على جواز الجمع في الصلاة في السفر، و(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ صَلَاةِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ إِذَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ سَيْرٍ ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ) ^(١).

ومن التخفيف الإكتفاء بأذان واحد ، فاذا جمع المسلم بين صلاة الظهر والعصر يؤذن ويقيم لصلاة الظهر ، ويكتفي بالإقامة لصلاة العصر ، وهكذا بالنسبة للجمع بين المغرب والعشاء ، ولو صلى قصرًا في السفر ودخل إلى بيته ولا زال وقت الصلاة مستمراً فلا تجب عليه الإعادة ، وكذا لا تستحب. كما لو جمع بين الظهر والعصر بعد ساعة من أذان الظهر ثم دخل بيته في الساعة الثالثة ظهراً ، حيث لا زال وقت الصلاة مستمراً فلا إعادة عليه لقاعدة الإجزاء .

ومن عجز عن تعيين جهة القبلة يصلي إلى أي جهة أقرب ولو كان في صلاة الفريضة ، كما يجوز أداؤها عن جلوس في مقعد السفر عندما يستوعب السفر وقت الصلاة ، كما لو كان المسلم في الجو بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ، فيجوز له أداء الصلاة عن جلوس في المقعد بعد الوضوء ، وينحني للركوع قليلاً وللسجود أكثر ، ولا يلزمه الصلاة قائماً في مقعده والإيماء للركوع والسجود لأنه خلاف قاعدة (لا حرج في الدين) لقوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ^(٢).

ولو كان الإمام مقيماً ويعلم أن المأمومين مسافرون فهل يلزمه التخفيف في مواطن الصلاة التي يجوز فيها التخفيف المختار نعم ، كما في صلاة الجماعة في المسجد الحرام والمسجد النبوي أيام موسم الحج ، والعمرة في شهر رمضان ، فيكفي قراءة ثلاث آيات بعد الفاتحة في الركعة الأولى .

(١) صحيح البخاري ٣٦١/٤.

(٢) سورة الحج ٧٨.

وترى إمام الجماعة في المسجدين يخفف بالصلوات الخمس بعد اليوم العاشر من ذي الحجة دون غيرها مع وحدة الموضوع في تنقيح المناط خاصة على القول المشهور بأن المسافر إذا صلى خلف المقيم فإنه يصلي أربع ركعات خاصة رجاء الثواب في الصلاة في المسجدين .

(عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره بألف صلاة إلا المسجد الحرام) ^(١) .

وتقدير الآية : وقالوا عن إخوانهم إذا ضربوا الأرض ..

وهل يختص ذم الذين كفروا للذي يسافر منهم بخصوص حال موته أو قتله ، الجواب لا ، فمن خصائص تقديم آية البحث للضرب في الأرض على مسألة الموت أو القتل هو إطلاق ذم الكفار ، وميلهم إلى الراحة والدعة والإقامة في المقام ، وفيه إخبار عن غلبة المسلمين لهم ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ^(٢) .

ووردت آية البحث بصيغة الماضي ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ وفيه وجوه :

الأول : إرادة خصوص الزمن الماضي ، ويحتمل جهات :

الأولى : المقصود الذين كفروا قبل الإسلام ، وأن هذا القول والتلاوم بين الذين كفروا بخصوص السفر والهجرة ليس بجديد ، وغير منحصر بأيام الجاهلية.

(١) الفاكهي / أخبار مكة ٢٧٣/٣ .

(٢) سورة الأنفال ٦٥ .

الثانية : المراد أيام الجاهلية ، وإنشغال قريش بالتجارة لقوله تعالى ﴿لَا يَلَافُ قُرَيْشٌ * إِلَّا فِيهِمْ رَحِلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(١).

الثالثة : إرادة المعنى الأعم الشامل للأزمة السابقة للإسلام ، وحال الكفار في الأمم السالفة .

الثاني : المقصود زمن نزول آية البحث ، ليكون قول الذين كفروا ﴿لَا خِوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرُبَىٰ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢) ، سبباً لنزول آية البحث .

الثالث : قصد الأزمنة اللاحقة بعد نزول آية البحث .
ولا تعارض بين هذه الوجوه ، وكلها من مصاديق آية البحث ليدل الفعل الماضي (وقالوا) على أفراد الزمان الطولية كلها .

لتكون هذه الآية من المدد من عند الله للمسلمين في معارك الإسلام الأولى ، إذ أخبرهم عن قانون يتصف به الكفار وهو أن أفراد جيشهم يعلمون بدم أصحابهم لهم ، وأن الذي يموت أو يقتل في المعركة لا يجد من أهله وقومه إلا اللوم والذم والتبكيك بينما يذهب الذين آمنوا للتجارة ولساحات الدفاع ، وهم في حال طمأنينة ، وفي التنزيل ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٣).

وذكرت الآية أعلاه جنود الله عز وجل في السموات والأرض فهل تلاوم الذين كفروا فيما بينهم ، وذمهم للذي خرج لقتال المسلمين في معركة بدر وأحد والخندق فقتل في إحداها من مصاديق جنود الأرض الذين

(١) سورة قريش ١-٢.

(٢) سورة آل عمران ١٥٦.

(٣) سورة الفتح ٤.

تذكرهم الآية أعلاه إلى جانب جنود السموات وهم الملائكة الذين هبوطوا لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في هذه المعارك ونزول الغيث من السماء .

الجواب نعم ، ليتلقى الكفار الأذى الذاتي ، ويؤذي بعضهم بعضاً حتى الأموات يؤذيهم الأحياء منهم .

ومن معاني قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(١) التباين والتضاد بين حال المسلمين ، وحال الكفار في السفر وعند اللقاء فيخرج المسلم من بلده وهو متوكل على الله ويرجو الثواب إن حضره الموت ، ويعلم أن الله أثنى عليه ، وأن إخوانه المؤمنين ، يستغفرون له ، ويذكرونه بخير بتأديب من الله ، ومن مصاديق هذا التأديب آية البحث وما فيها من نهى الله للمسلمين عن التشبه بالذين كفروا في أحاديثهم ، وما يجرى في متدياتهم عن أصحابهم الذين قتلوا في بدر وأحد والخندق ، وقال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٢).

أما الكافر فإن أصحابه إذا بلغهم خبر وفاته أو قتله يلومونه ويقولون لو بقي عندنا ولم يسافر لما مات ، ليكون من عمومات قوله تعالى في آية البحث ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٣) أي الحسرة حتى في قلب الذي يسافر من الكفار ، ويتزوجون نساءه ، وهن يلومنه لأنه تركهن وسافر ولم يبق في البلدة ، ويرض بالرزق الذي قسم الله عز وجل فيها .

وقوله تعالى ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ .

يحتمل وجهين :

(١) سورة آل عمران ١٥٦ .

(٢) سورة البقرة ١٥٤ .

(٣) سورة آل عمران ١٥٦ .

الأول : قال الذين كفروا بعضهم لبعض بخصوص الذين يموتون منهم في السفر أو القتال .

فاذا مات أحدهم في السفر ، كانت مناجاة الكفار فيما بينهم : لو أقام ولم يسافر لما مات .

ولذا قتل في القتال قالوا : لو أقام ولم يخرج وقاتل لما قتل .

الثاني : ذكر الذين كفروا للذي يموت بالدم .

ولا تعارض بين الوجهين وكلاهما من مصاديق الآية .

والصوم أمر وجودي وليس عديمياً وإن كان امتناعاً عن الأكل والشرب لأنه عن قصد القربة وإرادة الصبر طاعة لله عز وجل ، ويدل على كونه أمراً وجودياً فرضه وكتابته من الله ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

والصيام من أفعال القلوب والجوارح ويؤتى به بقصد القربة وطاعة لله عز وجل .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب قدسي مبارك ورد في القرآن تسعاً وثمانين مرة نزلت جميعاً في السور المدنية ، لبيان الأحكام ، أما المكية فهي إنذار للكفار ، وتذكير بيوم القيامة وسوء عاقبتهم : مثل

﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾^(٢).

﴿أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾^(٣).

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾^(٤).

﴿الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾^(١).

(١) سورة البقرة ١٨٣

(٢) سورة الهمزة ١-٢.

(٣) سورة الفيل ١.

(٤) سورة الزلزلة ١-٢.

(وعن الإمام علي عليه السلام : ليس في القرآن يا أيها الذين آمنوا إلا وفي التوراة يا أيها المساكين) (١).

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ * لَا تَحَرَّكَ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (٢).

الوجه الثالث : ومن وقف المعنى ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ لبيان مسائل:

الأولى : وجود أخوة بين الكافرين أنفسهم.

الثانية : إرادة الأخوة النسبية .

الثالثة : حرمان الكفار أنفسهم من الأخوة الإيمانية ، والتي تمنع من الشماتة والغيبة والنميمة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

الرابعة : دعوة المسلمين للحيطة والحذر من الذين كفروا ، وأنهم لم يسكتوا أيام النبوة ، وإنما كانوا يحاربونها بالقول والفعل وتجهيز الجيوش ، وفنون القتال .

الخامسة : سلامة المؤمنين من بث الكفار سمومهم ، فلم تقل الآية وقالوا على نحو الإطلاق إنما خصت القول وأنه موجه لإخوان الذين كفروا ، وهو لا يتعارض مع لزوم حذر وحيطة المؤمنين .

ومن إعجاز الآية ذكرها الواو في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ لبيان توجه النهي العام والخاص للمسلمين أما النهي العام فهو نهى المسلمين عن التشبه بالذين كفروا.

(١) سورة القارعة ١-٣.

(٢) البحار ٣٤٥/١٣.

(٣) سورة القيامة ١٤-١٧.

(٤) سورة الحجرات ١٢.

وأما النهي الخاص فهو المنع من محاكاة الكفار فيما يقولون عن إخوانهم الذين يقتلون في المعارك ، لبيان قانون وهو من معاني ﴿يَوْمَ التَّقَى﴾^(١) الجَمْعَانِ ، التباين بين جمع المؤمنين وجمع الكفار من جهات :
الأولى : حال الإعداد للمعركة ، وتهيئة مقدماتها .

الثانية : قبل المعركة .

الثالثة : حال المعركة ، وكيفيتها ، والوقائع التي جرت فيها .

الرابعة : القتلى من الطرفين ، والتباين والتضاد في عاقبة كل فريق منهما إذ يفوز الشهداء بالجنة ، ويدخل الكفار النار قال تعالى ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٢) .

الوجه الرابع : من وجوه (وقف معنى) في ذات الآية قوله تعالى ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) وفيه مسائل :

الأولى : بيان تفضل الله عز وجل على الذين كفروا بامكان طلبهم الرزق بالسعي في الأمصار ، وحرية التنقل والسياحة في الأرض ، والكسب من البلد القريب أو البعيد ، وهو من معاني آية البحث قوله تعالى ﴿إِلَّا يَلَفُ قُرَيْشٍ * إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(٤) .

إذ تبين سورة قريش فضل الله على قريش حتى مع كفرهم ، ومن مصاديق خلافة الإنسان في الأرض الإذن منه تعالى للناس جميعاً في السياحة والتنقل والسكن فيها ، نعم من معاني هذا التنقل

(١) سورة آل عمران ١٥٥ .

(٢) سورة الشورى ٧ .

(٣) سورة آل عمران ١٥٦ .

(٤) سورة قريش ١-٢ .

الإتعاظ والإعتبار ، قال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾^(١).

وهل يمكن القول بقانون فوز طائفة من الناس بالتوبة لرؤيتهم الإطلال ومساكن الذين ظلموا ، الجواب نعم ، وكما أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان فانها (دار إتعاظ) ولا يختص هذا الإتعاظ برؤية أحوال الأمم السابقة إنما يشمل التأديب والتعليم للمسلمين خاصة وأن من المسلمين من يقيم في بلده وحتى الذي يسافر كان أيام إقامته أكثر من أيام سفره في الأعم الأغلب ، ولابد من إنشاء قانون وهو نسبة أيام خروج النبي في الكتائب لمجموع أيام نبوته فمثلاً مدة إقامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة عشر سنوات فتكون $10 \times 355 = 3550$ يوماً .

ثم تجمع أيام خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الكتائب ، وخروجه لفتح مكة والحجة والوداع ، وتطرح من المجموع ، وهل يمكن احتسابها معدلاً ووسطاً لإقامة الصحابة في المدينة ، الجواب نعم ، إلا أن يراد دليل خاص بالنسبة لبعض الصحابة قلة أو كثرة أو بخصوص الذين استشهدوا في معارك الإسلام الأولى مثل بدر ، وأحد ، والخندق ، والقاعدين الذين لم يخرجوا لقتال ، قال تعالى ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٢).

وممكن احتساب مجموع أيام ضرب المسلمين في الأرض في كتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسرايا الصحابة التي يبعثها

(١) سورة النمل ٦٩.

(٢) سورة التوبة ١٢٧.

مثلاً في خروجه لبدر الموعد كان عدد المسلمين هو (١٥٠٠) ومدة الخروج حتى أوان العودة إلى المدينة هو ثمانية أيام .

فيكون المجموع $١٥٠٠ \times ٨ = ١٢٠٠٠$ أي مجموع عدد الأيام التي قضاها المسلمون ، لكل مسلم عدد أيام بطول عمره الإيماني من أصل مجموع أيام المسلمين في المدينة ، ونسميه اليوم الفردي .

وتكون حاصلًا لعدد مضروباً في مدة ١٣ سنة مدة إقامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذه المدة تصاعدية في كل يوم إذا كان المسلمون نحو (٣٠٠) في أول هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى تكون النتيجة في السنة الأولى للهجرة النبوية الشريفة : $٣٠٠ \times ٣٥٥ = ١٠٦,٥٠٠$ يوماً فردياً .

الوجه الخامس : من وجوه وقف المعنى في آية البحث الوقف عند ﴿أَوْكَانُوا غُزًى﴾^(١) ، ومن الإعجاز في الآية البيان والوضوح إذ خاطبت الآية المسلمين والمسلمات بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بينما ذكرت الكافرين بصيغة الغائب ، وعلى نحو متعدد تجلّى في الاسم الصريح والضمائر من جهات :

الأولى : الذين كفروا .

الثانية : واو الجماعة في (قالوا) .

الثالثة : الضمير في إخوانهم .

الرابعة : واو الجماعة في (ضربوا) .

الخامسة : واو الجماعة في (كانوا) .

السادسة : الصفة غزى ، وتقدير الآية (أو كانوا هم غزى) .

السابعة : واو الجماعة في (كانوا) .

الثامنة : ضمير جماعة المتكلمين في (عندنا) .

التاسعة : واو الجماعة في (ماتوا) .

العاشرة : واو الجماعة في (قتلوا).

الحادية عشرة : الضمير (هم) في قلوبهم.

وذكرنا هذا التفصيل لمعرفة ذخيرة في كنوز القرآن ودلالة كلماته ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) ، وليان مسألة وهي أن المراد من الذين كانوا غزى في الآية هم المشركون.

وفي كلمة أو كانوا غزى مسائل :

الأولى : قيام المشركين بغزو بعضهم بعضاً.

الثانية : ترتب الخلاف والشقاق بين الذين كفروا على الغزو والنهب .

الثالثة : إتصاف الذين كفروا بانهم غزاة.

الرابعة : تحذير المسلمين من الذين كفروا وغزوهم للمدينة.

الخامسة : الرحمة العامة في عقد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم صلح الحديبية مع الذين كفروا ، قال تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾^(٢).

السادسة : الإشارة إلى الحاجة لفتح مكة.

السابعة : حاجة الناس إلى الإيمان ، والزاجر الشرعي عن الغزو والنهب والسبي بغير حق .

لقد كان الناس في حال خوف وفزع وترصد للعدو خشية مداهمته لديارهم وبيوتهم ، ليكون من معاني احتجاج الملائكة كما

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة الفتح ١.

ورد في التنزيل ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١)، بيان قانون قانون وهو: ترتب الخوف العام على الفساد.

فاذا شاع الفساد عمّ الخوف الناس على نحو العموم الإستغراقي ودخل البيوت ، ونفذ إلى القلوب ، وحتى أعوان أرباب الفساد يصبحون ويمسّون على وجل وخوف أيضاً .

وكانت المعارك بين قبائل العرب تستمر لسنوات منها حرب البسوس بين قبيلة بكر بن وائل ، وقبيلة تغلب ، وهم أبناء عمومة وابتدأت سنة ٤٩٤ ميلادية ، واستمرت عشرين سنة وقيل أربعين سنة ، لتكون شاهداً تاريخياً على حاجة الناس للإسلام ، ولم تتأخر بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عنها كثيراً.

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، نجاة الناس من هذا الخوف العام.

وهل يمكن تقدير الآية : يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا لإخوانكم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا ...

الجواب أما الضرب في الأرض فنعم ، وأما بالنسبة للغزو فان المسلمين لا يقومون بالغزو ، وتقدير : لا تقولوا لإخوانكم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا في الدفاع ، للتباين الجهتي في الموضوع ، فبين خروج المؤمنين ، وخروج الذين كفروا إلى ميدان المعركة عموم وخصوص من وجه.

فمادة الإلتقاء هو السعي والتلاقي.

ومادة الإفتراق أن المؤمنين يخرجون للدفاع وردع المشركين ، وأما المشركون فانهم يخرجون للغزو ، فقوله تعالى ﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾ حجة عليهم وهل يدخل المنافقون في مضامين الآية ، الجواب نعم ، من جهات :

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

الأولى : شمول المنافقين بعمومات النداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

الثانية : توجه المنافقين باللوم إلى الصحابة في خروجهم للتجارة أو الدفاع.

الثالثة : تلقي المنافقين اللوم من إخوانهم عند الضرب في الأرض أو الخروج في سرايا الدفاع.

لقد تلقى الصحابة النهي الوارد في آية البحث ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى﴾ بالإمتثال فلم يقولوا لإخوانهم الذي يتوجهون للدفاع والمرابطة في الثغور إلا خيراً وهذا القول بفضل ولطف وتأديب من الله إذ قال سبحانه ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(١).

أما المنافقون فأنهم قعدوا عن الدفاع ، واستمروا في الإرجاف ، فنزل القرآن بفضحهم ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢).

ولم يرد لفظ (وقعدوا) في القرآن إلا في الآية أعلاه ، وعن السدي قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في ألف رجل وقد وعدهم الفتح إن صبروا ، فلما خرجوا رجع عبد الله بن أبي في ثلاثمائة ، فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم.

(١) سورة البقرة ١٥٥.

(٢) سورة آل عمران ١٦٨.

فلما غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالاً ولئن أطعنا لترجعن معنا . فذكر الله . فهو قولهم : ولئن أطعنا لترجعن { الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا^(١) .

وفي قوله تعالى ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾^(٢) ، قال مقاتل : كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقسموا عقاب مكة وطرقها وقعدوا على أبوابها وأبقابها وإذا جاء الحجاج ، قال فريق منهم : لا تغتروا بخارج منا يدعي النبوة فإنه مجنون وقالت طائفة أخرى : على طريق آخر أنه كاهن . وقالت طائفة : عَرَّاف . وقالت طائفة شاعر ، والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكماً ، فإذا سئل عن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } قال : صدق لوليك المقتسمين .

وقال مقاتل بن حيان : هم قوم اقتسموا القرآن ،

فقال بعضهم : سحر ،

وقال بعضهم : سمر ،

وقال بعضهم : كذب . وقال بعضهم : شعر ،

وقال بعضهم : أساطير الأولين .

وقال بعضهم : هم الذين تقاسموا صالح وأرادوا تبييته^(٣) .

وفي ذم الذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خروجه إلى تبوك نزل قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ

(١) الدر المنثور ٢/٤٨٠ .

(٢) سورة الحجر ٩١ .

(٣) الكشف والبيان ٧/٣٦٦ .

عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيُخْلَفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ^(١).

كتيبة السويق

وتحتمل تسمية غزوة السويق وجوهاً :

الأول : إنها غزوة قام بها أبو سفيان ومشركو مكة .

الثاني : إنها غزوة قام بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثالث : إرادة المعنى الأعم وهو أنها غزوة مركبة من الطرفين .

والصحيح هو الأول ، إذ نذر أبو سفيان بعد معركة بدر أن يغزو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قال ابن إسحاق : وكان أبو سفيان كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الانصار ، حين رجع إلى مكة ورجع فل قريش من بدر ، نذر ألا يمسه رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً^(٢) .

وهذه العبارة كناية عن عدم مقاربتة النساء ، وأنه لا يطأ أي زوجة من زوجاته إلى أن يغزو المدينة ، وفيه شاهد على أن العرب كانوا يغتسلون من الجنابة قبل الإسلام لأن هذا الغسل من حنيفة إبراهيم ، وذكر أنهم كانوا يغسلون موتاهم ويكفنونهم ويقف ولي الميت على جنازته قبل دفنه (فيذكر محاسنه كلها ، ويثني عليه ، ثم يقول : عليك رحمة الله ، ثم يدفن)^(٣) . وقد تقدم الكلام في ذات هذه الكتيبة في الجزء الثاني والسبعين بعد المائة من هذا السفر .

لقد كان أشرف قريش يجتمعون في دار الندوة ، ويتذاكرون أخبار القبائل والمعارك والأشعار ، ومناسبتها بما فيه الإتياعا وتدارس ما يلزم فعله

(١) سورة التوبة ٤٢.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٥٤٠/٢.

(٣) محمد بن حبيب البغدادي ت ٢٤٥ كتاب المجبر ٣٢٠/١.

عند الحوادث والوقائع التي تخصهم أو غيرهم خاصة ، وأن طرق تجارتهم تجعلهم يولون عناية بشؤون القبائل ، وكانوا يتدخلون في الخصومات التي تقع بينها ، وحتى في الخصومة التي تقع بين أفراد القبيلة الواحدة ، وتبذل قريش من أموالها في الصلح بين القبائل مما يزيد لها هيبة بين الناس ويجعلهم يتعاهدون حماية قوافلها ، أو لا أقل عدم التعرض لها .

وكان الأولى بقريش بعد هزيمتهم في معركة بدر اللجوء إلى العقل والتدبر في الأمر ، والرضا بالهزيمة والإمتناع عن الثأر والتصعيد خاصة وأن مصاديق الإعجاز في نصر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ظاهرة للحواس .

وهل بلغ قريش قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرْ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾^(١) الجواب نعم إذ إذ كان الناس يتناقلون آيات القرآن واستبدلوا بها الشعر طوعاً وقهراً فقد جذبهم فصاحة وبلاغة القرآن وجزالة معانيه ودلالاته ومضامينه التي تتعلق بالواقع وتتصف بالصدق .

وهل خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه خلف غزاة السويق^(٢) لهم من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبَشِّرِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) ، الجواب نعم ، بلحاظ كبرى كلية وهي موضوعية الوحي في هذا الخروج من جهات :

الأولى : مبادرة ودعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه بالخروج .

(١) سورة آل عمران ١٢٣.

(٢) غزاة السويق : إصطلاح جديد على المبنى والقانون الذي يصدر هذا الجزء بمضمونه وهو: لم يغز النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحداً ، ولواقع الحال وسير الحوادث ، فالغزاة هم المشركون .

(٣) سورة آل عمران ١٥١.

الثانية : جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعدد مائتين من الصحابة.

الثالثة : تتبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه المشركين.

الرابعة : وصول النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى حدٍّ وموضع معين ، ووقوفه عند قرقرة الكدر والتي تبعد عن المدينة (١٧٠ كم) ، وهي مسافة طويلة خاصة بلحاظ أن المسلمين كانوا على الخيل والجمال ، ثم عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت مدة غيابه عن المدينة خمسة أيام ، وعلى فرض أن النبي وأصحابه أقاموا ليلة واحدة في قرقرة الكدر ، فهل يكفي يومان لقطع مسافة (١٧٠ كم) ذهاباً ، ومثلها في طريق العودة ، الجواب نعم ، إذ يسير الجمل بين (٧-١٠ كم) في الساعة ، وفي حال سرعة الجري يستطيع قطع ضعفها .

ويمشي بسهولة في الرمال الصحراوية من غير أن تطمس أقدامه فيها لأن قدمه تتألف من أصبعين غليظين يتباعدان عند ملاستهما الأرض ويقدر على البقاء دون طعام أو شراب لبضعة أيام حتى لو فقد ربع ما في جسمه من الماء بخلاف الثدييات الأخرى التي تصاب بالجفاف إذا فقدت ١٥٪ مما في أجسامها من الماء.

وسميت هذه الواقعة غزوة السوق^(١) لوجوه :

الأول : حمل المشركين معهم سوقاً كثيراً ، وهو طعام مصنوع من دقيق الخنطة والشعير والسمن سمي به لانسياقه في الحلق ، وفي تعاريف أخرى لم يذكر السمن إنما يكتفى بذكر دقيق الخنطة والشعير .

الثاني : ترك المشركين السوق وغيره من الأزواد والأحمال عند هروبهم للتخفيف عن أحمالهم ، وسرعة الهروب ، خاصة وأنهم لا يحتاجون إلا إلى القليل منه في طريق العودة ، طلباً للنجاء .

الثالث : استيلاء المسلمين على السوق الذي تركه المشركون خلفهم .

(١) أنظر الجزء الثاني والسبعين بعد المائة من هذا التفسير ٢٢٧-٢٣٣.

الرابع : بيان مسألة وهي أن غنائم المسلمين هو السوق وفيه اشارة إلى عدم وقوع قتال بينهم وبين المشركين ، وكان أبو سفيان حينما سار غازياً ومتوجهاً إلى المدينة ، قال اياتاً من الشعر لتحريض أصحابه والتذكير بقتلاهم في معركة بدر :

(كروا على يثرب و جمعهم ... فإن ما جمعوا لكم نفل)
 (إن يك يوم القليب كان لهم ... فإن ما بعده لكم دول)
 (و اللات لا أقرب النساء ولا ... يمس رأسي وجلدي الغسل)
 (حتى تبيدو قبائل الأوس وال ... خزرج أن الفؤاد مشتعل)^(١).

لقد كان هجوم أبي سفيان وأصحابه في شهر حرام وفي أوان الحج والأصل أن ينقطع ، وقريش إلى خدمة وفد الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، والإنشغال بالتجارة في أسواق مكة خاصة وأن أبا سفيان لم يكن حاضراً معركة بدر ، نعم إنه فقد ابنه حنظلة الذي قتله الإمام علي السلام ، وقيل قتله زيد بن حارثة ، كما وقع ابنه عمرو بن أبي سفيان أسيراً بيد المسلمين يومئذ .

وكان ابنه الآخر أبو حذيفة بجوار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو من أول من أسلم في مكة ، وعند قدوم أبي سفيان وأصحابه إلى أطراف المدينة تسلل ليلاً وتحت جناح الظلام إلى منازل بني النضير ، وطرق باب حبي بن أخطب وهو من رؤسائهم فخاف ولم يفتح له ، واجتنب الفتنة .

فلم يكل أو يرجع أبو سفيان إنما مشى إلى سلام بن مشكم وهو سيد بني النضير في زمانه^(٢) فاستأذن عليه ، فأذن له وقراه وسقاه وأخبره عن حال أهل المدينة.

(١) سيرة ابن اسحاق ٢٩١/١.

(٢) ابن اسحاق السيرة النبوية ١٠٨/١.

وكيف أن الناس دخلوا الإسلام ، وعندما عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة من كتيبة السويق لم يؤاخذ رجال اليهود على استضافتهم أبي سفيان .

(قال ابن إسحق : وقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله أتطمع أن تكون لنا غزوة قال نعم.)^(١) .
ولم يذكر ابن إسحاق (٨٥-١٥١) مولى قيس بن مخزومة بن المطلب سند الحديث ، وكان جده يسار من سبي قرية عين التمر القريبة من كربلاء .
وجده خالد بن الوليد سنة ١٢ هجرية في كنيسة عين تمر مع غلمان آخرين رهناً بيد كسرى فأخذه إلى المدينة .

قانون رشحات معركة بدر

لقد كانت معركة بدر فيصلاً وحدثاً غير مجريات الوقائع في الجزيرة وتأريخ العالم ، وهذا التغيير العظيم من موضوعية ومنافع نصر الله للمسلمين في تلك المعركة وتوجه الخطاب في الآية إلى المسلمين جميعاً وأجيالهم المتعاقبة كما في قوله تعالى ﴿وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢) ، لبيان قانون وهو أن مصاديق النصر للمؤمنين لا تنقطع إلى يوم القيامة ، فلقد رجع النبي وأصحابه من معركة بدر شاكرين لله عز وجل ، واستقبل أهل المدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مدخلها مهتين معتردين عن عدم الخروج معه لأنهم لم يعلموا بوقوع معركة مما يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعلن النفير العام عند الخروج إلى بدر ، ولم يصدر منه بلاغ بأنه سيتوجه لقتال العدو ، وهذا البلاغ ضرورة في دخول أي معركة كي يستعد أفراد الجيش ، ويهيؤوا أنفسهم وأسلحتهم ، ويشتروا أو يستعيروا الخيل والدروع والسيوف والخوذ التي تكون بها سلامتهم ، إنما خرج النبي ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر من أصحابه

(١) عيون الأثر ١/٣٩٠.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

وكان كثير منهم يسرون على الأقدام ليس عندهم رواحل ، إنما كانوا يتعاقبون على الإبل كل اثنين أو ثلاثة أو أكثر يتعاقبون على ركوب بعير ، وهل كان بإمكانهم استعارة رواحل من أهل المدينة لو علموا أنهم خارجون إلى معركة بدر .

المختار نعم .

وهل كان المسلمون يعلمون أن المعركة ستقع في موضع ماء بدر ، الجواب لا إذ أن المشركين هم الذين قصدوا القتال في بدر ، واختاروا موضعه ومحل معسكرهم قرب الماء ، وفي الأرض التي تتيح لهم الصولة والإغارة ، ويحتمل اختيار قريش لموضع المعركة ومحلهم فيها وجوهاً :

الأول : خبرة قريش المتراكمة في الطريق ، وهو من رشحات قوافلهم التجارية ، قال تعالى ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ * إِلَّا فِيهِمْ رَحِلَةُ الشَّاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(١).

الثاني : وجود أدلاء حاذقين مع جيش قريش يعرفون طبيعة وتضاريس التربة .

الثالث : استعانة قريش بالقاطنين على ماء بدر وما حوله .

الرابع : لقد تم تعيين المواضع في معركة بدر صدفة واتفاقاً .

وباستثناء الوجه الأخير فإن الوجوه الأخرى صحيحة ، وهو من الشواهد على فن ومكر قريش ، ليكون من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢) تفضل الله بانزال المطر ليكون رحمة للمسلمين ونقمة على الذين كفروا .

إذ أنزل الله عز وجل الغيث من السماء ليكون معجزة حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الدفاعية .

(١) سورة قريش ١-٢.

(٢) سورة آل عمران ٥٤.

فقد كانت أرض المعركة دهاساً^(١) تسيخ فيها الأقدام تستطيع القدم الثبات فيها ، وكان أكثر المسلمين رجالة ، ليس معهم إلا فرس واحدة وقيل معهم فرسان ، بينما كان مع المشركين مائة فرس وسبعمائة بعير .

فأنزل الله عز وجل المطر بقدر فكان رحمة للمسلمين من جهات :
الأولى : التطهر والإغتسال ، وقد أجنب بعض الصحابة فاحتاروا في أمرهم مع قلة الماء ، وكرهوا دخول المعركة مع الجنابة ولم تكن آية التيمم قد نزلت ، ففضل الله وأنزل مطراً هيناً لطيفاً ، قال تعالى ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾^(٢).

الثانية : صلابة الرمل .

الثالثة : وطأة الأرض ، وصيرورتها قابلة للتحرك السريع عليها .

الرابعة : تثبيت الأقدام .

الخامسة : هطول المطر سبب ومقدمة لنزول السكينة على المسلمين .

السادسة : نزول المطر طلاً خفيفاً على معسكر المسلمين ، وشديداً ومعوقاً على معسكر الكافرين ، مع أنهم في واد واحد .
لقد كان التباين بين جيش المسلمين والكفار كيداً من جهة العدد والعدة ، إذ كان جيش الكفار أكثر من ثلاثة أضعاف جيش وحال المسلمين من جهات :

الأولى : عدد الأفراد إذ كان مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وكان جيش المشركين نحو ألف .

الثانية : كان مع المشركين مائة فرس ، واختلف في عدد خيل المسلمين على أقوال :

(١) الدهاس : الرمل الذي تغيب فيه القوائم ، والمكان اللين الذي أكثر رطوبة من الرمل ولا ينبت شجر .

(٢) سورة الأنفال ١١.

الأول : فرس واحدة .

الثاني : فرسان ، ونسبه ابن عقبة إلى القيل (ويقال كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فرسان على أحدهما مصعب بن عمير وعلى الأخرى سعد بن خيثمة ومرة الزبير ابن العوام ومرة المقداد بن الأسود)^(١).

الثالث : ثلاثة أفراس ، قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ كَانَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْخَيْلِ فَرَسٌ مَرْتَدٌ بِنِ أَبِي مَرْتَدٍ الْغَنَوِيِّ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ السَّبَلُ وَفَرَسُ الْمَقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو الْبَهْرَانِيِّ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ بَعْزَجَةٌ وَيُقَالُ سَبْحَةٌ وَفَرَسُ الزَّيْبِرِ بْنِ الْعَوَامِ ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْيَعْسُوبُ^(٢).

والمختار أنه كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فرسان .

الثالثة : كثرة الدروع والسيوف التي عند جيش المشركين من وجوه :

الأول : حال الغنى والثراء التي عليها قريش .

الثاني : عمل قريش بالتجارة ، وسفرهم إلى الشام واليمن وبلاد فارس وغيرها ، مما جعلهم يعرفون الأنواع الجيدة للسلح ، ويقتنونها .

الثالث : دخول قريش المعارك والحروب.

الرابع : استعداد قريش للمعركة في ثلاث أيام ومن رجالات قريش من قام بتجهيز المقاتلين ، ومنهم من أرسل غيره بدلاً عنه .

فمثلاً تخلف أبو لهب عن معركة بدر و(بَعَثَ مَكَانَهُ رَجُلًا)^(٣).

(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قَدِمَ مَكَّةَ بِمُصَابِ قُرَيْشِ الْحَيْسُمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَزَاعِيُّ ، فَقَالُوا : مَا وَرَاءَكَ ؟ قَالَ قَتَلَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو الْحَكَمِ بْنُ هِشَامٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسَدِ ، وَنُبَيْهٌ وَمُنَبِّهٌ ابْنَا الْحَجَّاجِ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ فَلَمَّا جَعَلَ يُعَدِّدُ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ . قَالَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي الْحَجَرِ : وَاللَّهِ إِنْ يَعْقِلُ هَذَا فَاسْأَلُوهُ عَنِّي ؛ فَقَالُوا : مَا فَعَلَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ ؟ قَالَ هَا هُوَ ذَاكَ جَالِسًا فِي

(١) عيون الأثر ١/٣٧٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٦٦٤.

(٣) الروض الأنف ٣/٩٦.

الحجر ، وَقَدْ وَاللَّهِ رَأَيْتُ أَبَاهُ وَأَخَاهُ حِينَ قُتِلَا ﴿ ص ٩٧ ﴾ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ قَالَ أَبُو رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُنْتُ غُلَامًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ دَخَلَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَأَسْلَمَ الْعَبَّاسُ وَأَسْلَمَتِ أُمُّ الْفَضْلِ وَأَسْلَمْتُ وَكَانَ الْعَبَّاسُ يَهَابُ قَوْمَهُ وَيَكْرَهُ خِلَافَهُمْ وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلَامَهُ وَكَانَ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ مُتَفَرِّقٍ فِي قَوْمِهِ وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرِ فَبَعَثَ مَكَانَهُ الْعَاصِيَّ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَكَذَلِكَ كَانُوا صَنَعُوا ، لَمْ يَتَخَلَّفَ رَجُلٌ إِلَّا بَعَثَ مَكَانَهُ رَجُلًا ، فَلَمَّا جَاءَهُ الْخَبَرُ عَنْ مُصَابِ أَصْحَابِ بَدْرِ مِنْ قُرَيْشٍ ، كَبَّتَهُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُ وَوَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا قُوَّةً وَعِزًّا . قَالَ وَكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا ، وَكُنْتُ أَعْمَلُ الْأَقْدَاحِ . أَنْحَتُهَا فِي حُجْرَةٍ زَمَزَمَ . فَوَاللَّهِ إِنِّي لَجَالِسٌ فِيهَا أَنْحَتُ أَقْدَاحِي ، وَعِنْدِي أُمُّ الْفَضْلِ جَالِسَةٌ وَقَدْ سَرْنَا مَا جَاءَنَا مِنَ الْخَبَرِ ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو لَهَبٍ يَجْرُ رَجْلَيْهِ بِشَرِّ حَتَّى جَلَسَ عَلَى طَنْبِ الْحُجْرَةِ فَكَانَ ظَهْرُهُ إِلَى ظَهْرِي ، فَيَنْمَا هُوَ جَالِسٌ إِذْ قَالَ النَّاسُ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (١) .

خُلو القرآن من لفظ السيف معجزة

يكثر العرب من أسماء السيف وقيل أنها تصل إلى ثلاثمائة اسم .

وكل اسم له دلالة خاصة فمن أسمائه :

الأول : الحسام وهو السيف الحاد البتار .

الثاني : الصارم وهو السيف القاطع .

الثالث : البتار الذي يقطع على نحو البتر والقطع .

الرابع : أبهر .

الخامس : أثير .

السادس : باتر .

السابع : براق .

- الثامن : بسطام .
 التاسع : حذيم .
 العاشر : ديسق .
 الحادي عشر : ذو الفقار .
 الثاني عشر : سطام .
 الثالث عشر : سيف .
 الرابع عشر : الصمصام .
 الخامس عشر : الصمصامة أي السيف القاطع ، ويطلق ذات الاسم على الأسد (وأول من سمى السيف صمصامة عمرو بن معدى كرب حين وهب سيفه ثم قال:
 خليل لم أخنه ولم يخني ... على الصمصامة السيف السلام)^(١) .
 السادس عشر : الرداء .
 السابع عشر : الخليل^(٢) .
 الثامن عشر : القضيبي .
 التاسع عشر : الصفيحة .
 العشرين : المقر .
 الحادي والعشرين : المأثور .
 الثاني والعشرين : المقضب .
 الثالث والعشرين : الكهام .
 الرابع والعشرين : الأنيت .
 الخامس والعشرين : المعضد .
 السادس والعشرين : الجراز .
 السابع والعشرين : اللدن .
 الثامن والعشرين : الفطام .

(١) العين ٣٢/٢ .

(٢) أنظر المزهر ١/١٢٧ .

التاسع والعشرين : ذو الكريمة . الثلاثون : المشرفي .

(ومن أسماء السيف، كما ذكر ابن خالويه في شرح الدرديدية: الرِّدَاءُ، والخليل، والقَضْب، والصَّفِيحة، والمُقَرَّر، والصَّمْصَامَة، والمَأْثُور، والمَقْضَب، والكَهَام، والأَنْثِث، والمَعْضَد، والجَرَّازُ، واللَّدَن، والفُطَار، وذو الكَرِيهَة، والمَشْرَفِي، والقُسَّاسِي، والعَضْب، والحُسَام، والمَذْكَر، والهَذَام، والهَذُوم، والمنْصَل، والهَذَاذ، والهَذَاذ، والهَذَاذ، والمَخْصَل، والمَهْذَم، والقاضِب، والمَصْمَم، والمَطْبَق، والضَّرِيَّة، والهِندُؤَانِي، والمَهْنَد، والصَّقِيل، والأَبْيَض، والغَمَر، والعَقِيقة، والمتين، وهو الذي لا يقطع، والهِندِكِي أيضاً، في شعر كثير.

وفي أمالي القالي: الكَرِكْرَة، والكَلْكَل، والْبَرْك، والْبَرْكَة، والجَوْشَن، والجَوْش، والجَوْشُوش، والمَحْزَم والحِيزُوم، والحَزِيم) ^(١).
وعن (أبي عمرو بن العلاء قال: كان لرجل من مَقَاوِل حمير ابنان يقال لأحدهما عمرو وللآخر ربيعة، وكانا قد برعا في الأدب والعلم، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفى على الفناء، دعاهما لِيَلُو عَقُولَهُمَا، ويعرف مبلغ علمهما.

فلما حضرا قال لعمرو - وكان الأكبر: أخبرني عن أحب الرجال إليك وأكرمهم عليك، قال: السيّد الجواد، القليل الأنداد، الماجد الأجداد، الراسي الأوتاد، الرفيع العماد، العظيم الرّماد، الكثير الحُساد، الباسل الذّوَاد، الصادر الورَاد). ^(٢) .

إلى أن قال (فما أحبُّ السيوف إليك يا عمرو؟ قال: الصَّقِيل الحُسَام، الباتِرُ المَخْذَام، الماضي السَّطَام، المُرْهَفُ الصَّمْصَام، الذي إذا هزّزته لم يَكْبُ، وإذا ضربت به لم يَنْبُ، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: نِعَم السيف

(١) المزهر ٢٧/١.

(٢) المزهر ٣٥٧/١.

نَعَتْ وغيره أحبُّ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الحسام القاطع، ذو الرُّونق اللامع، الظَّمآنُ الجائع، الذي إذا هزَّزته هَتَكَ، وإذا ضربت به بَتَكَ. قال: فما أبغض السيوف إليك يا عمرو؟ قال: الفُطَارُ الكَهاَم، الذي إن ضُرِبَ به لم يقطع، وإن ذُبِحَ به لم يَنخَع، قال: ما تقول يا ربيعة؟ قال: بئس السيف واللَّه ذكر وغيره أبغضُ إليَّ منه، قال: وما هو؟ قال: الطَّبَعُ الدَّدَان، المعضدُ المَهان. (١).

وفي أمالي القالي: الكَرِكْرَة، والكَلْكَل، والبرك، والبركة، والجوشن، والجوش، والجوشوش، والمِحْزَم والحِيزُوم. (٢).

وقال الراجز:

غَرَّكَ مِنْ هَنَادَةِ التَّهْنِيدُ مَوْعُودُهَا وَالْبَاطِلُ الْمَوْعُودُ
والتَّهْنِيدُ: شَحَذُ السَّيْف. وقال:

كُلُّ حَسَامٍ مُحْكَمُ التَّهْنِيدِ

وأصل التَّهْنِيدِ فِي السَّيْفِ أَنْ يُطَبِّعَ بِلَادَ الْهِنْدِ وَيُحْكَمَ عَمَلُ شَحْذِهِ حَتَّى لَا يَنْبُو عَنِ الضَّرْبِ يَقَالُ: سَيْفٌ مُهْنَدٌ وَهِنْدِيٌّ وَهِنْدَوَانِيٌّ إِذَا سَوَى وَطَبِّعَ بِالْهِنْدِ. (٣).

والمهند وهو اسم للسيف الرقيق الحاد المصنوع في اليمن، وقد ذكره صاحب قصيدة البردة كعب بن زهير بن أبي سلمى في مدح النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٍ يَسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولٌ. (٤).

وكعب بن زهير وأمه كبشة السحيمية من بني غطفان وهي أم سائر أولاد زهير^(١)، شاعر مخضرم، عاش في نجد، لم تحدد ولادته وكانت وفاته سنة ٢٦ للهجرة، ٦٤٥ م.

(١) المزهر ١/٣٥٩.

(٢) المزهر ١/١٢٧.

(٣) تهذيب اللغة ٢/٣٠٦.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٥٠٨.

وهو من أسرة توارثت الشعر ، فابوه الشاعر زهير بن أبي سلمى وهو أحد أصحاب المعلقات .
ومعلقة زهير بن أبي سلمى قالها في الصلح الذي تم بين عبس وذبيان وأولها:

أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ ... بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَّكِلِمْ
وَدَارَ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا ... مَرَا جِيعٌ وَشَمٌّ فِي نَوَاشِرِ مَعْصَمٍ^(٢).
(أَمِنْ أَمْ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ ... بِحَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُتَّكِلِمْ)^(٣).

وعن الشعبي : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن كعب بن زهير بن أبي سلمى هجاه ونال منه، أهدر دمه، فكتب إليه أخوه بجير بن زهير، وكان قد أسلم وحسن إسلامه، يعلمه أن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، قد قتل بالمدينة كعب بن الأشرف، وكان قد شرب بأم الفضل بن العباس وأم حكيم بنت عبد المطلب.

فلما بلغه كتاب أخيه ضاقت به الأرض ولم يدر فيما النجاة، فأتى أبا بكر، فاستجاره، فقال: أكره أن أجير على رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أهدر دمك.

فأتى عمر، ، فقال له مثل ذلك، فأتى علياً، فقال: أدلك على أمر تنجو به.

قال: وما هو؟ قال: تصلي مع رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا انصرف فقم خلفه .

وقل: يدك يا رسول الله أبايعك! فإنه سيناولك يده من خلفه، فخذ يده فاستجره، فإني أرجو أن يرحمك، ففعل، فلما ناوله رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، يده استجاره، وأنشد قصيدته التي يقول فيها: البسيط

(١) الأغاني ٤/٤٥٥ .

(٢) معاهد التنصيص ١/١٠٨.

(٣) جمهرة اللغة ١/٢١٧.

وقال كلُّ خليلٍ كنتُ أمُّهُ : ... لا ألَهِينَكَ إنِّي عنكَ مَشْغُولُ
 فقلتُ: خلّوا سبيلي، لا أبأ لكم ... فكلّ ما قَدَرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
 أنبئتُ أن رسولَ الله أوعَدَنِي ... والعَفْوُ عندَ رسولِ الله مأمولُ
 فلما فرغ منها قال له النبي، صلى الله عليه وآله وسلم : أذكر الأنصار ،
 فقال: الكامل

مَنْ سَرَهُ كَرَمُ الحَيَاةِ فلا يَزَلْ ... في مِقْنَبٍ مِنْ صالحي الأنصارِ
 الناظرينَ بِأَعْيُنٍ مُحَمَّرَةٍ ... كالجَمَرِ غيرِ كَلِيلَةِ الأبصارِ
 فالغُرُ مِنْ غَسَّانٍ في جُرْثُومَةٍ ... أَعْيَتْ مُحَافِرُهَا على المنقارِ
 صالوا عَلَيْنَا يومَ بَذَرِ صَوْلَةٍ ... دَأَنْتُ لَوَقَعَتِهَا جميعَ نِزارِ
 وهي طويلة^(١).

ولامية كعب بن زهير أو قصيدة البردة وخمسها وشرطها وعارضها الشعراء ، وتخميس الشعر هو أن يؤخذ بيت شعر من قصيدة مشهورة لشاعر آخر على نحو مستقل ويؤتى بثلاثة أشر جديدية ثم يجعل صدر ذات بيت الشعر عجز بيت الشعر الثاني ، ثم يأتي بعجز بيت شعر فيكون شطراً خامساً .

مع مراعاة مناسبة اللفظ والمعنى بين الشعر الأصلي والأسطر الثلاثة الجديدة .

أما التشطير فهو أخذ قصيدة مشهورة وتقسيم كل بيت منها إلى شطرين وبعد كل شطر منهما يأتي الشاعر بشرط آخر من عنده.

أما المعارضة في الشعر فإن الشاعر يأتي بنظم شعر موافق لشعر آخر في موضوع مخصوص ، ويكون مشابهاً له في البحر والموضوع والقافية ، وكأنه نوع تنافس وتباري في الشعر.

كما ترجمت قصيدة كعب بن زهير اللامية إلى أمهات اللغات العالمية^(٢)، وطبع ديوان كعب طبعات متعددة لما لقصيدته هذه من البركة.

(١) جمهرة أشعار العرب ٨/١.

(٢) قام المستشرق رينيه باسيه ، بترجمتها إلى الفرنسية ، وشرحها شرحاً وافياً مع

وفي عفو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عنه شاهد على أنه لا يريد القتل أو سفك الدماء ، فمع بقاء هجاء كعب للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الألسن فحينما أسلم كعب ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم باصراره على البقاء على الكفر وبقصيدته تلك إذ قال له : أنت القائل :

ألا أبلغا عني بجيراً^(١) رسالة ... على أي شيء ويب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
سقاك أبو بكر بكأس روية ... فأنهلك المأمور منها وعلكا^(٢).

فقال كعب ما قلت هكذا يا رسول الله إنما قلت : المأمون ، ثم انشده قصيدته التي أولها بانت سعاد فقلبي اليوم متبول.

وقد عفى عنه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ليس لأنه قال شعراً ينسخ تلك القصيدة ، إنما لأن النبي لا يقتل من دخل الإسلام وإن أساء وظلم وحارب المسلمين ، وقتل منهم ، إذ أن الإسلام يجب ما قبله ، ولأن الذين قتلوا من المسلمين كانوا شهداء ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٣).

ويلزم تأليف مجلد خاص في : قانون عفو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنه :

الأول : عفو النبي عن الذين دخلوا الإسلام .

الثاني : عفو النبي عن الذين تابوا .

الثالث : عفو النبي عن الذين أجزموا ثم أصلحوا .

الرابع : عفو النبي عن الذين حاربوا المسلمين ثم أسلموا .

مقدمة عن شخص الشاعر كعب بن زهير.

(١) بجيرا بن زهير أخو كعب بن زهير وقد أسلم وهاجر إلى المدينة.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ٥٩٣//٥.

(٣) سورة البقرة ١٥٤.

ومع تغني العرب بالسيف في أشعارهم وأحاديثهم ، وذكرهم لأسمائه ودلالة كل اسم منها على معنى مخصوص وأثر السيف ونوعه في المبارزة والقتال ، ووجود سيوف خاصة لبعض الذوات يضرب بها المثل ، فإن القرآن نزل خال من لفظ السيف ، لبيان قانون وهو أم ذكر وتعداد سيوف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذكر سيف الإمام علي عليه السلام ذي الفقار إنما هي سيوف دفاعية بدليل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج لمعركة بدر وليس معه سيف .

وخلو القرآن من ذكر السيف معجزة له خاصة وأنه نزل بلغة العرب ، وذكر الأمور التي يعتنون بها ، ولكنه لم يذكر السيف مع شدة عناية العرب به وأثره ، لبيان قانون وهو أن القرآن لم ينزل بالقتال والحرب ، إنما نزل بأمور:

الأول : البيان ، قال تعالى ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) ، ليكون من عموم تبيان القرآن عدم ذكره للسيف ، والذي يدل بالدلالة الإلزامية على أن الإسلام لا يلجأ إلى السيف إلا لضرورة ولغرض الدفاع .

الثاني : الدعوة إلى الله بالحكمة والبرهان ، قال تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾^(٢) .

الثالث : العفو والرحمة ونشر شآبيب المودة .

الرابع : البلاغ والوعد والوعيد .

لقد رزق الله عز وجل الإنسان العقل ليكون الآلة التي تتلقى الخطابات الإلهية ، ويميز بين الحق والباطل ، ويقود الجوارح لفعل الصالحات .

الخامس : تجلي معاني اللطف الإلهي بالقرآن ، إذ تقرب كل آية منه الناس إلى سبل النجاة ، قال تعالى ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ

(١) سورة النحل ٨٩ .

(٢) سورة النحل ١٢٥ .

وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١١﴾

ومن الشواهد على أن الله عز وجل لا يريد للناس الإقتال ما يتعلق بخلق آدم من جهات :

الأولى : تفضل الله بالنفخ من روحه في آدم ، لينبسط هذا النفخ كل ذرية آدم إلى يوم القيامة ، وهل يشمل أطفال الأنابيب ، وأطفال الإستنساخ على فرض حدوثه في الأزمنة اللاحقة القرية ، الجواب نعم .

الثانية : خلق حواء زوج آدم.

الثالثة : سكن آدم وحواء برهة من الزمان في الجنة.

الرابعة : هبوط آدم وحواء ، فلم يخلق الله عز وجل في الجنة عدة رجال ، إنما خلق رجلاً وامراً ليتكاثر نسلهما ، وفيه شاهد على وجوب إنتفاء القتال بين الزوجين ثم بين الابناء ووالديهم ، ثم بين الأخوة والابناء ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢)، وتنتهى كل كلمة من الآية عن الشقاق والقتال .

وبلغت أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نحو ستين ألف حديث وتبلغ أحاديث الفقه والأحكام والحدود والقتال أقل من معشار هذه الأحاديث إذ وردت أحاديث كثيرة في التفسير والرحمة وحسن الخلق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبر الوالدين ، وهو من مصاديق ققوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٣) .

(١) سورة الاسراء ١٥.

(٢) سورة النساء ١.

(٣) سورة التوبة ١٢٨.

وفي الآية بعث للعناية العامة من قبل المسلمين والمسلمات بسيرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقيل كان يجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أصحابه مثل مكان المائدة من القوم إذ يحيطون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حلقة ثم حلقة ثم حلقة وهو في وسطهم ، لذا كان من الصعب على العدو أن يصل إليه وهو بين أصحابه ، فإذا جاء شخص ظنّ به الصحابة سوءَ زجروه ومنعوه ، وأحياناً يأذن له النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويقول : خلوا بينه وبينى ، ودعوه يأتي لبيان معجزة حاضرة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في سلامته من أعدائه ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) .

لقد ابتدأ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تبليغ رسالته ولسنوات إلى الناس من دون أن يحمل سيفاً ، وهو معجزة له ، إذ كان الناس لا يمشون إلا وهم يحملون الأسلحة وبالخصوص السلاح الشخصي ، وكان القتل والإغتيال قريباً من الشخص واتخذ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الأشهر الحرم مناسب للتبليغ ، ومواطن مناسك الحج موضعاً لدعوة الناس إلى الإسلام ، وفي الغالب لا يحتاج الإنسان في الأشهر الحرم حمل السيف .

وفي قوله تعالى ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾^(٢) قال (حواجز أبقاها الله في الجاهلية)^(٣) .

(١) سورة المائدة ٦٧ .

(٢) سورة المائدة ٩٧ .

(٣) الدر المنثور ٤٩٠/٣ .

فكانت صورة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي يتناقلها الناس هو ذاك القديس الأعزل عن السلاح الذي يتلو القرآن ، ويدعو الناس إلى عبادة الله ، ونبد الأصنام .

ومن الآيات أن دعوته هذه بجوار البيت الحرام ليكون ذات البيت عضداً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أن البيت يرفض الأصنام ، وبينه وبينها تضاد وتناف .

ليكون من معاني قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِكَهْمُ مَبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(١) ، أن البيت موضوع من عند الله للناس ، فليس للناس أن يضعوا فيه الأصنام ، فالموضوع له لا يجوز له التصرف في الموضوع ، خاصة وأنه من عند الله .

وتبين الآيات علة وضع البيت والغايات منه قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَسَاجِدَ لِلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٢).

لقد أنعم الله عز وجل على أهل الأرض بنزول القرآن ، وهو من مصاديق الخلافة في الأرض ، ومن الآيات أن مسألة خلق وخلافة آدم ذكرت في بدايات القرآن ، والآيات الأولى من سورة البقرة ، إذ قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ * وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم * قال يا آدم أنبئهم

(١) سورة آل عمران ٩٦.

(٢) سورة البقرة ١٢٥.

بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَازْلَمَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١﴾.

فمن خصائص القرآن أنه جامع لأحكام الشريعة ، وضياء مانع من الزلل والتفريط والتحريف ، وصراط مستقيم يهدي إلى النجاة في النشاطين ، ولا تختص هذه النجاة بالقضية الشخصية إنما تشمل النوعية وصلاح الأمة ، ومنع الفتنة ، وليس في ألفاظ القرآن إلا ما هو لطف تتجلى فيه مصاديق الرحمة والعفو والرزق وأسباب السعادة .

فان قلت في القرآن إنذارات فهل هي من السعادة ، الجواب نعم لما فيها من لزوم الإحتراز من المعاصي وفعل السيئات ، ولا يعلم ما اجتنبه الناس من المعاصي بسبب القرآن وإنذاراته إلا الله عز وجل .

فمن خصائص إنذارات القرآن أمور :

الأول : الوعيد والإنذار من العذاب الأخروي .

الثاني : التخويف من النار وشدة عذابها ، ومن إعجاز القرآن تصوير النار وكأنها حاضرة في الوجود الذهني .

الثالث : الزجر عن فعل المعاصي .

ومن الآيات في إعجاز القرآن عدم إكتفائه بالإنذار من المعاصي والكبائر على نحو الإجمال ، إنما ورد ذكرها فيه على نحو التفصيل والبيان ، وجاءت السنة النبوية للتفسير والبيان والتأكيد خاصة وقد ورد النهي عن المعاصي والسيئات في القرآن وبيان قبحها على نحو متكرر ومنها الربا ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) ، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّقِهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢) ، وهكذا بالنسبة للمعاصي الأخرى مثل الزنا والسرقة وعقوق الوالدين واللواط والظلم وعموم الكبائر ، والإصرار على الصغائر .

وجاء القرآن بالتوبة من جهات :

الأولى : وجوب التوبة والحاجة إليها .

الثانية : الندب إلى التوبة .

الثالثة : كفاية التوبة والإستغفار لرجاء محو الله الذنوب ، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس كبيرة بكبيرة مع الاستغفار وليس صغيرة بصغيرة مع الإصرار^(٤) .

الرابعة : حب الله عز وجل للذي يتوب ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٥) .

(١) سورة آل عمران ١٣٠ .

(٢) أنظر الأجزاء ٨٩-٩٠-٩١-٩٢ من هذا التفسير التي اختصت بتفسير هذه الآية .

(٣) سورة البقرة ٢٧٥ .

(٤) الكشف والبيان ٣/٢٣٤ .

(٥) سورة البقرة ٢٢٢ .

الخامسة : الدعوة إلى التوبة من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحث على التوبة من مصاديق قوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(١).

ولم يرد لفظ السيف في القرآن سواء في موضوع قتال المشركين أو في الإصلاح بين الناس ، أو في تثبيت حكم الإسلام ، مع ورود حكم القصاص فيه ، قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

وفيه تحذير وإنذار من نشر ثقافة القتل وسفك الدماء ، وهذا الإنذار لازم خلق آدم كما ورد في احتجاج الملائكة على خلافة الإنسان في الأرض ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وفي الآية أعلاه دعوة للناس لإجتنب الفساد ، وإشارة إلى مسألة وهي أن الفساد قد يؤدي إلى القتل والإقتتال ، وما أن مرت بضع سنوات على بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى تجلّى مصداق لهذا القانون بأن أظهر كفار قريش الفساد ثم سفكوا الدماء.

فنزل عدد من الملائكة الذين احتجوا على خلافة الإنسان في الأرض لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في معارك الإسلام الأولى .

ترى هل من تضاد بين احتجاجهم هذا ونزولهم للنصرة يوم بدر وأحد ، والحنديق وحنين ، الجواب لا ، من جهات :

(١) سورة المائدة ٢.

(٢) سورة البقرة ١٧٩.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

الأولى : نزول الملائكة لنصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، فمن علم الله تعالى أمره تعالى لهم بالإعانة في قطع دار الفساد.

الثانية : من خصائص الملائكة طاعة الله ، والإستجابة التامة لأوامره ، وفي الثناء عليهم ورد في التنزيل ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢).

الثالثة : من معاني الآية أعلاه من سورة البقرة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٣)، توصل وتضرع الملائكة إلى الله لإستئصال الفساد في الأرض ، فيكون نزولهم للنصرة استجابة لدعائهم. ولو دار الأمر بين إرادة الملائكة الإحتجاج أم الدعاء فالصحيح هو الثاني ، لأنهم يتصفون بالخشوع والخضوع التام لله عز وجل.

الرابعة : بيان قانون وهو عدم أمر الله للأنبياء بالقتل وسفك الدماء بغير حق .

الخامسة : تحذير الذين كفروا من مقابلة الأنبياء والتنزيل بالكذب وإشهار السيوف ، وهل هذا التكذيب من الفساد الذي ذكره الملائكة ، الجواب نعم .

السادسة : من معاني الآية وجوه :

الأول : أتعجل فيها من يفسد فيها إلى جانب من يصلح فيها.

الثاني : أتعجل في الأرض من يفسد في مسألة الخلافة بما يعيق عمل الناس عامة بأحكامها ، فالضمير في ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ يعود للأرض ، أما الضمير

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة التحريم ٦.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

في ﴿يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فيحمل على المعنى الأعم فيشمل الأرض ويشمل الخلافة مع التسليم بأن الخلافة خير محض .

فمن معاني (في) المصاحبة ، كما لو قلت صمت في الإعتكاف ، أي مع الإعتكاف .

فيكون تقدير الآية : أتجعل فيها من يفسد مع الخلافة) .

فمع وجود الأنبياء والصالحين هناك من يرتكب المعاصي ، فأخبر الله عز وجل بالقول ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) ، فمن علمه تعالى أمره للملائكة للنزول إلى الأرض لنصرة الأنبياء .

الثالث : أتجعل فيها من يفسد فيها ونحن مستعدون لإزاحة الفساد إذا أذنت لنا .

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب^(٢) .

الرابع : اللهم لا تجعل فيها من يفسد فيها .

الخامس : اللهم اجعل الناس جميعاً شاكرين على الخلافة ويتجنبون الفساد ، وهل نفع دعاء وقول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

الدَّمَاءَ﴾^(٣) في إصلاح الناس ، الجواب نعم ، فمن الآيات وجوه :

الأول : أعوان وأنصار لكل نبي من الأنبياء ، وصيرورة أتباع له حتى بعد وفاته ، فمن خصائص النبي استمرار أثر ونفع نبوته في أيام حياته وبعد مماته ، إذ يحيي أتباعه سنته ، ويظهرون التسليم بنبوته .

وهل توارث بشارته بالرسول الذي يأتي من بعده من مصاديق هذا الإحياء ، الجواب نعم ليكون زاجراً للمشركين عن محاربة الأنبياء ، ولكن

(١) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) عيون الأثر ١/٣٣٨ .

(٣) سورة البقرة ٣٠ .

الغرور والطغيان ركبا كفار قريش واعتدوا بجوارهم وولايتهم للبيت الحرام وقيامهم بشؤونه وخدمة وفد الحاج وتسليم الناس بما لهم من الجاه والشأن ، فجهزوا الجيوش لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ، فأمر الله الملائكة بالنزول لصدّهم ودفعهم ، قال تعالى ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١).

و (عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لنومك على السرير بين والديك تضحكهما ويضحكانك أفضل من جهادك بالسيف في سبيل الله)^(٢).

والحديث أعلاه مرآة للسنة النبوية الشريفة في ذكر السيف فلم يرد فيها ذكر القتال والغزو ، إنما ورد فيها ذكر السيف على أنه مفضول ، إذ أعطى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذناً لأحد الصحابة بترك السيف ، وبيان أن أفضل منه بر الوالدين ، ترى لماذا قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع حاجته للرجال فيه وجوه :

الأول : بيان قانون وهو بر الوالدين جهاد في سبيل الله .

الثاني : قانون صدق الجهاد في سبيل الله في المنزل والعائلة .

الثالث : قانون وجوب الأخلاق الحميدة ، وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)^(٣).

الرابع : كفاية الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في ميادين القتال ، قال تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٤).

الخامس : لم يكتف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذكر السيف ، إنما ذكر معه الجهاد لبيان الإطلاق في أفضلية بر الوالدين وأنه سبيل لنشر مبادئ

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) الدر المنثور ٦/٢٥٣.

(٣) المحرر الوجيز ٦/٣٩٤.

(٤) سورة الزمر ٣٦.

الإسلام ، وفيه حجة على الذين حاربوه من الكفار ، وباعث للطمأنينة في نفوس الصحابة برد كيدهم إلى نحورهم وعجزهم .
وما دام موضوع بحثنا هذا هو خلو القرآن من لفظ السيف ، ففي نزول الملائكة وجوه :

الأول : نزول الملائكة ومعهم سيوف ، ويمكن تسميتها السيوف السماوية أو الملكوتية .

الثاني : بعد أن نزل الملائكة إلى الأرض حملوا سيوفاً ، قال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

الثالث : ليس مع الملائكة سيوف ، إنما كانوا يضربون الكفار بالتسيح والذكر والتسمية .

الرابع : التعدد في آلة الحرب ، ومن الملائكة من يحمل سيفاً ، ومنهم لا يحمل سيفاً .

والمختار هو الأخير ، قال تعالى ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾^(٢) وعن أبي داود المازني قال (بينما أنا أتبع رجلاً من المشركين يوم بدر ، فاهويت إليه بسيفي فوق رأسه قبل أن يصل سيفي إليه ، فعرفت أن قد قتلته غيري)^(٣).

(وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال : لقد رأيت يوم بدر وأن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف.

(١) سورة الحديد ٢٥.

(٢) سورة الأنفال ١٢.

(٣) الدر المنثور ٤/٤٢٥.

وقال ابن عباس : حدثني رجل عن بني غفار قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتى صعدنا في جبل ليشرف بنا على بدر ونحن مشركان نتظر الواقعة على من يكون الدبرة فنتهب مع من ينتهب .
قال : فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حممة الخيل . فسمعت قائلاً يقول : أقدم حيزوم قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات أما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت ^(١) .

قانون بيت النبي (ص) هو المسجد

لقد ولد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على بعد أمتار معدودة عن المسجد الحرام ، لتكون موضوعية للمسجد الحرام في دعوته وانطلاق تبليغ أحكام رسالته من المسجد .
ومن الآيات أن البيت الذي ولد فيه صار وكأنه جزءاً من البيت الحرام في هذا الزمان ، وكان جده قصي بن كلاب قد أنشأ (دار الندوة) وهي ملاصقة للمسجد الحرام ، لتكون محل إجتماع رجالات قريش وعرضهم للمسائل ذات الشأن أو وذكر أحوال الناس وتداول شؤون موسم الحج وسرد أخبار الأمم السابقة والملوك ، وأيام العرب والعجم والأشعار التي ذكرت فيها ، كما كانت قريش تجلس في البيت الحرام ، وهو محل لقائهم بالقبائل والتجار والمعتمرين والحجاج الذين يفدون إلى مكة ، ومن أراد رجلاً من قريش دخل المسجد الحرام ، وطاف بالكعبة ، وسأل عنه إذ أن حضورهم في البيت على نحو يومي .

فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صباه يحضر إلى البيت ويرى الأصنام المنصوبة فيه فيزداد غمّاً للفترة والعصمة ومقدمات النبوة .
وعندما جاء أبرهة بجنوده لم يستطع استباحة البيت لحرمته البيت عند الله ، ولم يكن سخط الله على قريش لوجود الأصنام سبباً لتمكين أبرهة منهم ، إنما ابتلاه وجنوده وصدّه عن المسجد الحرام ليتوبوا ويصدقوا ببعثة

(١) الكشف والبيان للثعلبي ١٩/٦ .

النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لذا ورد جواز الوصل بين آخر سورة الفيل وبداية سورة قريش ، كما في قوله تعالى ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾^(١) ﴿إِلَّا يَلَافُ قُرَيْشٌ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾^(٢).

(عن صفية بنت شيبة قالت : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخاطب عام الفتح فقال : يا أيها الناس إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والأرض وهي حرام إلى يوم القيامة ، لا يعصده شجرها^(٣) ، ولا ينفر صيدها ، ولا يأخذ لقطنها إلا منشدة ، فقال العباس : إلا الإذخر فإنه للبيوت والقبور . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إلا الإذخر^(٤) ، وفي رواية أن العباس قال (يا رسول الله ، إلا الإذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا؛ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إلا الإذخر)^(٥) .

والمراد من القيون الحدادين والصاغة ، وذكر العباس القبور لأنهم كانوا يفرشونها بالإذخر ، ويسطونه فيها ، وليس المراد التطيب به لورود خبر آخر باقتران الحشيش به ، وقد يصل طول ورقة الإذخر إلى تسعين سنتمتراً وأن صار الناس يستخرجون من عشبة الإذخر الزيت العطري وتستعمل بالطب الشعبي والتقليدي في أمريكا الجنوبية لعلاج التشنج والتقيؤ والسعال ،

(١) سورة الفيل ٥.

(٢) سورة قريش ١-٢.

(٣) العَصْدُ : قطع الفروع والأغصان الكبيرة العارضة التي تنبت على شوق الشجر ، ويسمى في هذا الزمان : التقليم ، ويأتي التعصيد بمعنى القطع أي اقتلاع الشجرة ، وضربها فينثر ورقها والمقصود الشجر الذي ينبت الله تعالى ، وليس بزراعة وتعاهد الإنسان والذي يجوز قطعه وعليه المشهور ، وكذا يجوز قطع الشجر الضار في ذاته أو موضوعه أو صيرورته عثرة في الطريق ، فقد جاز قتل الحيوان الضار ، فيكون اقتلاع الشجرة والنبت الضار من باب الأولوية ، وعمومات قاعدة لا ضرر ولا ضرار في الإسلام .

(٤) الدر المنثور ١/٣٣٦.

(٥) الكشف ٧/٢٩١.

وتستخدم لخفض الحرارة وتسكين الألم كما تستعمل في المطبخ إذ تضاف إلى الحساء والشاي ، وفيها عدد من الفيتامينات ، ولعل العباس ذكر بعض أفراد استعمالهم للإذخر آنذاك إيجازاً.

لقد اتخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسجد بيتاً له ، من جهات :
الأولى : إقامة الصلاة ، ولقد نزل القرآن بتقبيح وتحريم الظلم والوعيد عليه بالعذاب الأليم ، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾^(١).

وكانت السنة النبوية جهاداً لنبد الظلم والتنزه عنه ، مع توجيه اللوم على أدنى ظلم ، و(من رواية أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "إن الله تعالى يقول: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، فممن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)"^(٢).

الثانية : تلاوة آيات القرآن.

الثالثة : الدعوة إلى الإسلام .

الرابعة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الخامسة : بيان قبح عبادة الأوثان والتقرب إليها أو اللجوء إليها في المهمات وعند الخصومة .

السادسة : بيان قانون وهو زهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومصاحبة هذا الزهد له في أيام حياته ، فليس عنده قصر أو ضياع أو خيل ولإبل ، إنما اكتفى بالمسجد خيمة ومنبراً ومحلاً للعبادة .

(١) سورة الفرقان ٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٧٧/٤.

السابعة : تأديب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه وملوك وأمراء المسلمين بلزوم التواضع والزهد والمسكنة وعدم اللهث وراء زينة الدنيا عند انبساطها وتدافع النعم عليهم .

و(عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : " اللَّهُمَّ ، أَحْبِبْنِي مَسْكِينًا ، وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا ، واحشرنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ : لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ !) .

قال : إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا ، يَا عَائِشَةُ ، لَا تَرُدِّي الْمَسْكِينِ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، يَا عَائِشَةُ ، أَحْبِبِي الْمَسَاكِينِ وَقَرِّبِيهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْرَبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (١) .

الثامنة : إرادة قرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفقراء والناس جميعاً والإنصات إلى مسألتهم وتلبية حاجاتهم ، والإجابة على استئلتهم ، لذا تكرر في القرآن قول ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ خمس عشرة مرة ، قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْآقِرِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٢) .

ليبان أولوية العناية بالوالدين ، وتعاهد ذوي القربى بالإنفاق وكذا الفقراء وذوي الحاجة .

التاسعة : من خصائص دخول المسجد والإقامة فيه تعاهد الفرائض العبادية وأداء الصلاة في أوقاتها جماعة ليفوز المؤمن بالثواب من وجوه :

الأول : ثواب خطوات المشي إلى المسجد والصلاة فيه .

(١) تفسير الثعالبي ١٨٤/٤ .

(٢) سورة البقرة ٢١٥ .

الثاني : عمارة المسجد ، وترغيب الناس بدخوله ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾^(١).

الثالث : أداء الصلاة .

الرابع : إتقان الصلاة ومقدماتها كالوضوء .

الخامس : تلاوة القرآن في الصلاة وخارجها .

السادس : التدارس في علوم القرآن وأحكام الإسلام مع جماعة المسجد.

السابع : ثواب أداء الصلاة جماعة (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)^(٢) وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (إن الله يستحي من عبده إذا صلى في جماعة ثم سأله حاجة أن ينصرف حتى يقضيها)^(٣).

الثامن : تنمية ملكة الأخوة الإيمانية ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾^(٤).

التاسع : الدلالة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يسعى إلى الغزو والقتال ، وأنه لم ينشأ ميادين للتدريب والتمرين على السلاح داخل المدينة ، وفي أطرافها ، ويقوم فيها لترغيب الصحابة على القتال وتدارس مسائله ، والتخطيط فيه إنما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجلس في المسجد لبيان رجاء رحمة الله ، والتضرع إليه ، والإنقطاع إلى ذكره ، ومن الموعظة في كل زمان إدراك المسلمين والناس أن بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سورة التوبة ١٨.

(٢) مسند أحمد ١١/١١٦.

(٣) البحار ٤/٨٥.

(٤) سورة الحجرات ١٠.

وآله وسلم كان ملاصقاً للمسجد النبوي ، وبيته عبارة عن غرف صغيرة ، لكل زوجة من زوجاته غرفة منها ، ومع مجئ الأنفال والغنائم ، وتقادم الأيام فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يجدد بناء بيوت أزواجه ولم يجعل فيها الأثاث والأفرشة الكثيرة .

وفي مكة قبل الهجرة عندما لجأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت الأرقم بن أبي الأرقم لتبليغ الدعوة ويلتقي بأصحابه خفية عن كفار قريش فهل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الأيام يذهب إلى المسجد الحرام ويصلي فيه ويدعو الناس إلى الإسلام الجواب نعم ، خاصة وأن دار الأرقم تقع على جبل الصفا أي بين المسجد الحرام وبيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى التراحم بين الناس ، ويبين أن الإسلام دين الرحمة والعفو ، ويحرم الظلم والإرهاب والنسبة بينهما هو العموم والخصوص المطلق ، فالظلم أعم .
(وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : { وأن المساجد لله } قال : لم يكن يوم نزلت هذه الآية في الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس .) ^(١).

(وعن العباس بن عبد المطلب ،

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : إذا سجد العبد سجد معه سبعة فإن جعلت المساجد المواضع فواحدها مسجد بكسر الجيم ، وإن جعلت الأعضاء فواحدها مسجد بفتح الجيم) ^(٢).
وعن الإمام علي عليه السلام (في قوله تعالى : " وأن المساجد لله " الآية ما سجدت به من جوارحك لله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا) ^(٣).

(١) الدر المنثور ١١٨/١٠ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٢٩٦/١٣ .

(٣) البحار ٢٤٩/٦٧ .

قانون معجزات النبي في كل كتيبة

يمكن تأليف مجلد أو مجلدات خاصة بهذا العنوان ، ويستلزم بيان مصاديق هذا القانون وجوهاً :

الأول : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طريق الهجرة الى المدينة ، وقد تقدم البيان .

الثاني : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السرايا التي بعثها حول المدينة.

الثالث : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سرايا الإستطلاع.

الرابع : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في توجهه إلى الأبواء في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة .

الخامس : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في توجهه إلى غطفان وتسمى (الفرع) في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة ، والفرع قرية تبعد عن المدينة ثمانية برد في طريق مكة .

ومن حين دخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة مهاجراً إلى شهر صفر من السنة الثانية أسلم الأوس والخزرج ، عدا قليل من الأفراد والفروع والذين أسلموا بعد معركة بدر ، وهو من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليكون دخول أهل المدينة الطوعي في الإسلام على نحو دفعي معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وشاهداً على أنه لم يتخذ السيف وسيلة للدعوة إلى الإسلام .

السادس : معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في توجهه إلى بواط في شهر ربيع أول من السنة الثانية ، ولم يلق كيداً.

السابع : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر الأولى في شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة ، وفرار العدو من بين يديه ، وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾^(١) ، أم أن هذه

الآية خاصة بواقعة الخندق التي وقعت في السنة الخامسة للهجرة ، ولعدم القول بالإستصحاب القهقري في علم الأصول ، الجواب هو الأول .
فمن الإعجاز في الآية أعلاه مجيؤها بصيغة الفعل الماضي (وكفى) فصحيح أن سبب نزول الآية هو واقعة الخندق وقتل الإمام علي عليه السلام لعمر بن ود العامري ، ولكن موضوعها أعم لبيان قانون وهو كل صرف لمعركة وقتال أيام النبوة فضل من الله عز وجل ، ونوع مقدمة وطريق للهداية والرشاد .

ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينو الخروج إلى معركة بدر الأولى ، وبعد أن مضى على عودته من كتيبة العشرة أقل من عشرة أيام حتى قام نفر من المشركين عليهم كرز بن جابر الفهري بالإغارة على سرح المدينة إذ كانت إبلهم ومواشيهم ترعى في نواحيها .

فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طلبه ولم يدركه ، ووصل إلى صفوان ، وتسمى غزوة بدر الأولى ، مع أن النبي لم يخرج إلا للدفاع عن أموال أهل المدينة ولطرد العدو ، ولم يقع فيها قتال ، واكتفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بانصراف العدو ، ومبادرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للخروج بنفسه في هذه الواقعة وعودته من غير مواصلة مطاردة العدو معجزة له ، وشاهد على أنه لم يغز أحداً ، وأن تسمية غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس حقيقة وواقعاً ، إنما هو نوع مجاز .

ومن المعجزات في هذه الكتيبة أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خرج بنفسه خلف كرز وأصحابه لمسائل :

الأولى : بيان حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أموال أهل المدينة كافة .

الثانية : بعث رسالة لعموم المشركين بحصانة المدينة ونواحيها .

الثالثة : الرجوع عند بلوغ حد معين ، وعدم ملاحقة العدو ، فقد يكون في هذه الملاحقة نوع استدراج ومكر من العدو .

الرابعة : بيان مسألة وهي الإكتفاء بتخويف العدو ، وإجتنب القتال .

الخامسة : موضوعية المراعي والسرْح لأنعام أهل المدينة .

وذكر ابن سعد وزر بن حبيش وغيرهما هذه الكتبية قبل العشيرة ، بينما ذكرها ابن إسحاق بعدها ^(١) .

ومن الإعجاز في ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمشرِكين يفرون أن رئيسهم كرز بن جابر الفهري أسلم ، وقتل يوم فتح مكة إذ كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبيان قانون وهو أن سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الدفاعية وسيلة مباركة لدخول الناس الإسلام .

الثامن : معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في التوجه إلى ذي العشيرة في شهر جمادى الأولى من السنة الثانية ، وهل عقده ميثاق أمان وعدم اعتداء مع بني مدلج اثناء خروجه في هذه الكتبية من معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم ، الجواب نعم .

لقد خرج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذي العشيرة ومعه مائتان من أصحابه ، ومن معجزاته أنهم عادوا وليس من غنائم معهم ، ولم يسألوا الأجر والنفع المالي ، إنما كانوا فرحين بفضل الله راضين بالرجوع بأمان ، فذات الخروج في كتائب ثم العودة بسلام معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة بلحاظ أنه خرج من مكة خائفاً مهاجراً ، قال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ^(٢) .

وهل من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الكتبية عدم وقوع قتال أو قتل ، الجواب نعم ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ^(٣) .

(١) أنظر عيون الأثر ٢٠١/١ .

(٢) سورة الأنعام ٩٠ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧ .

التاسع : معجزات توجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بحران إذ خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دورية أفرادها ثلاثمائة من الصحابة ، بعد أن بلغه أن جمعاً من سليم يريدون الإغارة على المدينة ، ففرقوا ليكون هذا الخروج زاجراً للقبائل عن مهاجمة المدينة في ذات أوان معركة أحد .

واكتفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتفريقهم وظهرت للقبائل قوة شوكة الإسلام ، وهل فيه تخويف أو دعوة لهم للإيمان ، الجواب هما معا لهم ولغيرهم .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يقولون لأهل المدن والقرى رجالاً ونساءً لا تخشوا رؤساء الشرك من قريش ، ولا تصغوا للمنافقين ، فهذا الإسلام تشع أنواره بالبراهين والزاهد والتقوى ، وتقود أحكامه إلى النعيم ، قال تعالى ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ ^(١).

وبدل التسمية غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي لا أصل لها ، لا بأس بتسميتها بالكثائب ، ولهذه التسمية ونحوها نفع في بيان الحال واستقراء الدروس والمواعظ ، ولابد من إنشاء قانون من جهات :

الأولى : قانون كتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : قانون الغايات الحميدة من كتائب النبي .

الثالثة : قانون كتائب وسرايا النبي حرب على الإرهاب .

الرابعة : كتائب النبي برزخ دون سفك الدماء والإيغال في القتل بغير

حق ، قال تعالى ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ^(٢).

الخامسة : قانون كتائب وسرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوة للإيمان .

(١) سورة البقرة ١٩٧.

(٢) سورة المائدة ٣٢.

السادسة : قانون كتائب النبي وسيلة مباركة تحقق معها الأمن والطمأنينة في المدن والطرق العامة .

السابعة : قانون حمل سرايا الإسلام لواء السلام .

الثامنة : قانون دلائل التضاد بين القرآن والإرهاب في كتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

التاسعة : قانون شواهد التضاد بين القرآن والإرهاب في سرايا الإسلام .

العاشرة : قانون سرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم شواهد على أنه لم يأمر بالغزو .

الحادية عشرة : قانون عدم رضا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على القتل بغير حق .

الثانية عشرة : قانون قيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدفع ديات الكفار عند قتلهم خطأ أو من غير قتال .

وعن ابن عباس قال : كان الرجل يتكلم بالإسلام ، ويؤمن بالله والرسول ، ويكون في قومه ، فإذا جاءت سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بها حيه - يعني قومه - وأمام الرجل لا يخاف المؤمنين من أجل أنه على دينهم ، حتى يلقاهم فيلقي إليهم السلام ، فيقولون : لست مؤمناً وقد ألقى السلم فيقتلونه ، فقال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١) ، إلى ﴿تَبَيَّنُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعني تقتلونه إرادة أن

يحل لكم ماله الذي وجدتم معه ، وذلك عرض الحياة الدنيا فإن عندي مغنم كثيرة ، والتمسوا من فضل الله . وهو رجل اسمه مرداس خلى قومه هاربين من خيل بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليها رجل من بني ليث اسمه قليب حتى إذا وصلت الخيل سلم عليهم فقتلوه ، فأمر

رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهله بديته ، ورد إليهم ماله ، ونهى المؤمنين عن مثل ذلك^(١).

العاشر : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر من جهات :

الأولى : في الطريق إلى معركة بدر ، خاصة وأن النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ينو الذهاب إلى معركة وقتال ، وخرج وليس عنده سيف .

والمشهور في الأخبار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه خرجوا لإعتراض قافلة أبي سفيان ، ولم يثبت هذا الأمر ، ولو أراد اعتراضها لتصدى لها في الوقت والمكان المناسب ، ولكنه خرج وثلاثمائة ونيف من أصحابه في دورية إستطلاعية ، وعرض لمنعة الإسلام ، ودعوة للناس للإيمان ، فاتفق أن التقى بجيش قريش الذين أصروا على القتال ، وفي التنزيل ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾^(٢) .

الثانية : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشية ، وصبيحة معركة بدر في السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة منها إخباره عن مصارع عدد من رؤساء قريش باسمائهم ومواضع قتلهم ، وحينما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبر مسير قريش لقتاله بذريعة انقاذ عيرهم ، وهي قد توجهت إلى مكة بسلام ، استشار أصحابه من المهاجرين والأنصار .

وأراد أن يسمع قول الأنصار بوضوح لأنهم اشترطوا في بيعة العقبة نصرته في المدينة وعندما سمع نصرتهم له ، واستعدادهم للقتال بشر عامة أصحابه بالنصر .

(١) الدر المنثور ٣/٢٠٢.

(٢) سورة الأنفال ٥.

(قَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ أَجَلُ قَالَ فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عَهْدُونَا وَمَوَاقِفَنَا ، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فَاْمَضْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَتَحْنُ مَعَكَ .

فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَمَا نَكَّرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُونًا غَدًا ، إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ صَدُوقٌ فِي الْوَلَقَاءِ . لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرَّبَ بِهِ عَيْنُكَ ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .

فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشَطَهُ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ سِيرُوا وَأَبْشَرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَاللَّهُ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ)^(١).

الثالثة : معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ميدان المعركة، وهل نزول ألف من الملائكة يوم بدر لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من معجزاته يومئذ ، الجواب نعم فهو معجزة باقية إلى يوم القيامة .

وعن (ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المشركين وهم ألف واصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه اللهم انجز لي ما وعدتني، وفيه فأنزل الله عز وجل عند ذلك (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين)^(٢) فأمده الله بالملائكة.

قال ابو زميل فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه إذ سمع صريرة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم فنظر إلى المشرك امامه فخر مستلقيا فنظر إليه

(١) السيرة لابن هشام ٦١٥/١.

(٢) سورة الأنفال ٩.

فإذا هو قد خطم انفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع فجاء الانصاري .

فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين الحديث^(١) . ويدل الخبر أعلاه على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي اجتهد بالدعاء يوم بدر ، ونزل قوله تعالى ﴿ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴾^(٢) .

الرابعة : قانون النصر ببدر سلام ودفع للإرهاب .

الخامسة : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد إنقضاء معركة بدر ، قال تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾^(٣) وفيه منع من وقوع الخلاف بين المسلمين بسبب الغنائم ، لتدل على أولوية الشكر لله عز وجل على نعمة النصر .

السادسة : معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الطريق إلى المدينة من معركة بدر ، وكل آية من آيات معركة بدر لها موضوع وقصة ودلائل متجددة .

السابعة : الآيات القرآنية التي نزلت بخصوص كل جهة من الجهات الستة أعلاه ، أو أن موضوع الآية يشملها .

الثامنة : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر بلحاظ قانون (لم يغز النبي ص أحداً) .

التاسعة : معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في معركة بدر بلحاظ قانون التضاد بين القرآن والإرهاب .

(١) عيون الأثر ١/٣٣٧ .

(٢) سورة الأنفال ٩ .

(٣) سورة الأنفال ١ .

الحادي عشر : معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في توجهه إلى بني سليم ومعه مائتان من أصحابه ، فمع النصر المبين في معركة بدر فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يبق في المدينة بعد الرجوع من بدر (إلا سبع ليال كما عن ابن اسحاق) ^(١) .

ثم خرج بنفسه إلى بني سليم ، وبلغ ماء من مياههم يسمى الكدر بضم الكاف وسكون الدال .

والكدر طير في الوانها كدرة وتسمى كتيبة قرقرة الكدر .

وذكرها عمر وهو خليفة حين قال عمران بن سودة (رَعَيْتَكَ تَشْكُو مِنْكَ عَنَفَ السِّيَاقِ وَقَهْرَ الرَّعِيَةِ فَدَقَّرَ عَلَى الدَّرَةِ وَجَعَلَ يَمْسَحُ سَيُورَهَا ، ثُمَّ قَالَ قَدْ كُنْتُ زَمِيلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَرْقَرَةِ الْكُدْرِ . فَكُنْتُ أُرْتَعُ فَأَشْبَعُ وَأَسْقِي فَأَرْوِي ، وَأَكْثَرُ الزَّجْرَ وَأَقْلُ الضَّرْبَ وَأَرْدُ الْعُنُودَ وَأَزْجُرُ الْعَرُوضَ وَأَضْمُ اللَّفُوتَ وَأَشْهَرُ الْعَصَا ، وَأَضْرِبُ بِالْيَدِ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَأَغْذَرْتُ ﴿ بَعْضَ مَا أَسُوقُ ﴾ أَي لَضَيَعْتُ فَتَرَكْتُ) ^(٢) فلم يقل أنها غزوة إنما سماها (قرقرة الكدر) .

وبقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث ليال ورجع ولم يلق كيداً ولم يغز بيوت بني سليم أو يستحوذ على أنعامهم مع أنهم كانوا يعدون العدة للإغارة على المدينة .

الثاني عشر : ذهب النبي إلى بني قينقاع ، وكانوا يزاولون مهنة الصياغة ، وكانوا قد وادعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وعندهم سوق خاص بهم وهم اشجع يهود المدينة ، فجلبت امرأة مسلمة إلى سوقهم جليلاً فلما باعته جلست إلى صائغ لتشتري منه فاستهزئوا بها وشدوا ثوبها وانكشفت سوءتها فشد رجل مسلم فقتل الصائغ ، فاجتمعوا وقتلوا المسلم .

(١) أنظر ابن كثير / السيرة النبوية ٥٢٩/٢ .

(٢) الروض الأنف ٢١٩/٣ .

فسار لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحاصرهم ثم أجلاهم إلى أذرعات هم ونساءهم وذرايرهم ، وأذرعات واسمها في التوراة أذرعي ، وهي مدينة جنوب سوريا وتسمى في هذا الزمان مدينة درعا^(١) .

وهكذا بالنسبة لكتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأخرى ، وتجلي معجزاته فيها ، ومن آيات معركة بدر ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ .

ولإخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مصارع القوم عشية معركة بدر وتحقيق المصداق . لقد وعد الله عز وجل النبي إحدى الطائفتين لبيان قانون مقدمات نصر الإسلام وأن بعض رؤساء الدول العظمى آنذاك انشغلوا بأنفسهم وابتلوا بالحروب أو القتل ، إذ عزم كسرى عندما وصله كتاب رسول الله يدعوه إلى الإسلام على القبض عليه وقتله ، فشاء الله عز وجل أن يقتل كسرى ، على يد بنيه الذين هم أقرب الناس له وأحرصهم عليه وأكثرهم انتفاعاً منه .

من إعجاز القرآن

لقد تفضل الله عز وجل على الناس وأنزل القرآن معجزاً للناس ومتميزاً بصفات لا يقدرُونَ وإن اجتمعوا عن الإتيان بمثلها ، ومنها :
الأولى : اللفظ القرآني وما فيه من الفصاحة والبلاغة ، والفصاحة سلامة الكلمة من تنافر الحروف ، وخلوص الكلام من التعقيد أو ضعف التأليف .

والبلاغة هي البيان السليم باللفظ الرائق الموافق للمقصد والمراد بإيجاز من غير إخلال ، واعطاء التراكيب حقها .

ويمكن القول بين البلاغة والفصاحة عموم وخصوص مطلق ، وقال تعالى ﴿وَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ﴾^(١) وفي قوله تعالى ﴿وَاتْلُ

(١) تبعد عن دمشق ١٢٠ كم من جهة الجنوب قرب الحدود الأردنية .

عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ .

وتكرر حرف القاف في الآية أعلاه عشر مرات ، وهو مع شدته وقلقلته واستعلائه ، إذ أنه يخرج من أقصى اللسان قريباً من الحلق .

الثانية : نظم القرآن ، وسياق آياته .

الثالثة : التفصيل والفصل بين آيات القرآن .

الرابعة : دلالات اللفظ القرآني وكلماته التي هي خزائن علمية تنهل منها أجيال الناس من غير أن تنقص أو تنفذ .

الخامسة : التعبد بتلاوة آيات القرآن .

السادسة : إئتفاء التزاحم والتعارض بين آيات القرآن .

السابعة : سلامة القرآن من التحريف أو الزيادة أو النقص .

الثامنة : الغايات والمقاصد السامية لنزول القرآن ، قال تعالى ﴿كِتَابٌ

أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٣﴾ .

التاسعة : إعانة القرآن للناس على العمل بأوامره واجتناب نواهيه .

العاشرة : تجلي بركات القرآن على الذي يتلوه والذي يسمعه وعلى أهل

الأرض جميعاً ، فهو كلام الله المصاحب لهم ، الموجود بين ظهرانيهم .

الحادية عشرة : الأجر والثواب في قراءة القرآن ، وهو من مصاديق قوله

تعالى ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٤) ، بلحاظ أن تلاوة القرآن من الإيمان والتقوى اللذين

تذكرهما الآية وتقديرها : وأن تؤمنوا وتتقوا بتلاوة القرآن فلكم أجر عظيم

.

(١) سورة القمر ١٧.

(٢) سورة المائدة ٢٧.

(٣) سورة ص ٢٩.

(٤) سورة آل عمران ١٧٩.

ومن إعجاز القرآن الغيري مجئ الثواب لكل من يقرأ آيات وسور من القرآن ، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران)^(١).

ومن منافع التلاوة التحذير والإنذار والإصلاح من وجوه :

الأول : التنزه عن البطر وشدة المرح .

الثاني : لزوم الإمتناع عن سوء احتمال النعمة .

الثالث : تلقي الرزق الكريم ومنه كثرة المال بالشكر لله ، لذا ورد ذم

الذين يمتنعون عن أداء الزكاة بقوله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾^(٢).

الرابع : القيام بتعاهد النعمة ، ومن مصاديق هذا التعاهد الإقرار بأنها من عند الله وأنه سبحانه الغني الكريم الذي يهب ويعطي من غير حساب ومن دون أن ينقص من خزائنه شئ .

ومن خصائص تلاوة القرآن الرضا بما قسم الله عز وجل ، قال تعالى ﴿لَا تَمْدَنِّ عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) وهي مانع من السعي إلى الغزو أو النهب أو الظلم ، وباعث على التوكل على الله في الدفاع عن الملة في وجه مشركي قريش .

لقد قبل الله عز وجل قربان هابيل ولم يتقبل قربان قاييل ، ولعله لقرب زمان هبوط آدم وحواء من السماء إلى الأرض ، ولأن هابيل وقاييل ولداهما الصليبين فاكرمهما الله بآية قبول القربان أو عدمه ليكون وسيلة

(١) تفسير القرطبي ٣٠/١ .

(٢) سورة آل عمران ١٨٠ .

(٣) سورة الحجرات ٨٨ .

لتعاهد الإيمان ، وطريقاً للتقوى ، والقربان على وزن فعلان وهو البر والعمل الصالح الذي يؤتى به بقصد القربة إلى الله .

وكانت علامة قبول القربان نزول نار بيضاء من السماء ترفع القربان ، إذ نزلت نار فرفعت قربان هايل ، وتركت قربان قايل .

وهل كان بإمكان قايل المعادة بأن يأتي بقربان آخر حتى يقبل منه ، الجواب نعم ولكن الغضب ملأ صدره ، والحسد طغى على فعله ، فنوى البطش بهائيل وتوعده بالقتل ، ونزل القرآن بالأمر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقرأ قصة ولدي آدم على المسلمين والناس بقوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

ليتعض الناس منها ، وفيه مسائل :

الأولى : حرمة القتل وسفك الدماء ظلماً وتعدياً .

الثانية : إنعدام أسباب القتل والعدوان .

الثالثة : إمكان التدارك بما يدفع القتل ، فلو لجأ قايل إلى الدعاء بقبول

قربانه رجاء الإستجابة من عند الله لهداه الله لما فيه الصلاح ، قال تعالى ﴿قُلْ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٢) ، ولأعاد الكرة بتقديم قربان آخر مناسب

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(٣).

الرابعة : من إعجاز القرآن مجئ ست آيات متتالية في قصة قتل قايل

لهائيل ست آيات متتاليات من ٢٧-٣٢ من سورة المائدة وهي آخر سور القرآن نزولاً لبيان قبح القتل ، وتعقب الندامة والخسارة له .

(١) سورة المائدة ٢٧ .

(٢) سورة الفرقان ٧٧ .

(٣) سورة النور ٣٩ .

الخامسة : بيان موضوعية القصاص في قوله تعالى ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فَأَنَاسَ﴾^(١) التَّنَفُّسَ بِالنَّفْسِ

السادسة : الزجر عن الإرهاب لأنه فساد ، وقد يؤدي إلى القتل وسفك الدماء.

السابعة : يبين المنع من الإقتتال على أمور دنيوية تعاقب الأيام عدم الحاجة إلى سفك قطرة دم بسببها.

الثامنة : لقد كان قبول قربان هاويل دون قربان قابيل درساً وموعظة ومناسبة للتوبة والإنابة والصلاح وإختيار ما يرضي الله ، وليس اللجوء إلى العدوان والظلم.

أسماء قتلى المشركين يوم أحد

لقد قام المشركون في معركة أحد بغزو المدينة وأرادوا قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه ظلم لأنفسهم متعدد الجهات ، وهل كان منهم من هو أشد وأكثر ظلماً من غيره ، الجواب كل واحد من أفراد هذا الجيش أكثر وأشد ظلماً وأما تباين فعلهم في التحريض على القتال وفي ميدان القتال فهو زيادة في الإثم والجور.

إلا من خرج مكرها ولم يشترك في قتال فهو أخف وأقل ظلماً كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٢) ، وإذا كان ولا بد فان أكثرهم ظلماً على فئات :

الأولى : قادة جيش المشركين .

الثانية : الذين انفقوا الأموال في تجهيز جيش المشركين .

الثالثة : الذين اشتركوا في القتال .

(١) سورة المائدة ٤٥.

(٢) سورة النساء ٩٧.

الرابعة : الذين قتلوا وشاركوا في قتل سبعين صحابياً .
الخامسة : الذين أصابوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالجراحات (عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كسرت رباعيته يوم أحد ، وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ .
 فأنزل الله { ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون }^(١).

السادسة : المشركون الذين قتلوا في معركة أحد لذا ابتداء قوله تعالى ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(٢) بالإشارة إلى قتل عدد من المشركين يوم معركة أحد ، وتخبر الآية عن قتل طائفة منهم مع التعدد في معنى الطرف في الآية .

وقد ذكر ابن إسحاق وغيره أسماء قتلى المشركين في معركة أحد ، وهم:

الأول : طلحة بن أبي طلحة .

الثاني : سعيد بن أبي طلحة .

الثالث : عثمان بن أبي طلحة .

الرابع : مسافع بن طلحة .

الخامس : الجلاس بن طلحة .

السادس : كلاب بن طلحة .

السابع : الحارث بن طلحة .

والأخوة الأربعة أعلاه أبناء طلحة بن أبي طلحة المذكور أولاً وهم من

حملة لواء قريش يوم معركة أحد .

الثامن : القاسط بن شموع بن هاشم بن عبد مناف .

التاسع : أبو زيد بن عمير .

(١) الدر المنثور ٢/٤٢٥.

(٢) سورة آل عمران ١٢٧.

العاشر: أرطاة بن عبد شرحبيل .
الحادي عشر: ابن عبد العزى بن قصي .
الثاني عشر: الأخنس بن شريق .
الثالث عشر: سباع بن عبد العزى .
الرابع عشر: هشام بن أبي أمية بن المغيرة .
الخامس عشر: أبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة .
السادس عشر: عمرو بن عبد الله بن عمير .
السابع عشر: أبي بن خلف الذي أصر على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم معركة أحد ، وتقدم نحوه مسرعاً .
 (عن سعيد بن المسيب قال : لما كان يوم أحد أخذ أبي بن خلف يركض فرسه حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، واعترض رجال من المسلمين لأبي بن خلف ليقتلوه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استأخروا ، فاستأخروا .
 فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حربته في يده ، فرمى بها أبي بن خلف وكسر ضلعاً من أضلاعه ، فرجع أبي بن خلف إلى أصحابه ثقيلاً فاحتملوه حين ولوا قافلين .
 فطفقوا يقولون : لا بأس ، فقال أبي حين قالوا له ذلك : والله لو كانت بالناس لقتلتهم ، ألم يقل إنني أقتلك إن شاء الله؟
 فانطلق به أصحابه ينعشونه حتى مات ببعض الطريق فدفنوه ، قال ابن المسيب: وفي ذلك أنزل الله تعالى { وما رميت إذ رميت . . . } (١) الآية (٢)
 والمشهور والمختار أن الآية أعلاه نزلت في معركة بدر ، نعم لا مانع من تجديد موضوعها ونفعها في المعارك اللاحقة ، ويدل عليه ما ورد بخصوص معركة

(١) سورة الأنفال ١٧.

(٢) الدر المنثور ٤/٤٣٠.

أحد في التنزيل ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١) فمع أن النبي والصحابة هم الذين قتلوا المشركين يومئذ ، فقد نسب الله القطع إليه تعالى ، ليكون من منافع هذه الآية وجوه :

الأول : بعث السكينة في نفوس الصحابة .

الثاني : تجلي معجزة حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الدفاعية في كل معركة يحضر فيها .

الثالث : هذه الآية من أسرار قيادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه للصحابة في عدد من معارك الإسلام الدفاعية .

الرابع : بيان صبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لم يغز أحداً حتى وإن كانت رميته من عند الله .

الخامس : التصويب والدقة في رمي المسلمين نحو أهدافهم .

السادس : بعث الفرع والخوف في قلوب المشركين ، فآية { وما رميت

{^(٢) من مصاديق قوله تعالى ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَوْسَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣) .

الثامن عشر : أبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة .

التاسع عشر : خالد بن الأعلم ، وكانت قد قتل الصحابي عمير بن الحمام في معركة بدر .

وكان يوم فتح مكة (أول من ولى فاراً منهزماً ، وهو الذي يقول : من الطويل :

لَسْنَا عَلَى الْأَدْبَارِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا ... وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا يَقْطُرُ الدَّمُ)^(٤) ويروى على الأعقاب بدل على الأدبار .

(١) سورة آل عمران ١٢٧ .

(٢) سورة الأنفال ١٧ .

(٣) سورة آل عمران ١٥١ .

(٤) سمط النجوم ٢٦٩/١ .

ووقع في الأسر يوم بدر.

العشرون : عمرو بن عبد الله بن عمير .

الحادي والعشرون : شيبه بن مالك .

الثاني والعشرون : عبيدة بن جابر .

لقد كانت نتائج معركة بدر وسقوط سبعين قتيلاً من المشركين ، وانشغال أهل مكة بفك سبعين أسير منهم زاجر سماوي لهم لإحتتاب القتال والهجوم على المدينة .

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) تعدد سبل تحقيق الغايات وبلوغ الأهداف المشروعة من غير حرب أو قتال وظلم ، وهذا التعدد من معاني احتجاج الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٢) أي لماذا يفسد ولماذا يقتل وقد أنعمت على الخليفة ببلوغ المرام بفضل الله والصدق واتباع الحق وأحكام الشرائع السماوية ، لذا لم يغز النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحداً ، فقد ملأ ضياء مبادئ الإسلام الآفاق ، وتليت وتتلّى آيات القرآن في كل مكان .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم من سفر ورآى جبل أحد يقول (أحد جبل يحبنا ونحبه)^(٣) لبيان مسألة وهي تأكيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على حقيقة وهي أن المسلمين لم يخسروا معركة أحد ، ولم ينهزموا فيها ، وفيه دعوة للمسلمين للتدبر في منافع معركة أحد للإسلام ، مع أن المشركين هم الذين هجموا وأصروا على القتال ، ولكنهم لم يستطيعوا منع إقامة الصلاة في الأرض وتلاوة المسلمين للقرآن .

وسيأتي في الأجزاء التالية وفي ذات منهجية هذا الجزء كل من:

الأول : قانون أداء الصلاة واقية من الإرهاب .

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة البقرة ٣٠.

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٤١/٤.

- الثاني : قانون العبادات حصانة من الإرهاب .
- الثالث : قانون التفكير بالآيات الكونية وبدائع السموات والأرض حرز من الإرهاب .
- الرابع : قانون تأثير المعركة السابقة على المعركة اللاحقة)
- الخامس : قانون الغايات الحميدة من كتائب النبي
- السادس : قانون كتائب وسرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوة للإيمان .
- السابع : قانون سرايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم شواهد على أنه لم يأمر بالغزو .
- الثامن : قانون عدم رضا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على القتل بغير حق .
- التاسع : قانون قيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدفع ديات الكفار عند قتلهم خطأ أو من غير قتال .
- العاشر : قانون (لم يغز النبي ص أحداً) .
- الحادي عشر : قانون علم إحصاء معجزات النبي محمد (ص)
- الثاني عشر : آيات معركة أحد ودلالاتها على الدفاع
- الثالث عشر : أسماء الذين هاجروا الى الحبشة وترجمة عدد منهم .
- الرابع عشر : قانون شروط صلح الحديبية لإجتناّب الغزو
- الخامس عشر : قانون إختيار النبي للاسم الحسن ، وليس فيه مسألة السيف والغزو .
- السادس عشر : كراهة النبي لبعض الأماكن (بين جبلين .
- السابع عشر : قانون النسبة بين قتل سبعين وبين أسر سبعين من المشركين في معركة بدر
- الثامن عشر : قانون (كل آية قرآنية ثناء على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم) .

المشورة يوم بدر

لما بلغ النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خروج جيش قريش من مكة وتوجههم إلى بدر يرومون القتال استشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه فتكلم المهاجرون وأظهروا العزم على الدفاع ، فهناك مسألتان :

الأولى : ترى لماذا استشارهم النبي .

الثانية : لماذا أظهر المهاجرون العزم على الدفاع .

فاستشار الصحابة مرة أخرى فعلم الأنصار أنه يريدون له لأنه خشي وقوف الأنصار عند شرطهم في بيعة العقبة على الذب عنه ونصرته ما دام بين ظهرانيهم في المدينة .

فبادر سعد بن معاذ ، وهو رئيس بني الأشهل من الخزرج ، وكان قد أسلم على يد مصعب بن عمير ، فلما أسلم قومه رجالاً ونساء (كانت دار بني عبد الأشهل أول دار من الأنصار أسلموا جميعاً رجالهم ونسائهم وحول سعد بن معاذ) ^(١) .

فقال سعد بن معاذ (يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَأَنَّكَ تُعَرِّضُ بَنَانَا ؟ وَكَانَ إِنَّمَا يَعْنِيهِمْ لِأَنَّهُمْ بَايَعُوهُ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ مِنَ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ فِي دِيَارِهِمْ فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ اسْتَشَارَهُمْ لِيَعْلَمَ مَا عِنْدَهُمْ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ لَعَلَّكَ تَخْشَى أَنْ تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى حَقًّا عَلَيْهَا أَنْ لَا يَنْصُرُوكَ إِلَّا فِي دِيَارِهَا ، وَإِنِّي أَقُولُ عَنِ الْأَنْصَارِ ، وَأَجِيبُ عَنْهُمْ فَاطْمَئِنْ حَيْثُ شِئْتَ ، وَصَلْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ وَاقْطَعْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ وَأَعْطِنَا مَا شِئْتَ وَمَا أَخَذْتَ مِنَّا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِمَّا تَرَكْتَ وَمَا أَمَرْتَ فِيهِ مِنْ أَمْرٍ فَأَمَرْنَا تَبِعْ لِأَمْرِكَ فَوَاللَّهِ لَئِنْ سَرَتْ حَتَّى تَبْلُغَ الْبَرْكَ مِنْ غِمْدَانِ ، لَنَسِيرَنَّ مَعَكَ وَوَاللَّهِ لَئِنْ اسْتَعْرَضْتَ بَنَانَا هَذَا الْبَحْرَ خَضْنَاهُ مَعَكَ .

وَقَالَ لَهُ الْمُقَدَّادُ : لَا تَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى : اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ .

فَأَشْرَقَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَرَّ بِمَا سَمِعَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَالَ سِيرُوا وَأَبْشُرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَصَارِعَ الْقَوْمِ ^(١) .

وهناك قوانين

الأول : قانون عدم قيام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالغزو ، والهجوم على القرى والمدن .

الثاني : قانون عدم رد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم غزو المشركين له وللمدينة بمثله .

الثالث : قانون أمر الله للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بالصبر مانع من الغزو ، قال تعالى ﴿ أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢) .

الرابع : تجلي قانون لم يغز النبي أحدًا من آيات القرآن .
الخامس : قانون نجاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الإغتيال كل مرة معجزة له .

السادس : قانون نفي ظن الذين كفروا بأن الخير الذي في أيديهم هو خير لهم .

السابع : قانون إملأ الله عز وجل للذين كفروا .

الثامن : قانون إزدياد آثام الذين كفروا مع توالي النعم عليهم .

التاسع : قانون للكافرين عذاب مهين .

العاشر : قانون وهو سوء ظن الكفار مجلبة للأذى .

(١) زاد المعاد ١٥٣/٣ .

(٢) سورة آل عمران ٢٠٠ .

الحادي عشر : قانون وهو تقدير الآية : يا أيها النبي لقد نصرك الله
ببدر.

الثاني عشر : قانون معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طريق
الهجرة تغني عن القتال.

الثالث عشر : قانون أداء الصلاة واقية من الإرهاب .

الرابع عشر : قانون انتفاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحلف
مع قبيلة خزاعة.

إعداد المشركين سنة كاملة لمعركة أحد

لقد عطل مشركو قريش بعد معركة بدر تجارتهم للتجهيز والإجهاز
للحرب على النبي وأصحابه ، وفيه حجة على الذين كفروا بأن الأموال
التي أنفقوها للقتال في معركة أحد ذهبت هباءً منثوراً لم يبق منها إلا الحسرة
والإثم ، قال تعالى ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾^(١).

وهل هذا الإنفاق من الإرهاب ، الجواب نعم ، خاصة وأنهم كانوا
يتجاهرون بالإستعداد لمعركة الثأر من هزيمتهم في بدر من جهات :

الأولى : طلب رؤوس قريش من أصحاب الأموال في قافلة أبي سفيان
بتسخيرها للمعركة ، وموافقتهم عليه ومما اتصفت به تلك القافلة أن أهل
مكة رجالاً ونساءً ساهموا في تلك القافلة ومنهم من اقترض واستلف من
أجل أن تكون له أموال فيها ، ليس على سبيل الأسهم في الشركة ، إنما في
بضاعة منفردة ، أو مضاربة ونحوها ، لتكون هذه الموافقة سبباً لتعجيل نزول
البلاء بهم ، خاصة وأن أموالهم وصلت إليهم سالمة ولم يتعرض لها
المسلمون .

وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا أَوْلِيَاءَهُ إِنِ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(١) سورة الأنفال ٣٦.

(٢) سورة الأنفال ٣٤.

الجواب نعم ، وعن محمد بن إسحاق بسنده عن جماعة قال : لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القلب ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بغيره^(١) ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ممن أصيب آبائهم وأبناءهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وترككم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربته لعلنا ندرك منه ثارا ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففيهم كما ذكر لي بعض أهل العلم أنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^(٢) (٣) .

والمختار أن موضوع وعلة طلب رجال قريش من أهل مكة التبرع بأموالهم التي في قافلة أبي سفيان لا ينحصر بالثأر لقتلى معركة بدر ، خاصة وأن القافلة سارت في طريقها لم يتعرض لها أحد ، ولم يثبت أن موضوع التعرض سبب للمعركة ، ومن عادة الإستقصاء عن سبب الواقعة والفاجعة .

ومن الآيات في المقام تسليم أهل مكة رجالاً ونساءً أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن داعية إلى معركة أو قتال ، ولم يغادر مكة مهاجراً إلا لطلب السلامة والنجاة من الفتنة والإقتتال .

ومن عادة عامة الناس عندما يفقدون أبناءهم في معركة أن يصبوا شطراً من غضبهم على القادة الذين صاروا سبباً في تلك المعركة وإن كانوا سادتهم إلا مع شدة بطشهم والخوف والفرع منهم .

(١) أي بالقافلة ، لأن لفظ العير يطلق على الإبل إذا كانت محملة بالبضائع .

(٢) سورة الأنفال ٣٦ .

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ١٩/٣ .

ولا يعلم منافع إقامة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنوات بعد البعثة النبوية في مكة يدعو الناس فيها إلى الإيمان ونبذ الأصنام ، ويظهر لهم إتخاذه تلاوة القرآن والإحتجاج سلاحاً إلا الله سبحانه ، والمنافع المستقرة والظاهرة منها أكثر من أن تحصى.

وهل تحمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وأصحابه أذى المشركين فيها سلاح آخر له ، الجواب نعم ، لبيان قانون وهو إتخاذ الأنبياء سلاح الصبر في جنب الله وسيلة في الدعوة إليه تعالى ، ولأمورهم الخاصة وحياتهم العائلية وصرف البلاء .

وفي إبراهيم عليه السلام ورد في التنزيل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١) ، وفي الثناء على المؤمنين ورد قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٢) ، ولم يرد لفظ (ربنا هب) في القرآن إلا في الآية أعلاه.

لتبقى صور إيذاء كبار قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعاؤه على بعضهم عاقلة في أذهان أهل مكة ، وعمار المسجد الحرام حتى إذا تحقق مصداق الدعاء عزف الناس عن رؤساء الكفر وأدركوا صفحة مشرقة من خصال النبوة التي يتصف بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جهات :

الأولى : قانون التحلي بالصبر المترشح عن الوحي ، قال تعالى ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٣).

الثانية : قانون الوثوق بفضل الله .

(١) سورة إبراهيم ٣٩.

(٢) سورة الفرقان ٧٤.

(٣) سورة يونس ١٠٩.

الثالثة : قانون استجابة الله دعاء النبي من مصاديق ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) ، ومجئ هذه الإستجابة خلافا للقواعد المتعارفة بين الناس في فنون القتال ، من وجوه :

الأول : مناجاة كفار قريش بالزحف والخروج لنصرة قافلة أبي سفيان مع أنها تسير بامان وتقترب من مكة ساعة خروجهم منها.

الثاني : تجلي قانون وهو أن النصر الذي ذكره الله في قوله تعالى ﴿وَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ أُتُّمُ أَذَلَّةٌ﴾^(٢) أعم من أن يختص أو ينحصر بساحة المعركة ، ومنه النصر باستجابة الدعاء وليس فقط تحقق مصداق الإستجابة ، ولكن ادراك الناس لقانون وهو أن الله عز وجل يستجيب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دعاءه ومسألته بالحق ، وإن كانت خلاف الحساب الظاهري ، والعرف الذي لا أصل له ، وفيه ترغيب بالإيمان ، ويحتمل دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كيفية صدوره وجوهاً :

الأول : إنه إجتهد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني : لجوء وشكوى إلى الله .

الثالث : إنه من مصاديق الوحي ، فلا يتوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء إلا بأذن من عند الله عز وجل .

والمختار هو الثاني والثالث أعلاه لعمومات قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣).

ومن الحساب في المقام ان جيش قريش كان أكثر من ثلاثة أضعاف المسلمين الذين حضروا معركة بدر ، إلى جانب ذات الأضعاف في العدد والسلاح .

(١) سورة الأنبياء ١٠٧ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .

(٣) سورة النجم ٣-٤ .

الصلاة طرد لمفاهيم الشرك

لقد كان الناس يتزلفون إلى الأصنام المنصوبة في البيت الحرام والتي عندهم في البيوت أو التي يحملونها في السفر .

فجاءتهم آية عظمت وهي لواء التوحيد الذي يحمله النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن خصائصها دخول مفاهيمها إلى كل بيت ، فلا يقدر الصنم الذي وضعوه في مكان بارز ورفيع في البيت المعارضة أو الصمود .

واكتشف الناس أمور :

الأول : الأصنام هياكل ميتة لا حراك فيها .

الثاني : عجز الأصنام عن النطق والحركة وفي احتجاج إبراهيم على

قومه ورد قوله تعالى ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُوهُمْ ﴾ * أَوْ يَنفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ * ﴿^(١) لتدل الآية أعلاه بالدلالة التضمنية على قَوْلِهِمْ أَنِ الْأَصْنَامَ أَحْجَارٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ، إنما هم يحاكون فعل آبائهم وكان عبادتهم للأصنام من البر بآبائهم الكفار لذا جاء القرآن بالحث على عدم محاكاتهم بعبادات الكفر والضلالة .

الثالث : علو مرتبة الإنسان على الصنم التزلف للأصنام .

الرابع : إكرام الله للإنسان بالعقل والجوارح ، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ^(٢) .

وتفتقر الأصنام للحس ، قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ * أَمْ أَوَاتُ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ

(١) سورة الشعراء ٧٢-٧٤ .

(٢) سورة الإسراء ٧٠ .

يُعْشُونَ * إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾ .

ولم يكن الناس كلهم من عبدة الأصنام ، فقد كان هناك اليهود والنصارى ، وكانت قريش تتصل بهم وتتعامل معهم في الشراء والبيع في الشام ويثرب ، ويفد بعضهم إلى مكة بخصوص تجارتهم ، وكان التبائن واضحاً بين عبادة الله والرجوع إلى الكتاب السماوية كالتوراة والإنجيل ، وبين إقامة قريش على عبادة الأصنام مع جوارهم للبيت الحرام الذي يدعو الناس كل يوم إلى التوحيد .

وفي سفر التثنية (اقم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك و اجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه به) (٢).

وفي سفر اشعيا (فرأى ركاباً ازواج فرسان ركاب حمير ركاب جمال فاصغى اصغاء شديداً) (٣).

(ان لي أمورا كثيرة ايضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الان و اما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به و يخبركم بامور آتية) (٤).

وقال تعالى في صفة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٥) والنسبة بين الإيمان والإنصات عموم وخصوص مطلق ، إذ أن الإنصات لا يؤدي إلى الإيمان دائماً أو على نحو الضرورة ، ولا ينحصر وجوب الإنصات للتنزيل بالمؤمنين.

(١) سورة النحل ٢٠-٢٢ .

(٢) موسوعة الكتاب المقدس ٣٢٩/١ .

(٣) موسوعة الكتاب المقدس ٣٢٩/١ .

(٤) موسوعة الكتاب المقدس ٢٨/٣ .

(٥) سورة النجم ٣-٤ .

ولكنه فيصل ومائز بين الحق والباطل فانصت الناس إلى رؤساء الكفر فعلموا ببطلان دعوتهم للأصنام ، وتحريضهم على قتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وأنصت الناس إلى القرآن فصاروا يدخلون الإسلام أفراداً وجماعات ، وتجلّى هذا الأمر بالإزدياد المطرد لعدد المسلمين في كل أسبوع وكل شهر مع النقصان في عدد المشركين للملازمة بينهما ، فأى فرد يدخل الإسلام ينجو من مستتقع الضلالة ، وينقص مع دخوله من مجموع عدد المشركين ، وهو الذي تجلّى في إزدياد عدد المسلمين في بدايات الهجرة ومعارك الإسلام الدفاعية من جهات :

الأولى : لقد آخى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار بعد وصوله إلى المدينة وكان عددهم تسعين ، فكانت هذه المؤاخاة وأوانها معجزة ، ومن منافعها المناصحة والمواساة والتعاضيد ، وفي التنزيل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١).

الثانية : خروج ثلاثمائة وثلاثة عشر من الصحابة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى معركة بدر في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، أي بعد مرور ثمانية عشر شهراً من قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة مهاجراً .

وكان تحويل القبلة إلى البيت الحرام قد نزل يوم الاثنين النصف من شهر رجب أي قبل معركة بدر بنحو شهرين بعد أن صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مستقبلاً بيت المقدس مدة ستة عشر شهراً من بداية هجرته إلى المدينة حتى نزل قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾

(ويقال صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ثم أمر أن يوجه إلى المسجد الحرام فاستدار إليه ودار معه المسلمون .

ويقال بل زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ام بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما وحانت الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه ركعتين ثم أمر أن يوجه إلى الكعبة فاستقبل الميزاب فسمى المسجد مسجد القبليتين وذلك يوم الاثنين النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا .

وفرض صوم شهر رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا (٢) .
فان قلت إذا كان إزدياد عدد المسلمين سبباً لنقصان عدد المشركين فما هي علة إزدياد عدد المشركين في معركة أحد ، إذ حضر ثلاثة آلاف منهم يومئذ المعركة بينما كان مجموعهم في معركة بدر نحو ألف .

الجواب هذه الزيادة في عدد أفراد جيش المشركين من الشواهد على الإعجاز في بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه لم يطلب القتال ولم يحرص عليه ، ولم يستدرج المشركين إليه ، إنما كان ينصرف عن المعركة ، ويدعو الناس لإجتنب القتال .

فمن خصائص الأنبياء أنهم رسل السلام والأمان ، ولكن هذا السلام مقرون بالدعوة إلى التوحيد ، وأداء الفرائض العبادية ، بل هو رخصة من رخصات الإيمان لأن الأنبياء يجاهدون من أجل السلام والأمن في الدنيا والآخرة ، ولا ينال الأمان في الآخرة إلا بالإيمان والتقوى ، قال تعالى

(١) سورة البقرة ١٤٤ .

(٢) عيون الأثر ١/٣٠٨ .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

الثالثة : خروج مئآت من الصحابة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سرايا استطلاع حول المدينة قبل وبعد معركة بدر ، وقبل معركة أحد فمثلاً توجه النبي مع مائتين من أصحابه إلى ذي العشيرة في شهر جمادى الأولى من السنة الثانية ، أي قبل أربعة أشهر من معركة بدر. وتوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني سليم ومعه مائتان من أصحابه في شهر شوال من السنة الثانية للهجرة لتفريقهم . ولما غزا أبو سفيان ومائتان من المشركين أطراف المدينة خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يسمى غزوة السويق ، وكان النبي يعلم بأن عددهم مائتان ، فندب معه مائتين من الصحابة ، وهل فيه إنذار لقريش ، الجواب نعم ، من جهات :

الأولى : بيان استعداد المسلمين للرد السريع.

الثانية : حراسة المسلمين للثغور .

الثالثة : عجز المشركين عن الوصول إلى المدينة واختراق دفاعاتها.

الرابعة : لقد اجتهد أبو سفيان في جمع أصحابه وتهيئة العدة والسلاح لهم ، والإكثار من السويق والمؤن لإطعامهم ، فكان عددهم مائتين ، بينما جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا العدد في ساعة واحدة ، وهو من أسرار إنشاء المسجد النبوي في وسط المدينة ، وبروك ناقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذات الموضع ، وتأكيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كل أهل حي من أحياء المدينة الذي يمر عليهم ويدعونه للنزول عندهم بالقول (خلوا سبيلها فانها مأمورة)^(٢) .

(١) سورة البقرة ٢٧٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٤٩٤/١.

وفي رواية (دعوها فانها مأمورة)^(١)، حتى مع بني عدي بن النجار وهم
أخوال أبيه لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ، إذ تلقوه
وهم ينادون :

(يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلُمَّ إِلَى أَخَوَالِكَ ، إِلَى الْعَدَدِ وَالْعِدَّةِ وَالْمَنَعَةِ قَالَ خَلَّوْا
سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ فَخَلَّوْا سَبِيلَهَا ، فَأَنْطَلَقَتْ)^(٢).

وكانت مساحة المسجد النبوي ١٠٥٠م تمت توسعته حتى أصبحت
مساحته ٢٥٠٠م ، ثم تضاعفت أضعافا .

وأن سنة كاملة قضتها قريش في الإعداد لمعركة أحد ذهبت أدراج
الرياح ، ولم تجلب لهم إلا الخزي ، ليكون من مصاديق الخيبة التي لحقت
المشركين عند الانسحاب من معركة أحد هو حسرتهم واستيلاء الأسى على
نفوسهم بسبب عدم الإنتفاع من مدة وكثرة الإعداد والإنفاق على معركة
أحد ، ولم يعلموا أن ما يظنون أنه عدم فائدة إنما هو لنفع الناس عامة
وإنذار لهم ، ومقدمة لهدايتهم عند التدبر بوجوه الإعجاز فيما يجري على
يد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة ، إن عدم وقوع نصر من
الصحابة أسرى عند المشركين يوم معركة أحد أمانة وشاهد على عدم
تحقيقهم النصر يوم معركة أحد ، ويدل عليه التلاوم الذي حصل بينهم في
طريق عودتهم من معركة أحد ، إذ (قالوا :

لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردفتن بئسما صنعتن)^(٣).

فلم يرض كفار قريش بهذه الصبغة للسلام لأنها مخالفة للهوى ، وبرزخ
دون إتباع الشهوات ، ومانع من أكل المال بالباطل والربا ، وفي التنزيل
﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾^(٤).

(١) جوامع السيرة ١/١٩٤.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٤٩٤.

(٣) موسوعة الكتاب المقدس ٤/٣١١.

(٤) سورة البقرة ٢٧٥.

ومن آيات التحدي في البعثة النبوية اقتران أدائه الصلاة في المسجد الحرام ب بدايات بعثته ، ووقوف خديجة والإمام علي عليهما السلام خلفه في الصلاة ، ليعطي رسالة إلى رؤساء قريش وعامة الناس من جهات :

الأولى : الإخبار عن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً إلى الناس ، وفي التنزيل ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(١) ، وعندما بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن ، خطب فيهم قائلاً (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم إن المرد إلى الله ، إلى جنة أو نار ، خلود بلا موت ، وإقامة بلا ظعن ، في أجساد لا تموت)^(٢).

الثانية : الملازمة بين الإيمان والصلاة واتقان ركوعها وسجودها ، وإخبار الناس بوجوب الصلاة وجوباً عينياً على كل مكلف ، وأنها لا تنحصر بأداء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لها ، أو أنه يؤديها عن غيره ، إنما يتوجه الخطاب التكليفي بالصلاة إلى كل مسلم ومسلمة على نحو مستقل.

فمع عظم ورفعة منزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الله ، وتلقيه الوحي من الله انه يقف عبداً خاضعاً خاشعاً بين يدي الله في الصلاة كحال عامة المسلمين في أداء الصلاة ، وصحيح أن كبار المشركين استكبروا عن أداء الصلاة ، في بداية الأمر إلا أنهم والناس أدركوا الحاجة إلى الصلاة كواجب وشكر لله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(٣).

الثالثة : وقوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين يدي الله عز وجل خمس مرات في اليوم دعوة وترغيب للناس لدخول الإسلام ، وسبب لجذب الناس للهداية والصلاح ، والتسليم بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) سورة الأعراف ١٥٨.

(٢) الدر المنثور ١/ ٥٧ .

(٣) سورة النساء ١٠٣.

وآله وسلم وأدرك كبار المشركين ميل الناس إلى الإسلام ، ودخوله بيوتهم فقاموا بالإعداد لمعركة أحد سنة كاملة واضطروا لإنفاق الأموال الطائلة في تهيئة الجيوش والطواف على القبائل والقرى والبذل للشعراء ورؤساء القبائل والأفخاذ للخروج معهم لقتال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بحجة قطعة وأصحابه الطرق العامة ومحاربتهم لدين الآباء ووراثتهم الإقامة على عبادة الأوثان .

بالإضافة إلى شدة وقع الهزيمة في معركة بدر على المشركين إذ أدركوا حقيقة وهي صعوبة ملاقات المسلمين حتى مع قلة عددهم ، فكيف وقد فتحت معركة بدر أسباب دخول الناس للإسلام .

لقد أيقنت قريش بمضاغفة عدد المسلمين في وبعد معركة أحد من جهات :

الأولى : الهجرة النبوية سبب لدخول الناس الإسلام ، إذ صار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو إلى الله علانية ويقوم صلاة الجماعة في المسجد النبوي .

وهل خشيت قريش من منافسة المسجد النبوي في المدينة للبيت الحرام في مكة ، الجواب لا ، من وجوه :

الأول : قانون إنحصار أداء الحج بالبيت الحرام ، وشمول وجوب علي الناس من غير حصر بالمسلمين والمهاجرين والأنصار ، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن آدم سأل ربه فقال : يا رب أسألك من حج هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيئاً أن تلحقه بي في الجنة . فقال الله تعالى : يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئاً بعثته آمناً يوم القيامة .

وأخرج الجندي عن مجاهد . أن آدم طاف بالبيت ، فلقيته الملائكة فصافحته وسلمت عليه ، وقالت : بر حجتك يا آدم ، طف بهذا البيت فإننا قد طفناه قبلك بألفي عام . قال لهم آدم : فما كنتم تقولون في طوافكم؟ قالوا : كنا نقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . قال آدم : وأنا أزيد فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله .^(١)

الثاني : قانون نزول آيات القرآن بالحث على حج البيت الحرام .
الثالث : قانون تأكيد السنة النبوية القولية والفعلية على وجوب أداء الحج والعمرة ، لتشمل حج النيابة والإجارة والوصية بالحج (عن الفضل بن عباس إنه كان ردف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتاه رجل فقال : إن أُمي عجوز كبيرة لا تستمسك على الرجل وإن ربطتها (خشيت) أن أقتلها .

فقال له : رأيت لو كان على أمك دين كنت قاضيه؟
قال : نعم قال : فحج عنها .
أبو سلمة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في رجل أوصى بحجة : كتب له أربع حجّات : حجة الذي كتبها ، وحجة الذي نفدها ، وحجة الذي أخذها ، وحجة الذي أمر بها)^(٢) .

الرابع : قانون سعي المسلمين الذين في المدينة لأداء الحج والعمرة .

الخامس : قانون إنشاق مسألة الهجرة من رحم الحرم .
لوقوع بيعة العقبة الأولى والثانية في منى في مكة أثناء موسم الحج ، فلم يذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى يثرب ويعرض نفسه على أهلها ابتداءً .

(١) الدر المنثور ١/٢٥٧ .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ١/٣٩٧ .

إنما جاء وفد الأوس والخزرج من يشرب لحج بيت الله الحرام فعرض النبي نفسه ورسالته عليهم مثلما عرضها على غيرهم من وفد الحاج فأمنوا برسالته .

وهل هو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (١) .

الجواب نعم ، إذ تتعلق الأولوية والإبتلاء بذات البيت ، ولكن منافعه وموضوعيته في هداية وصلاح الناس متصلة ومتجددة في كل جيل .

وتقدير الآية : إن أول بيت وضع لكل جيل وطبقة من الناس للذي ببكة مباركاً) وكان من مصاديق هذا الوضع وبركاته بيعة العقبة الأولى والثانية ، وعدم وجود مسجد منافس للبيت الحرام .

السادس : في بناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه المساجد في المدينة مسائل :

الأولى : حجة على الذين كفروا .

الثانية : بعث الشوق في نفوس الناس لأداء الصلاة .

الثالثة : سماع الناس لآيات القرآن خمس مرات في اليوم .

الرابعة : أداء الصلاة جماعة ، وقال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

وَارْكُوعُوا مَعَ الرَّكْعَيْنِ﴾ (٢) .

الخامسة : منع الغلو بشخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ أنه يقف معهم خمس مرات في اليوم بين يدي الله خاشعاً خاضعاً .

(١) سورة آل عمران ٩٦ .

(٢) سورة البقرة ٤٣ .

و (عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي : بعثت إلى الأحمر والأسود ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد كان قبلي ، ونصرت بالرعب فيرعب العدو وهو مني مسيرة شهر ، وقال لي : سل تعطه . فاخبتأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله من لقي الله لا يشرك به شيئاً ، وأحلت لأمتي الغنائم) ^(١).

وقد يظن بعضهم أن صلاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جماعة خاصة بالمسجد الحرام ، ولكنه ما أن حط رحاله في المدينة حتى أنشأ المسجد النبوي وصلى بالمسلمين فيه جماعة ، لتأكيد قانون الملازمة بين الإيمان والصلاة الذي أسسه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد الحرام وعموم الحرم ، إذ كان الصحابة يتعاهدون الصلاة ، وحينما اشتد أذى كفار قريش لهم ، كانوا يخرجون من مكة إلى الشعاب للذكر وتلاوة القرآن والصلاة ، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا لِمَ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ^(٢).

وفيه شاهد على أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أدب أصحابه على الإنصراف عن الخصومة والنزاع ، ليكون إجتناهم القتال من باب الأولوية القطعية .

الثانية : تجلي قانون وهو عصمة النبي وأصحابه عن الهزيمة والإنكسار مع قلة عددهم وأسلحتهم بالنسبة لجيش المشركين ، وفيه دعوة للناس للإسلام ونبذ عبادة الأصنام .

(١) الدر المنثور ٤/٤٩٥.

(٢) سورة النساء ٩٧.

الثالثة : موضوعية الفطرة الإنسانية في الميل إلى أهل الإيمان ،
ليكون من مصاديق ﴿يَوْمَ تَقُى الْجُحَنَانَ﴾ ^(١) إنجياز وميل الناس
إلى جمع المؤمنين .

الرابعة : توالي معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
الخامسة : نفرة الناس من ظلم قريش ، وحملها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه على الهجرة من مكة ، ليكون من رشحات هجرة طائفة من المسلمين إلى الحبشة إنكار الناس على قريش إيذائها للمسلمين وقصدهم قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فراشه ، ليكون من معاني قوله تعالى ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْلَمْتُمْ كَذِبَهُ وَإِنْ يَصِدْقَ يُصِبْكُمْ بِضُوءٍ الَّذِي يُعْطِيكُمْ إِنْ أَلَّهِ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ ^(٢) ولم يرد لفظ ﴿ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ في القرآن إلا في الآية أعلاه إقامة الحجة على كفار قريش وأنها أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن هجرته ضرورة .

السادسة: معجزة الهجرة وما فتح الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيها .

السابعة : دخول الأوس والخزرج في الإسلام ، وتوالي دخول الناس في الإسلام حجة ودعوة للناس لمحاكاتهم بالحق .

(۱) سورة آل عمران ۱۵۵.

(۲) سورة غافر ۲۸.

كتيبة النبي (ص) إلى دومة الجندل

ودومة بضم الدال لغة قيل (وأصحاب الحديث يفتحونها) ^(١).
والدومة واحدة الدوم ، وهو شجر يسمى ثمرة المقل ، وفي الحديث
(عن ابن حوالة قال

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ دَوْمَةٍ وَعِنْدَهُ
كَاتِبٌ لَهُ يَمْلِكُ عَلَيْهِ فَقَالَ أَلَا أَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ قُلْتُ لَا أَذْرِي مَا خَارَ اللَّهُ
لِي وَرَسُولُهُ فَأَعْرَضَ عَنِّي وَقَالَ إِسْمَاعِيلُ مَرَّةً فِي الْأُولَى نَكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ
قُلْتُ لَا أَذْرِي فِيمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَعْرَضَ عَنِّي فَأَكْبَ عَلَى كَاتِبِهِ يَمْلِكُ عَلَيْهِ ثُمَّ
قَالَ أَنْكْتُبُكَ يَا ابْنَ حَوَالَةَ قُلْتُ لَا أَذْرِي مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ فَأَعْرَضَ
عَنِّي) .

قال ابن الأثير هي واحدة الدوم وهو ضخام الشجر وقيل شجر المقل .
وقال أبو حنيفة الدومة تعبل وتسمو ولها خوص كخوص النخل
وتُخرجُ أقنأء كَأَقْنَاءِ النخلة قال وذكر أبو زياد الأعرابي أن من العرب من
يسمي النبق دوماً قال وقال عمارَةُ الدوم العظامُ من السدرِ وقال ابن
الأعرابي الدومُ ضخام الشجر ^(٢).

والجندل لغة الحجارة قدر ما يرمى بالمقذوف ، ويسمى الجلمد أيضاً
إذا أنت لم تُحب ولم تدر ما الهوى

فكن حجراً من يابس الصخرِ جلمداً
ورجلٌ جلمدٌ وجلمدٌ، وهو الشديد، وقال بعضهم: الجلمودُ أصغر من
الجندل ^(٣).

(١) سورة يونس ٣٦.

(٢) لسان العرب ٢١٢/١٢.

(٣) العين ٤٩٥/١.

ومما ورد في ذكر دومة الجندل في التأريخ ما ذكره ابن الكلبي عن عوانة ، قال (إن أول من وضع خطنا هذا رجال من طي منهم مُرامر بن مرة قال الشاعر:

تعلمت باجاد وآل مرامر ... وسودت سربالي ولست بكاتب
ولما قال : آل مرامر ، لأنه قد سمي كل واحد من أولاده بكلمة من أبي
جاد وهم ثمانية)^(١).

ودومة الجندل مدينة تاريخية قديمة تتوسط بين المدينة المنورة والكوفة ودمشق ، إذ تبعد عن المدينة ثلاث عشرة مرحلة ، وتبعد عن الكوفة عشر مراحل ، وعن دمشق عشر مراحل أي خمس ليالٍ ، فكل مرحلتين ليلتان والمرحلة وحدة قياس عربية للمسافات التي يقطعها المسافر في اليوم سيراً على الأقدام أو على الدواب على نحو متعارف قياساً ، وكانت المسافة بين العاصمة والأمصار تقسم إلى مراحل مع تعيين نقاط لنقل البريد ونحوه ، والبريد أربع فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال عباسية ، والفرسخ ٥,٤٠ كم أو ١٢٠٠٠ خطوة .

أما المرحلة الواحدة فهي نحو ٤٤ كم وقيل ٤٠,٣٠ كم وتبعد دومة الجندل عن المدينة المنورة نحو ٦٠٠ كم في خط مستقيم .
وفيها حصن متين يسمى حصن مارد ، وقيل فيها التقى الحكمان أي أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص بعد واقعة صفين ، والصحيح أنهما التقيا في أذرح .

(قال أوس بن جابر:

لو كنت في دومة أو في فارع ... لم تنجُ من ريب المَنون الواقع)^(٢).
وقال ياقوت الحموي (وقرأت في كتاب الخوارج قال حدثنا محمد بن قُلامة بن إسماعيل عن محمد بن زياد قال حدثنا محمد بن عَوْن قال حدثنا

(١) المزهر ١/٣٠٩.

(٢) لسان العرب ٣/٣٤٣ .

عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال مررتُ مع أبي موسى بدومة الجندل فقال حدثني حبيبي أنه حكم في بني إسرائيل في هذا الموضع حكمان بالجور وأنه يحكم في أمتي في هذا المكان حكمان بالجور قال فما ذهبت إلا أيام حتى حكم هو وعمرو بن العاص بما حكما قال فلقيته فقلت له يا أبا موسى قد حدثتني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما حدثتني فقال والله المستعان^(١).

وورد ذكر دومة الجندل في ذكر بعض أمهات رجال من قريش (أبناء النبطيات من قريش مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنهما أمه خليلة من آل فهريدي، وعمر بن عمار بن عقبة بن أبي معيط، وزباد بن أبيه أمه نبطية من كسكر، وعقيل بن جعدة بن هبيرة المخزومي أمه نبطية من أهل سورا كان أخوها سماك بالكوفة، وسلمة بن هشام بن العاص بن هشام أمه نبطية من دومة الجندل)^(٢).

وللوليد بن عتبة ولد اسمه عاصم وأمّه يهودية (أبناء اليهوديات من قريش صيفي وأبو صيفي إبننا هاشم بن عبد مناف، ومخرمة بن المطلب بن عبد مناف أمهم واحدة من أهل خبير.

وقيس بن مخرمة بن المطلب ومسافع بن عبد مناف بن عمير بن أهيب الجمحي أمهما واحدة من أهل خبير، أبو عزة الجمحي الشاعر وهو عمرو بن عبد الله.

والخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف والحصين بن سفيان بن أمية بن عبد شمس أمهم واحدة يقال لها الرباب من أهل يثرب، وأمها شريفة يهودية، وعاصم بن الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، وعمرو بن قدامة بن مظعون أمه من يهود الأنصار.

(١) معجم البلدان ٢/٢٥٤.

(٢) المنق في أخبار قريش ١/١١٥.

وتويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى أمه من يهود الأنصار، وعيسى بن عمارة بن عقبة بن أبي معيط أمه يهودية من أهل دوران، وهاشم وعامر ابنا عتبة بن نوفل الزهري وأمهما يهودية نبطية يقال لها قامى وهي جدة حماد بن يونس الزهري.

أبناء النصرانيات من قريش

الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي أمه حبشية نصرانية تدعى سبحاء، وعثمان بن عنبسة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، والعباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان.

الكواسجة الثط من قريش

عبد الله بن جدعان التيمي، وعبد الله بن الزبير بن العوام، عكرمة بن أبي جهل بن هشام، وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ومحمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، والعباس بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب^(١).

(قال حكيم بن حزام: كنت أعالج البر^(٢))، في الجاهلية، وكنت رجلاً تاجراً أخرج إلى اليمن وإلى الشام في الرحلتين، فكنت أربح أرباحاً كثيرة، فأعود على فقراء قومي، ونحن لا نعبد شيئاً، نريد بذلك ثراء الأموال، والمحبة في العشيرة، وكنت أحضر الأسواق، وكانت لنا ثلاث أسواق: سوق بعكاظ، تقوم صباح هلال ذي القعدة، فتقوم عشرين يوماً ويحضره العرب، وبه ابتعن^(٣) زيد بن حارثة لعمتي خديجة بنت خويلد، وهو يومئذ غلام فأخذته بستمئة درهم.

(١) المنمق في أخبار قريش ١١٥/١.

(٢) أي يزاول تجارة القمح.

(٣) أي اشترى زيد بن حارثة من السوق.

فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خديجة، سألها زيدا فوهبته له، فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وبه ابتعت حلة ذي يزن، كسوتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما رأيت أحداً قط أجمل ولا أحسن من رسول الله في تلك الحلة.

ويقال إن حكيم بن حزام قدم بالحلة في هدنة الحديبية، وهو يريد الشام، في غير، فأرسل بالحلة إلى رسول الله، فأبى رسول الله أن يقبلها، وقال: لا أقبل هدية مشرك.

قال حكيم: فجزعت جزعاً شديداً حيث رد هديتي، فبعتها بسوق النبط من أول سائم سامني. ودس رسول الله إليها زيد بن حارثة فاشتراها، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلبسها بعد^(١).

وفي تعليم هاروت وماروت السحر كما ورد في قوله تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ قُتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

(روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت: قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت بتبغي رسول الله صلى الله عليه وآله عليه

(١) جمهرة نسب قریش وأخبارها ٨١/١.

(٢) سورة البقرة ١٠٤.

وآله وسلم بعد موته حَدَاثَةً ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السّحر قالت عائشة لعروة : يا ابن أخي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت تبكي حتّى إنني لأرحمها بقولي واني لأخاف أن تكون قد هلكت،

قالت كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز وشكوت إليها ذلك فقالت : إن فعلت ما أمرتك به فأجعله يأتيك فلما كان الليل جئتني بكليين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن حتّى وقفنا على بابل،

فإذا برجلين معلّنين بأرجلهما فقالا : ما جاء بك؟
فقلت : أتعلم السحر.

فقالا : إنّما نحن فتنة فلا تكفري وارجعي فأبيت فقلت : لا.
قالا : فأذهبي إلى ذلك التّور فبُولي فيه فذهبت ففزعت ولم أفعل
فرجعت إليهما فقالا : فعلت،

قلت : نعم. فقالا هل رأيت شيئاً؟
قلت : لم أر شيئاً.

فقالا : لم تفعلي ارجعي إلى بلدك ولا تكفري فأبيت،
فقالا : اذهبي إلى التّور فبُولي فيه.
فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت إليهما فقلت قد فعلت. قالا :
فما رأيتي؟

قلت : لم أر شيئاً.
فقالا : كذبت لم تفعلي،

ارجعي إلى بلادك فلا تكفري فإنك على رأس أمرك^(١).
فأيت. فقالا : اذهبي إلى ذلك الثَّور فُبُولي فيه فذهبت إليه فبلت فيه،

فرأيت فارساً مقنعاً بالحديد خرج مني حتى ذهب في السَّماء وقد غاب عني حتى لم أره فجئتهما فقلت قد فعلت
قالا : فما رأيت؟

قلت : رأيت فارساً مقنعاً بالحديد خرج مني فذهب في السَّماء حتى ما أراه. قالا : صدقت ذلك إيمانك خرج منك إذهدي إلى المرأة وقول لها : والله ما أعلم شيئاً وما قال لي شيئاً،
قالت بلى،

قالا : لن تريدي شيئاً إلا كان. خذي هذا القمح فأبذري فبذرت فقلت : إطلعي فطلعت فقلت : إحقلي فحقلت ثم قلت إفركي فأفركت ثم قلت اطحني فطحنت ، ثم قلت اخبزي فخبزت ، فلما رأيت إنني لا أريد شيئاً إلا كان سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً^(٢). ولم يثبت هذا الخبر موضوعاً وشواهد وحكماً والأصل عدمه .

وقد أكرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل القرى والمدن الذين يدخلون الإسلام طوعاً بالتخفيف عنهم وإعطائهم بعض المزايا ، فمثلاً جاء وفد الطائف إلى المدينة بعد شدة محاربتهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومنها واقعة حنين ، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوكُكُمْ فَلَمْ تُقِنِّ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ

(١) أي لا زلت في بداية الطريق وبإمكانك التدارك والرجوع .

(٢) الكشف والبيان للثعلبي ٢٠٣/١.

مُدْبِرِينَ ﴿١﴾ وعندما أعلن الوفد دخولهم وقومهم الإسلام جعل لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أموراً :

الأول : تحريم واديههم ، فقد ورد في كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم : وأله وسلم لهم : وثقيف أحق الناس بوج (ذكر في الكتاب وجًا ، وأنه حرام عضاهه وشجره يعني حراماً على غير أهله كتحريم المدينة ومكة . ووج هي أرض الطائف ، وهي التي جاء فيها الحديث إن آخر وطأة وطئها الرب بوج) ^(٢) وعلى فرض صحة سند الحديث أي المعنى أن آخر كتيبة وقاتل بأرض العرب في وادي مرج وهو معركة حنين .

وقيل في وج أنها مدينة الطائف ولعله استدل بنفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحکم بن العاصي إلى مرج (فقيل كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كبار الصحابة في مشركي قریش وسائر الكفار ، والمنافقين ، فكان يفشي ذلك عنه ، حتى ظهر ذلك عليه .

وكان يحاكيه في مشيته وبعض حركاته إلى أمور غيرها كرهت ذكرها ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا مشى يتكفأ وكان الحکم بن العاص يحاكيه فالتفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فرآه يفعل ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم : " فكذاك فلتكن " . فكان الحکم مختلجاً يرتعش من يومئذ فعيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال في عبد الرحمن بن الحکم يهجوهُ :

إن اللعين أبوك فارم عظامه ... إن ترم ترم مخلصاً مجنوناً
يمسي خميص البطن من عمل التقى ... ويظل من عمل الخبيث بطينا

(١) سورة التوبة ٢٥.

(٢) الروض الأنف ٤/٣١٥.

فأما قول عبد الرحمن بن حسان إن اللعين أبوك فروى عن عائشة من طرق ذكرها ابن أبي خيثمه وغيره أنها قالت لمروان إذ قال في أخيها عبد الرحمن ما قال أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أباك وأنت في صلبه^(١) .

فلعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيره إلى وج ، فلم يزل فيها طريدة إلى أيام عثمان إذ أدخله وأعطاه مائة ألف درهم .

وقال أمية بن أبي الصلت :

(إِنَّ وَجًّا وَمَا يَلِي بَطْنَ وَجٍّ ... دَارُ قَوْمِي بِرَبْوَةٍ وَزَتْوَقٍ)^(٢) .

والمختار أن وجاً اسم الوادي وقد يطلق على المدينة لسعته .

وسمي وجاً نسبة إلى وج بن عبد الحلي من العمالقة الذين أول من نزلها .

الثاني : لا يؤمر على أهل الطائف من غيرهم ، لبيان قانون وهو إمكان تولي أهل المدينة وأدناه نص بيان^(٣) ، حكمها ، واختيار الحاكم والمحافظ من أهلها بالتعيين أو الانتخاب .

(١) الاستيعاب ١٠٦/١ .

(٢) الروض الأنف ٢١٥/٤ .

(٣) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَكِّي الرَّبِيعِ الدِّبْيِ
الشَّيْخِ صَالِحِ الطَّائِي
صَاحِبِ أَحْسَنَ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

م/دعوة لانتخاب المحافظين مباشرة

تحتل وظيفة المحافظ في مدن العراق كافة أولوية وعناية خاصة عند أهلها وفي ميادين العمل والبناء، وصاحبت إختيار بعضهم في هذه الدورة مشاق وغيرها وربما وصل صاحب ثلاثة آلاف صوت إلى منصب المحافظ، وتعذر على الذي حصل على أكثر من عشرة أو عشرين ضعفاً عليها.

وجيء ببعضهم من خارج المجلس وقد لا يعرفه أغلب سكان المحافظة، ولم يكن له برنامج إنتخابي يكون ميزاناً لعمله ومادة للإحتجاج له أو عليه. لذا نقترح إعادة صياغة إنتخاب المحافظ بالإقتراع السري المباشر في ذات اليوم الذي تتم فيه إنتخابات مجلس المحافظة والذي يرشح لمنصب المحافظ لا يحق له الترشيح للمجلس أسوة بإنتخاب رئيس اقليم كردستان العراق وكذا إنتخاب حكام الولايات في أمريكا والمكسيك وفنزويلا وغيرها من الدول.

إن الوعي السياسي عند المواطن يرتقي بسرعة بلحاظ إطلاعه على الوقائع والأحداث في العراق والدول المجاورة والقريبة وعموم أنحاء العالم، ولما يتصف به أهل العراق من الذكاء والتدبر في الأمور والقدرة على إختيار الأحسن والتميز بين ما هو نافع وما فيه ضرر ويمكن دعوة للإقتراع العام حول آلية إنتخاب المحافظ ولا تصل النوبة إليه فترجو أن ينظر مجلس النواب بتعديل ثانيا من الفقرة ٢٦ من قانون المحافظات التي ورد فيها: يمكن أن ينتخب مجلس المحافظة المحافظ من داخل أو خارج المجلس والتدارك طريق للنجاح والإرتقاء ودرء المفاسد.

إن ظهور الإخفاق في مواد الدستور الوضعي في أول سنوات تطبيقه يؤكد الإعجاز في أحكام وسنن القرآن وصلاحياتها لكل زمان وأكتب الآن الجزء السابع والتسعين من التفسير في آية علمية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً.

صالح الطائي

حرر في النجف الأشرف

٥ رمضان ١٤٣٤ هـ

الثالث : عدم تغيير طوائف أهل الطائف ، لقد قدّم وفد ثقيف عدة شروط لدخولهم الإسلام ، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين لهم أنه لا يستطيع التغيير أو التبديل في أحكام الشريعة مثل وجوب الصلاة خمس مرات في اليوم ، وكيفيتها ، ولزوم الركوع مرة والسجود مرتين في كل ركعة .

وليس لهم أن يقبلوا شطراً من أحكام الشريعة ، ويخضعوا شطراً من آخر ، فاسلموا وتوجهوا لتعلم القرآن وصرفوا النظر عن شرط إهمالهم بعدم كسر أصنامهم سنة أو شهراً .

وأمر أصغرهم وهو عثمان بن أبي العاص باماتهم في الصلاة ، وقال له ﴿ يَا عَثْمَانُ تَجَاوَزَ فِي الصَّلَاةِ ، وَأَقْدَرُ النَّاسَ بِأَضْعَفِهِمْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ ﴾ ^(١).

أما أهل دومة الجندل فقد جاءوا إلى المدينة راغبين في الإسلام بعد أن غلب المسلمون على أرضهم فترك لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم صوافي أرضهم ، وكل أرض عمروها ، ونزع الحلقة وهي الدروع والخيل خشية غدرهم .

ودومة الجندل من بلاد الشام ، وسكانها من العرب قبل وبعد البعثة النبوية وكان يسكنها بنو كنانة من كلب وتحيط بها قرى عديدة ، (وقال أبو عبيد السكوني دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلي طيء كانت به بنو كنانة من كلب).

ودومة من القرى من وادي القرى إلى تيماء أربع ليال والقرى دومة وسكاكة وذو القارة فأما دومة فعليها سور يتحصن به وفي داخل السور حصن منيع يقال له مارد وهو حصن أكيدر الملك بن عبد الملك بن عبد الحفي بن أعيا بن الحارث بن معاوية بن خلاوة بن أبامة بن سلمة بن شكامة بن شبيب بن السكون بن أشرس بن ثور بن عفير وهو كندة السكني

الكندي وكان النبي صلى الله عليه وسلم وجه إليه خالد بن الوليد من تبوك وقال له ستلقاه يصيد الوحش^(١).

فقد ورد (عن ابن عباس قال : صارت الأصنام والأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ، وكانوا أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد حتى إذ هلك أولئك ونسخ العلم عبت)^(٢).

والجندل : مجموعة الحجر والواحدة جندلة .

وقيل الجندل ما يقل الرجل من الحجارة ، والجندل : الجنادل .
(قال سيوييه: وقالوا جندل يعنون: الجنادل، وصرفوه لنقصان البناء عما لا ينصرف، وأرض جندلة، ذات جندل وقيل: الجندل، المكان الغليظ فيه حجارة، ومكان جندل، كثير الجندل)^(٣).

وكتيبة دومة الجندل غير السرية التي بعث فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الطريق من تبوك إلى المدينة خالد بن الوليد إلى دومة الجندل ومجيئه باكير إلى المدينة حيث أسلم وأجازه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وارجعه إلى بلاده ، وكانت في السنة التاسعة للهجرة .

أما الكتيبة التي قادها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى دومة الجندل في ربيع أول من السنة الخامسة للهجرة^(٤)، فقد بلغ النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل دومة الجندل أموراً مجتمعة وهي :

(١) معجم البلدان ٢/ ٢٥٣.

(٢) الدر المنثور ١٠/ ١٠٩.

(٣) المقرئ / المواعظ والإعتبار ١/ ٣٢٨ .

(٤) الإستيعاب ١/ ١٠٦.

الأول : في المدينة جمع كثير بهيئة العسكر .

الثاني : قيام أهل دومة الجندل بظلم من يمر عليهم ، إذ يمر عليهم المسلمون من أهل المدينة وغيرها ، كما تمر عليها قوافل قريش ، وفي سعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى تأديب الذين يقطعون الطريق حتى بالنسبة لقوافل المشركين شاهد على أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يتعرض لقافلة أبي سفيان أيام معركة بدر ، وبطلان حجة قريش باتخاذ هذا التعرض ذريعة للقتال في معركة بدر حتى أخزاهم الله .

وهل هذه الحجة من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾^(١).
الجواب نعم إلى جانب احتمال كونه كيداً ومكرأ من أبي سفيان وأصحابه .

الثالث : عزم أهل دومة الجندل الدنو من المدينة المنورة والزحف إليها ، وهل لكفار قريش وغيرهم فعل وأثر في تحريض العرب الذين في دومة الجندل ونحوهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة وأنه وأصحابه أشداء على عبادة وتقديس الأصنام ، ونزل القرآن بدم عبادة الأصنام ، واتخاذها وسائط وشفعاء ، المختار نعم ، وسيأتي مزيد كلام في الجزء التاسع والثلاثين بعد المائتين إن شاء الله .

وجاءت السور المكية والمدنية بالإنذار من عبادتها ، ومن المكية قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾^(٢) وفي صفة الأصنام وفضح الذين اتخذوها أولياء قال تعالى ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾^(٣).

(١) المقرئزي / المواعظ والإعتبار ١/ ٣٢٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٩٨ .

(٣) سورة هود ٢٠ .

وورد في سورة المائدة وهي آخر سور القرآن نزولاً قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(١) ، فقد كانت لقريش صلات وشأن مع العرب حول مكة وفي اليمن والشام والعراق ، فأخذوا يجرضون القبائل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ويخوفونهم منهم وينفقون الأموال عليهم لترغيبهم بقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتوفير مستلزمات القتال ، وهو من عمومات قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾^(٢) .

(عن ابن عباس قال : جاء عبد الله بن الزبير إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : تزعم أن الله أنزل عليه هذه الآية { إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون }^(٣) .

قال ابن الزبير : قد عبدت الشمس ، والقمر والملائكة ، وعزير وعيسى ابن مريم ، كل هؤلاء في النار مع آلهتنا ، فنزلت { ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون }^(٤) .

جاء في الحديث (أن قوما أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا له : أأنت رسول الله .

(١) سورة المائدة ١٠٤ .

(٢) سورة الأنفال ٣٦ .

(٣) سورة الأنبياء ٩٨ .

(٤) الدر المنثور ١٠٥/٧ .

قال: لهم بلى، قالوا له: وهذا القرآن الذي أتيت به كلام الله؟ قال: نعم، قالوا: فأخبرني عن قوله ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾^(١).

إذا كان معبودهم معهم في النار فقد عبدوا المسيح، أفقول: إنه في النار. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله سبحانه أنزل القرآن علي بكلام العرب والمتعارف في لغتها أن (ما) لما لا يعقل و (من)

لمن يعقل، و (الذي) يصلح لهما جميعا، فإن كنتم من العرب فأنتم تعلمون هذا، قال الله تعالى: "إنكم وما تعبدون" يريد الأصنام التي عبدوها وهي لا تعقل، والمسيح عليه السلام لا يدخل في جملتها، فإنه يعقل، ولو كان قال: (إنكم ومن تعبدون) لدخل المسيح في الجملة، فقال القوم: صدقت يا رسول الله.^(٢)

لقد كانت قريش والقبائل المتحالفة معها والقبائل التي تتخذ الكفر وعبادة الأصنام منهاجاً مستمرين في حربهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا تنحصر هذه الحروب من جهة مكة والذين يحيطون بها، وليس للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من عاصمة أو بلدة إلا المدينة المنورة، فاذا تعرضت إلى هجوم وغزو واختراق لا يستطيعون الإنسحاب إلى بلدة أخرى.

وكان بإمكان المشركين الهجوم على المدينة من أكثر من جهة، ولكن الله عز وجل خذلهم، وعندما اجتمعوا وسار عشرة آلاف رجل في الأحزاب نحو المدينة أخزاهم الله بأن نجى الله عز وجل النبي وأصحابه

(١) سورة الأنبياء ٩٨.

(٢) البحار ٢٨٣/٩.

والمدينة وساكنيها من المسلمين واليهود وعامة الناس من شرور وبطش وسبي كفار قريش .

وتخاذل المنافقون ، وأرجفوا في المدينة وبين صفوف المسلمين داخل الخندق الذي حفره المسلمون حول المدينة ، كما ورد في التنزيل ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾^(١) .

ومثلما نسب الله عز وجل نصر المسلمين يوم بدر إلى نفسه فقال ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢) ليكون من معاني ﴿أَذِلَّةٌ﴾ في تأكيد نسبة النصر يومئذ إلى الله ، وإقامة للحجة ومنعاً من إدعاء تحقق النصر بالجهود الشخصية للمسلمين .

وفيه شاهد بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يغز المشركين يوم بدر ، لأن المسلمين كانوا في حال ذلة وعدد جيش عدوهم أضعاف عددهم ، وعنده الدروع والحلقة والسلاح .

وكذا في معركة الخندق فإن الله عز وجل أخبر عن رده المشركين عن المدينة بآية من عنده من الريح العاتية وطول المكوث وأسباب الملل والخوف في صفوفهم ، قال تعالى ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾^(٣) .

(١) سورة الأحزاب ١٣ .

(٢) سورة عمران ١٢٣ .

(٣) سورة الأحزاب ٢٥ .

فان قلت (أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ هذا الحرف { وكفى الله المؤمنين القتال } بعلي بن أبي طالب) ^(١) والجواب من جهات :

الأولى : بين رد المشركين وكفاية القتال يومئذ عموم وخصوص مطلق ، فقد يتوقف القتال ولكن جيوش المشركين تبقى محاصرة للمدينة مما يجعل أهلها في ضائقة معاشية ، ويكون الحصار مقدمة للفتنة كما أخبرت سورة الأحزاب عن إرجاف المنافقين ، ومساعدة آخرين من حول المدينة للمنافقين ، وذكرتهم السورة باسم ﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ﴾ ^(٢) .

الثانية : تعدد سبل وطرق كفاية الله المؤمنين القتال في الخندق وغيرها بفضل منه تعالى (عن عائشة قالت : خرجت يوم الخندق أقفوا الناس فإذا أنا بسعد بن معاذ ورماه رجل من قريش يقال له ابن العرقه بسهم ، فأصاب أكحله ، فقطعه ، فدعا الله سعد ، فقال : اللهم لا تمتني حتى تقرعيني من قريظة .

وبعث الله الريح على المشركين { وكفى الله المؤمنين القتال } ولحق أبو سفيان ومن معه بتهامة ، ولحق عيينة بن بدر ومن معه بنجد ، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيههم .

ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة ، وأمر بقبة من آدم ، فضربت على سعد في المسجد قالت : فجاء جبريل عليه السلام - وإن على ثنياه تقع الغبار - فقال : أو قد وضعت السلاح؟ لا والله ما وضعت الملائكة السلاح بعد ، أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم .

فلبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لامته ^(٣) ، وأذن في الناس بالرحيل : أن يخرجوا ، فأتاهم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة ، فلما اشتد

(١) الدر المنثور ٨/١٤٧ .

(٢) سورة الأحزاب ٢٦ .

(٣) العلامة مجموع أدوات الحرب ، كالدرع والخوذة والمغفر والسيف والرمح .

حصرهم ، واشتد البلاء عليهم فقبل لهم : انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : ننزل على حكم سعد بن معاذ ، فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى سعد بن معاذ ، فأتي به على حمار .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : احكم فيهم فقال : إني أحكم فيهم؛ أن تقتل مقاتليهم ، وتسبى ذراريهم ، وتقسم أموالهم ، قال : فلقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله^(١).

الثالثة : لقد كانت ضربة الإمام علي عليه السلام لعمر بن ود العامري وقتله إياه آية من عند الله ، وفضلاً من الله على عموم المسلمين والمسلمات ، ودفاعاً لكيد المشركين ، وفضحاً لعتوهم إلى يوم القيامة .

وروى أن النبي (قال بعد محاربة علي عليه السلام لعمر بن ود : كيف وجدت نفسك يا علي ، قال : وجدت لو كان كل أهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم فقال : تأهب فإنه يخرج من هذا الوادي فتى يقاتلك " ، الحديث إلى آخره وهو مشهور)^(٢).

وهذا الأخبار من المعجزات الحسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأسباب التخفيف عن المسلمين .

وكان توجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى دومة الجندل قبل معركة الخندق وحصار قريش للمدينة ، وعندما أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم التوجه إليها بعد كثرة شكوى الناس من أهلها والإخبار عن عزمهم الهجوم على المدينة .

قال بعض الصحابة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم محذراً : أن دومة الجندل طرف من أفواه الشام ، فلو دنوت لكان ذلك مما يفرع قيص^(٣).

(١) الدر المنثور ٨/١٤٩.

(٢) تفسير الرازي ٢/٤٢٩.

لقد كان التخويف بقيصر وكثرة جنوده وتسليحهم وتدريبهم إختباراً وامتحاناً ، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يلتفت إليه لما رزقه الله عز وجل من الوحي ، ولأن القعود يؤدي إلى تمادي أهل دومة الجندل وغيرهم ، ومناجاتهم بالهجوم على المدينة ، فندب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة إلى دومة الجندل أي قبل واقعة الخندق بنحو ستة أشهر على القول بأنها في شهر شوال من السنة الخامسة ، وهو المختار .

وهذا النذب من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢) لبيان قانون وهو الإعجاز الغيري للوحي في الآية أعلاه تلقي المسلمين هذا النذب بالقبول والاستجابة لعلمهم بأنه شعبة من الوحي ، ولا عبرة بشكوك وظنون المنافقين لأن الأيام والنتائج تكشف بطلانها ، وتلحق بهم الخزي وتسبب لهم الإنزواء أو المبادرة إلى التوبة وإصلاح الذات ، لذا قال الله تعالى ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣).

واستخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم (على المدينة سبع - بمهملة مكسورة فموحدة فالف فعين مهملة - ابن عرفة بضم العين المهملة والفاء - الغفاري، بكسر الغين المعجمة)^(٤) .

ومراده من مهملة مكسورة أي السين وتحتها كسرة ، وسميت مهملة لعدم وجود ثلاث نكبات عليها مثل الشين .

(١) سبل الهدى ٢٤٢/٤ .

(٢) سورة النجم ٣-٤ .

(٣) سورة الأحزاب ٢٤ .

(٤) سبل الهدى والرشاد ٣٤٢/٤ .

أما (فموحدة) أي الباء تحتها نقطة واحدة ، و(عين مهملة) أي ليست مثل الغين المعجمة ، لبيان فضل الله في تنقيط الحروف ، وإمكانه ومنافعه في قابلية رسم الحروف العربية في قبوله فتجد النبرة (ـهـ) تفيد بالتنقيط ست حروف وهي :

الأول : النون .

الثاني : التاء .

الثالث : الـثاء .

الرابع : الباء .

الخامس : الياء .

السادس : الهمزة .

مع إمكان مجيئها في أول ووسط وآخر الكلمة و(الرقم: تعجيم الكتاب، وكتاب مرقوم: بينت حروفه بالتنقيط. والتاجر يرقم ثوبه بسمته) ^(١).

وقوله تعالى ﴿كَتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ ^(٢) أي مكتوب ومبين بعلاماته (وشكّلتُ الكتابة: قيّدتها بالتنقيط) ^(٣). وكذا الرقش والترقيش .

(وتقييد الخط : إحكامه بالتنقيط والتعجيم) ^(٤). (النقطة واحدة النقط والنقاط أيضاً بالكسر جمع نُقْطة كِبْرمة وبرام. ونَقَطَ الكتاب من باب نصر ونَقَطَ المصاحف تنقيطاً فهو نَقَاط) ^(٥).

(١) العين ٣٩٩/١.

(٢) سورة المطففين ٩.

(٣) المحيط في اللغة ٥٢/٢.

(٤) تهذيب اللغة ٢٥/٢.

(٥) مختار الصحاح ٣٢١/١.

ويقال أرض بها نقاط من الكلاً أي قطع متفرقة .

وسباع بن عرفطة الغفاري الذي استخلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة من كبار الصحابة المعروفين ، ومن معاني الإستخلاف في المقام أنه يقيم الصلاة جماعة في المسجد النبوي ويحكم بين الناس ، ويجعل الرصد حول المدينة مع تعاهد الأمن فيها .

وأبو هريرة (أسلم وقدم المدينة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بخيبر وعليها سباع بن عرفطة الغفاري فصلى مع سباع الغداة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعه يقرأ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا الآية) (١) ..

وذكر أنه (قدم المدينة في نفر من قومه وافدين وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى خيبر واستخلف على المدينة رجلا من بني غفار يقال له سباع بن عرفطة فأتيناه وهو في صلاة الصبح فقرأ في الركعة الأولى كهيعص .

وقرأ في الركعة الثانية ويل للمطففين قال أبو هريرة فأقول في الصلاة ويل لأبي فلان له مكيالان إذا اكتال بالوافي وإذا كال كال بالناقص فلما فرغنا من صلاتنا أتينا سباعا فزودنا شيئا حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد افتتح خيبر فكلم المسلمين فاشركونا في سهمانهم) (٢) .

وخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخيبر بعد خروجه لدومة الجندل مما يدل على تعدد استخلافه لسباع بن عرفطة .

وفي خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر أخرج معه زوجة أم سلمة ، بينما لم يرد ذكر لإخراجه إحدى زوجاته معه إلى دومة الجندل والأصل هو عدم الإخراج .

(١) ثقات ابن حبان ٢/٢٢٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ٤/٣٢٧ .

ويلاحظ في السنة النبوية وخصوص كتائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة الثالثة والرابعة وما بعدها التباعد الزمني بينها مع عدم وقوع قتال في أكثرها.

فقد تقدم في الجزء الثالث والتسعون بعد المائة خروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى بدر الموعد في شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة^(١).

ثم بقي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة في كل من :

الأول : شهر رمضان من السنة الرابعة .

الثاني : شهر شوال .

الثالث : شهر ذي القعدة .

الرابع : شهر ذي الحجة .

الخامس : شهر محرم من السنة الخامسة .

السادس : شهر صفر من السنة الخامسة .

وبعد انقضاء أربعة وعشرين يوماً من شهر ربيع الأول^(٢) من ذات السنة خرج متوجهاً إلى دومة الجندل ومعه ألف من أصحابه ، إذ بلغه عن أهلها أمرين :

الأول : ظلم وإيذاء أهل دومة الجندل لمن يمر عليهم^(٣).

الثاني : إرادة أهل دومة الجندل الإغارة على المدينة .

ومدينة دومة الجندل قديمة ، وورد لها ذكر في أخبار القرن الثامن قبل الميلاد ، واشتق اسمها من اسم دوماء بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام على قول عدد من المؤرخين ، وتقع دومة الجندل في شمال الجزيرة.

(١) أنظر الجزء الثامن والثمانين بعد المائة من هذا السفر المبارك ص ٢٤٥.

(٢) أكتب هذا السطور في اليوم الأول من شهر ربيع الأول من سنة ١٤٤١ للهجرة .

(٣) انظر عيون الأثر ٢٢/١.

ونسبت إلى الجندل لأن حصنها منيع انشئ من الصخر والحجر والصلب ، وورد ذكرها في التوراة في التوراة باسم دومة ، فورد في سفر اشعياء.

(وحي من جهة بلاد العرب في الوعر في بلاد العرب تبيتين يا قوافل الددانيين :

٢١: ١٤ هاتوا ماء لملاقة العطشان يا سكان ارض تيماء و افوا الهارب بخبزه^(١)).

وتسمى دومة (جوف آل عمرو) نسبة إلى سكانها في القدم ، وهم بنو عمرو من قبيلة طئ الذين انتقلوا إليها من جنوب الجزيرة .
وكان فيها سوق من أسواق العرب يقع تحت حصن منيع يقال له مارد^(٢) ، وهو محلات مبنية من الحجر ، وتعقد هذه السوق في الأول من شهر ربيع الأول حتى منتصف الشهر من كل سنة وتبعد مدينة دومة الجندل عن المدينة المنورة ستمائة كيلو متر وقيل اقل منها .

وعندما توجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى دومة الجندل كانوا يسيرون بالليل ويكنون بالنهار تورية ، ولمنع كشف أمرهم واستعداد العدو للقتال ، وفيه دلالة على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجتنب القتال وملاقاة الجيوش ، إنما يريد تحقيق غاية الإصلاح وسلامة طرق الناس والقوافل من غير قتال بزجر أهل دومة الجندل عن ظلم المارة والمسافرين.

(١) موسوعة الكتاب المقدس ٢٨/٣.

(٢) حصن مارد لأكيدر بن عبد الملك وقد وجه إليه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد ، في السنة التاسعة وجاء به إلى المدينة وأسلم أخوه حريث ، وأمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكيدر ، وأقر عليه الجزية ، وأقره على ملك دومة .

وكان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم دليل اسمه (مذكور) ويتصف بأنه يعلم الطريق والأماكن جيداً وهو (خريت) ^(١).

ويحتمل إختيار النبي صلى الله عليه وآله وسلم له وجوهاً :
الأول : إتصاف المذكور بالأمانة ومعرفة الطريق.

الثاني : إخبار الصحابة للنبي عن مهارته وضبطه .
الثالث : ليس من دليل غيره .

الرابع : تم إختيار المذكور بالوحي .

والمختار هو الأخير لبيان أن إختيار الدليل الأمين والذي يتنزه عن الغدر من مقدمات النصر والظفر ، وهو مانع من الضرر الخاص والعام بالجيش .

ولا مانع من التقاء بعض الوجوه أعلاه مع الوحي .

وهل كان استدلال وسير النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه باتباع هذا الدليل وحده ، الجواب لا ، إنما كان الوحي مصاحباً للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فلا تنحصر وظيفة الوحي ، بالإضافة إلى وجود من يعلم الطريق من الصحابة الألف الذين مع النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ، وأن كثيراً من أهل المدينة كانوا يسافرون إلى الشام وأطرافها ، وكان فيها قبيلة غسان وهم أبناء عم الأوس والخزرج .

فان قلت إذا كان بعض الصحابة يعلمون الطريق إلى دومة الجندل والإهداء إليه ، لماذا أصطحب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معه دليلاً وهو المذكور ، الجواب من جهات :

الأولى : التثبت والإطمئنان .

الثانية : منع الإختلاف بين الصحابة في تعيين الطريق ، خاصة وأنه كانت بعض الطرق الفرعية بين المدن .

(١) أي ماهر بالهداية .

الثالثة : جعل الصحابة منشغلين بالذكر والدعاء .

الرابعة : إرادة اختيار أقصر وأفضل الطرق ، فقد يلزم الجيش السير في غير الجادة العامة ، ويرى القائد التدبير والمكيدة باختيار طريق أطول وأكثر وعورة لبلوغ الهدف وللإلتفاف على العدو ، فلا تختصر مهمة الدليل بالإرشاد إلى الطريق العام ، إنما يسأله النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أسئلة متعددة وبخصوص جهات مختلفة .

وقد ورد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : الحرب خدعة^(١).

الخامسة : تعليم المسلمين الإستعانة بالدليل في السرايا ، وفي الطريق لأداء مناسك الحج والعمرة وفي الضرب في الأرض للتجارة ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ^(٢) .

فقد يكون فقدان الدليل في ديار الغير سبباً للهلاك أو الوقوع في كمين أو ضرر فادح أو التعرض للجوع والعطش .
والغزي جمع منقوص تكون حركة أخرى ثابتة في حال الرفع والنصب والجر على وزن فعل والمفرد غازي ، مثل عات : عتي .
والمراد من الغزي في الآية أعلاه المعنى العام وهو الطلب والقصد يقال (غَزَوْا وَغَزَوْنَا وَغَزَاوَةً)^(٣) .

وعن ابن سيده قال (صاحب العين: الغَزْوُ: السَّيْرُ إِلَى قِتَالِ الْعَدُوِّ وَانْتِهَابِهِ، وَقَدْ غَزَا غَزَوًا، وَرَجُلٌ غَازٍ مِنْ قَوْمٍ غُزًى وَغَزَاةً)^(١).

(١) الكشف والبيان ٣٤٢/١.

(٢) سورة آل عمران ١٥٦.

(٣) القاموس المحيط ٤٥٧/٣.

ولم أجد هذه العبارة في كتاب العين ، وفيه (وتقول للرجل: ما غزوتك أي ما تعني بما تقول).

وأغزيت أي: بعثته إلى الغزو.

وأغزت الناقة أي عسر لقاحها) (٣).

وكتيبة دومة الجندل من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ﴾ (٣)، إذ تدل على بذل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم

الجهد وجهاده من أجل تأمين طرق التجارة ، ونشر الأمن في الجادة العامة

بين الأمصار ، وموضوعية في منع ديب الخوف والفرع في النفوس ، وهذا

المنع مقدمة للإلتفات للمعجزات النبوية ، والتدبر بالسنن الكونية ، ومنها

التنزيل وذخائره .

وأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيان مسألة وهي أن الحصون

المنبعة لا تنفع الذين يعتدون على السلم المجتمعي ، وينشرون الرعب بين

الناس ، ويفسدون في الأرض وفي التنزيل ﴿وَلَا تَنْتَهِوا عَنْهُمْ مَصْرَهُمْ حَتَّىٰ حَضَرَهُمُ الْمُنَادِ بِالنَّارِ فَهُمْ لَا يَمْنَعُهُمْ

فَاتَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ (٤).

ويدل خروج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه إلى دومة

الجندل مع بعد الشقة على انتشار السلب وعصابات الطريق في الأماكن

المختلفة وحاجة الناس للبعثة النبوية ، ترى كيف كانت قوافل قريش تتعامل

مع مثل هذه الحال ، الظاهر أنهم يقومون بدفع الرشاوى والهدايا لرؤساء

العصابات والقبائل ومهاونتهم والسعي في حوائجهم ، مما يؤدي إلى تحميل

البضائع التي تجلب إلى مكة اسعاراً اضافية .

(١) المخصص ١٦٧/٢.

(٢) العين ٢٦٠/١.

(٣) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٤) سورة الحشر ٢.

وهل لكفار قريش أثر في التحريض على المسلمين الذين يسيرون بين المدينة والشام أو بين المدينة واليمن ، المختار نعم ، لذا قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسير بنفسه ومعه سبعون من أصحابه إلى دومة الجندل ، واعتمد السرية والكتمان في السير ، إذ كانوا لا يسيرون إلا في الليل ، والمختار أن النبي أراد إجتناّب القتال مع فضاة.

من جهز غازياً

(حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ قَالَ حَدَّثَنِي بُسْرُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ خَالِدٍ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا)^(١).

والغزوة هي المرة الواحدة من الغزو وهو القصد ، وغزو العدو طلبه ومغزى الكلام مقصده ، والغزو مسير الجيش والأفراد لقتال العدو وقد تقدم الكلام أنه اختلف في غزوات الرسول على أقوال :

الأول : ثمانى عشرة غزوة .

الثاني : تسع عشرة غزوة ، عن أبي اسحاق : قَالَ حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَزَا تِسْعَ عَشْرَةَ غَزْوَةً ، وَأَنَّهُ حَجَّ بَعْدَ مَا هَاجَرَ حَجَّةً وَاحِدَةً لَمْ يَحْجْ بَعْدَهَا حَجَّةَ الْوَدَاعِ . قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ وَبِمَكَّةَ أُخْرَى^(٢).

الثالث : خمس وعشرون غزوة ، قاله ابن حزم .

الرابع : ست وعشرون غزوة.

الخامس : سبع وعشرون غزوة قاله ابن هشام^(٣).

السادس : تسع وعشرون غزوة .

(١) المحرر الوجيز ١٤٥/٢.

(٢) صحيح البخاري ٣٣٩/١٤ .

(٣) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ٦٠٨/٢ .

قال ابن حزم (فَالْغَزَوَاتُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ وَقِيلَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ وَقِيلَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ) ^(١) وقاتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تسع منها .

والمختار أنها لم تكن غزوات بل كتائب إستطلاع ، ودفاع والتي كان فيها قتال منها تسع وهي :

الأولى : معركة بدر .

الثانية : معركة أحد :

الثالثة : معركة الخندق .

الرابعة : معركة خيبر .

الخامسة : معركة بني قريظة .

السادسة : معركة بني المصطلق .

السابعة : فتح مكة .

الثامنة : معركة حنين .

التاسعة : معركة الطائف .

وتذكر هذه التسعة أو ثمانية في كتب السيرة والتاريخ بعنوان الغزوات التي قاتل فيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد يكون المتبادر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاتل بنفسه وبسيفه فيها ، إنما كان حاضراً في ساحة المعركة باماماً وقائداً ، ولفظ الخروج ذكره قتادة إذ قال (أن مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسراياه ثلاث وأربعون .

أربع وعشرون بعثاً، وتسع عشرة غزوة، خرج في ثمان منها بنفسه: بدر، وأحد، والاحزاب، والمريسيع، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، (والطائف) ^(٢) .

(١) زاد المعاد ١/١٢٥.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٢/٣٥٤.

(وقال الحسين بن واقد، عن ابن بريدة، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزا سبع عشرة غزوة وقاتل في ثمان، يوم بدر، وأحد، والاحزاب، والمريسيع، وقديد وخيبر، ومكة، وحنين.)^(١).

وتسمى البعوث التي خرجت من المدينة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأله وسلم لقتال الكفار بالسرايا ومنهم من سمي السرايا بالغزوات أيضاً مثل ابن حجر، لأنها خرجت بأمر من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل أن الذي ذكر العدد القليل مثل تسع عشرة غزوة قصد الجمع بين الغزوتين المتقاربتين في الزمان.

واستدل على غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٢)، ولكن هذه الآية لا تدل على الغزو، إنما تدل على الإذن بالدفاع لوقف استمرار الظلم على المسلمين.

(عن أنس: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إني أشتي الجهاد ولا أقدر عليه، فقال: هل بقي أحد من والديك؟ قال: أمي، قال: فاتق الله فيها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد، فإذا دعيتك أمك فاتق الله وبرها)^(٣).

وأحاديث الجهاد كثيرة وهي مرآة وبيان لآيات من القرآن، قال تعالى ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾^(٤) وقال تعالى ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٥) ومعنى الجهاد أعم إذ أنه يشمل الدفاع وأحكام الضرورة، والجهاد بالصبر والتقوى وبر الوالدين والخلق الحميد، وقهر النفس الشهوية والغضبية.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٣٥٢/٢.

(٢) سورة الحج ٣٩.

(٣) الدر المنثور ٢٥٣/٦.

(٤) سورة التوبة ٤١.

(٥) سورة التوبة ٤١.

وبين حديث (من جهز غازياً) الدعوة إلى الصبر ، وجواز القعود وعدم الخروج للنفير ، مع بيان مسألة وهي أن إعانة المدافع والقائم في الثغور بمنزلة الجهاد من جهة الفعل والثواب ، وهو من مصاديق العبد في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١).

ولا ينظر الحديث من جهز غازياً ونحوه من جهة وحال الصحابة فقط بل لابد من معرفة حال العدو ، إذ كان الكفار يعتزمون الإغارة على المدينة ، ويتصف مشركو قريش بأنهم يمتلكون الأموال الطائلة من جهات :

الأولى : أرباح قوافل التجارة بين مكة والشام ، وبين مكة واليمن خاصة عندما انقطع طريق تجارة الحرير بسبب الحروب المتصلة والمتقطعة بين دولة الروم والدولة الفارسية ، فصارت موضوعية وحاجة للإبل وتجارة قريش بين ميناء جدة وموانئ اليمن من جهة والشام من جهة أخرى ، فلا غرابة أن تجد قوافل قريش تتألف من (ألف بعير كما في قافلة أبي سفيان ومعه سبعون رجلاً)^(٢) أو من ألفين وخمسمائة بعير كما في قافلة أمية بن خلف^(٣).

الثانية : ريع أسواق مكة في موسم الحج ، وطيلة أيام السنة إذ كانت تجلب لها البضائع من القرى والأمصار ، وفيه قوله تعالى ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾^(٤).

(١) سورة آل عمران ٢٠٠.

(٢) أنظر عيون الأثر ١/ ٣٢١ .

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٢/ ٢٦١ .

(٤) سورة الحج ٢٨.

(عن ابن عباس قال : أسواقاً كانت لهم . ما ذكر الله منافع إلا الدنيا)^(١).

وورد عنه أيضاً في ذات الآية قال (منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة . فأما منافع الآخرة ، فضوان الله عز وجل . وأما منافع الدنيا ، فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم والذبائح والتجارات)^(٢) .

وقد ورد لفظ ﴿منافع﴾ بصيغة الجمع ثمان مرات في القرآن منها قوله تعالى ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٣) وقال تعالى ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَمَا بَكَتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٤) .

الثالثة : أرباح قريش في القروض الربوية على أهل القرى والطائف وغيرهم ، وكانت قريش تقرض على الربا والنسيئة ، وتستلف على الربا أيضاً ، ولكن إقراضها للغير هو الأكثر .
ويكون الربا وكيفيته على وجوه :

الأول : فرض الزيادة الربوية عند العجز عن القضاء عند حلول الأجل ، فإذا أقرضه مائة دينار لعام وحل الأجل وقضى دينه فليس من ربا ، أما إذا عجز عن القضاء فرضت الزيادة وهو بطريقتين :

الأولى : يأتي الدائن عند حلول الأجل فيقول للمدين : أنتقضي أم تربني ، أي تزيد على الدين .

الثانية : يبادر المدين فيقول للدائن عند حلول الأجل : زدني في الأجل وأزيدك في مقدار المال .

الثاني : القرض الربوي من الأصل ، فلا يقرض صاحب المال المدين إلا بشرط الزيادة عند القضاء ، فيقول له أقرضك مائة على أن تقضي وتدفع في

(١) الدر المنثور ١٤٣/٧ .

(٢) الدر المنثور ١٤٣/٧ .

(٣) سورة النحل ٥ .

(٤) سورة الرعد ١٧ .

الأجل مائة وخمسين مثلاً بحسب المدة والمقدار وإذا لم يكن عنده ، زاد في الأجل والمال ، وقد تكون الزيادة مضاعفة ، فتفضل الله عز وجل وحرّم الربا ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾^(١).

الثالث : الإقراض مع ربح شهري محدود يدفعه المدين مع بقاء أصل القرض على حاله حين أوان القضاء .

لقد قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً في فتح مكة وأعلن في اليوم الثاني للفتح حرمة الربا ، وابتدأ بمال عمه العباس فاسقط ماله من الربا على الناس في بيان الشواهد على صدق نبوته وإمامته للناس بأن بدأ بأهل بيته .

وقال (أَلَا كُلُّ رِبَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَأَوَّلُ رِبَا أَضَعَهُ رَبَا الْعَبَّاسِ)^(٢).

وذكر أنه لما صالح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفد الطائف (اشترطوا شروطاً ، وكان في شروطهم : أَنْ كُلَّ رِبَا لِهِمْ عَلَى النَّاسِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَهُ ، وَكُلُّ رِبَا عَلَيْهِمْ ، فَهُوَ مَوْضُوعٌ ، فيروى ؛ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَّرَ لَهُمْ هَذِهِ ، ثُمَّ رَدَّهَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ)^(٣).

ولكن هذا الخبر ينخرم بما ورد في خطبة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة بابطال وحرمة الربا على نحو العموم ، نعم أرادت تقيف أخذ أموالهم الربوية بعد فتح مكة من جهات :

الأولى : الطمع بالمال واستصحاب العمل بالربا .

الثانية : الظن بأن المال الربوي ملك شخصي .

الثالثة : تأويل حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه خاص .

(١) سورة آل عمران ١٣٠.

(٢) تفسير الثعالبي ١/١٧٤.

(٣) تفسير الثعالبي ١/١٧٤.

الرابعة : لقد أسلمت ثقيف بعد فتح مكة بنحو سنة إذ وفدوا إلى المدينة في شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة وبعد عودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك ، وظنوا أن الحرمة لا تشملهم .

لقد اشترط النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ثقيف في ذات كتابة الصلح أن يكونوا كباقي المسلمين .

إِذْ (أَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ لِثَقِيفٍ : لَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ) ^(١) .

بالإضافة إلى نزول آيات أخرى في حرمة الربا .

والمختار أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصالح وفد ثقيف على أخذ مالهم من الربا من الناس .

وقد طلب وفد ثقيف أموراً وشروطاً لم يوافق عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولمخالفتها للقواعد العامة للشريعة .

مما يدل على عدم المحاباة في الإسلام ، إنما هو دين الرحمة لعامة الناس ، والكل متساوون في أحكام الشريعة خاصة وأن وفد ثقيف جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لدخول الإسلام وهم بحال رضا وشبه ضرورة لهزيمتهم في معركة حنين ، وعجزهم عن السير في الطرق العامة خارج الطائف ، ولوجود مسلمين في ذات مدينة الطائف ، وتوالي نزول آيات

القرآن والحجج البالغة من عند الله عز وجل ، قال تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ^(٢) .

لقد أدركت ثقيف قبح بقائهم على الكفر بعد فتح مكة ودخول القبائل الإسلام ، وعندما عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك وفي اليوم الحادي عشر من شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة قدم وفد ثقيف إلى

(١) تفسير الثعالبي ١/١٧٤ .

(٢) سورة فصلت ٥٣ .

المدينة لإستطلاع الحال ، ولدخول الإسلام ، ووجدوا ما لا يألفوه ، لقد قاتلهم المسلمون أشد قتال في معركة حنين قبل أقل من سنة من قدومهم ، أي في شهر شوال من السنة الثامنة للهجرة بعد أن أصرت ثقيف وهوازن على القتال والحرب والهجوم المباغت على المسلمين حسداً وجهالة .

وكان وفد ثقيف مؤلفاً من ستة من كبار بني مالك والأحلاف ويرأسهم عبد يا ليل بن عمرو ، وحينما دخلوا المدينة انبهروا من حال الخشوع التي تتغشى جنباتها وتتجلى في مساجدها وأزقتها إذ كان الناس صياماً ممتنعين طوعاً عن الأكل والشرب في النهار ، منقطعين إلى الصلاة والذكر والتسبيح وتلاوة القرآن في الليل والنهار .

فاكرمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصب لهم خياماً في المسجد الحرام وتوالى الإشراف على ضيافتهم مع أنهم قاتلوه في حنين ، فكانوا يفدون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل يوم ويذهب لهم ويجلس معهم .

وبيين لهم أحكام الشريعة ، وكان وفد ثقيف يخلفون على رجالهم أصغرهم وهو(عثمان بن أبي العاص

بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي يكنى أبا عبد الله الذي استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما بعد على الطائف) (١).

وإذا جاءوا عند الظهر للقليلة ذهب عثمان هذا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسأله عن أمور الدين وآيات القرآن ، وكان يتفقه بلهفة فأعجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وصارت له فيما بعد منقبة في منع ثقيف من الإرتداد عند مغادرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى .

(وقال لهم حين هموا بالردة : يا معشر ثقيف كنتم آخر الناس إسلاماً فلا تكونوا أول الناس ردة) (٢).

(١) الإستيعاب ٣١٨/١ .

(٢) الإستيعاب ٣١٨/١ .

ولا دليل على أن ثقيفاً هموا بالردة ، إنما سير عثمان بن أبي العاص جيشاً من الطائف برئاسة أخيه عبد الرحمن لقتال أهل الدرة من أهل اليمن ، وكذا بعث عتاب بن أسيد عامل مكة جيشاً لقتالهم وأمر عليهم أخاه خالداً^(١).

(عن السدي في قوله { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا . . . }^(٢) الآية . قال : نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب ، ورجل من بني المغيرة ، كانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى ناس من ثقيف من بني ضمرة وهم بنو عمرو بن عمير ، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا ، فأنزل الله { وذروا ما بقي } من فضل كان في الجاهلية { من الربا } .)^(٣).

ومع التعارض بين الخبرين فأحدهما يتضمن تعلق القروض الربوية بأهل ثقيف والآخر بأن لهم أموالاً ربوية على قريش فيرجع إلى الأصل وهو تحريم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الربا يوم فتح مكة ليشمل المسلمين آنذاك ومن يدخل الإسلام .

لقد اتصف وفد ثقيف بأمور وهي كثرة المسائل التي طلبوا فيها الإذن فلم يعطهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإذن إنما أخبرهم عن حرمتها وعدم جوازها من غير مهادنة معهم ، ومنها :

الأول : الزنا .

الثاني : الخمر إذ قالوا أنه عصير أعنابنا .

الثالث : الربا ، إذ قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (أرأيت الربا؟ قال: "والربا حرام" قالوا: فإنها أموالنا كلها؟

(١) أنظر الإصابة في معرفة الصحابة ١٩٧/٢٠ .

(٢) البقرة ٢٧٨ .

(٣) الدر المنثور ٢/٢٤٣ .

قال: لكم رؤوس أموالكم، فإن الله قال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ" ^(١) ^(٢).

الرابع : عدم هدم صنم الربة .

الخامس : سأل وفد ثقيف أن يدع لهم الطاغية وهي اللات ، ولا يهدمها لثلاث سنين فأبى عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم سألوه بقاءها سنتين ثم سنة واحدة وهو يأبى عليهم ، ثم سألوه بقاءها شهراً واحداً بعد مقدمهم ووصولهم إلى قومهم كي تتلقى ثقيف الأمر بالقبول مع مرور الأيام وللسلامة من سفهائهم ونسائهم ، فلم يرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يدعها لأي مسمى ولو ساعة من نهار فسألوا النبي أن لا يكسروا أصنامهم بأيديهم فأجابهم .

السادس : سألوا النبي إعفاءهم من الصلاة فأبى وقال : لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا صَلَاةَ فِيهِ فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ فَسَنُؤْتِيكَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ دَنَاءَةً ^(٣) .
ويقصدون رفع العجيزة عند السجود .

وكان وفد ثقيف حينما يأتيهم طعام من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يأكلون منه حتى يأكل معهم خالد بن سعيد بن العاص وهو الذي كان يمشي بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتابهم يشهد لهم بدخول الإسلام ، ويكون أماناً لهم في المدينة ومكة وفي الطرق والجمادات العامة بين المدن ، وسبباً في تعاطيهم التجارة والمعاملة مع الناس .

وأمر عليهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم سناً ولكنه أحرصهم على التفقه في أحكام الإسلام ، وتعلم آيات القرآن .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَطِيَّةَ بْنِ سُفْيَانَ بْنِ رَبِيعَةَ الثَّقَفِيِّ ، عَنْ بَعْضِ وَفْدِهِمْ . قَالَ كَانَ بِلَالٌ يَأْتِينَا حِينَ أَسْلَمْنَا وَصُمْنَا

(١) سورة البقرة ٢٧٨ .

(٢) تاريخ المدينة المنورة ١/٣٤٣ .

(٣) الروض الأنف ٤/٣١٢ .

مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا بَقِيَ مِنْ رَمَضَانَ بِفِطْرِنَا
وَسَحُورِنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتِينَا بِالسَّحُورِ وَإِنَّا
لَنَقُولُ إِنَّا لَنَرَى الْفَجْرَ قَدْ طَلَعَ فَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَتَسَحَّرُ لِتَأْخِيرِ السَّحُورِ وَيَأْتِينَا بِفِطْرِنَا ، وَإِنَّا لَنَقُولُ مَا نَرَى
الشَّمْسَ كُلَّهَا ذَهَبَتْ بَعْدُ . فَيَقُولُ مَا جِئْتَكُمْ حَتَّى أَكُلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَضَعُ يَدَهُ فِي الْجَفْنَةِ فَيَلْتَقِمُ مِنْهَا^(١).

وهناك نوع آخر من الربا يسمى ربا الفضل في الأعيان كالدينار الذهبي
والدرهم الفضي أو الحنطة أو الشعير أو التمر أو الزبيب أو الملح مع زيادة
أحد المبيعين على الآخر أو يكون أحدهما مقبوضاً في الحال أما الآخر فهو
نسيئة إلى أجل.

وعن بكر بن عبد الله المزني أن ابن عباس جاء من المدينة إلى مكة
وجئت معه ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إنه لا بأس
بالصرف ، ما كان منه يداً بيد إنما الربا في النسيئة .

فطارت كلمته في أهل المشرق والمغرب حتى إذا انقضى الموسم دخل
عليه أبو سعيد الخدري وقال له : يا ابن عباس أكلت الربا وأطعمته .
قال أو فعلت ، قال : نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
الذهب بالذهب ، وزناً بوزن ، مثلاً بمثل : تبره وعينه . فمن زاد أو استزاد
فقد أربى ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ،
فمن زاد أو استزاد فقد أربى .

حتى إذا كان العام المقبل جاء ابن عباس وجئت معه ، فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال : أيها الناس إنني تكلمت عام أول بكلمة من رأيي ، وإنني
أستغفر الله تعالى منه ، وأتوب إليه ، إن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قال : الذهب بالذهب ، وزناً بوزن ، مثلاً بمثل ، تبره وعينه ، فمن
زاد واستزاد فقد أربى .

فلا تباع هذه الأعيان إلا على نحو المماثلة في الوزن والصفة.
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا تباعوا الذهب بالذهب ،
ولا الورق بالورق^(١) ، ولا البر بالبر ، ولا الشعير بالشعير ، ولا التمر بالتمر ،
ولا الملح بالملح ، إلا سواء بسواء^(٢).
والربا لغة الزيادة ، وفي الإصطلاح الزيادة على القرض وأصل المال من
غير تعاقد بيع.

ومن أضرار الربا أنه قد يعطل الأعمال لأن الإنسان يبذل الجهد ،
ويسعى في الكسب ليدفع أرباحه إلى صاحب المال الذي يأخذها فائدة على
رأس ماله وقرضه من غير أن يبذل جهداً ، وفيه بعث للكدورة والنفرة بين
الناس ، والإرباك والإضطراب داخل عوائل الكسبة والصنّاع ، فجاء
الإسلام بحرمته ، وأخبر عن الثواب العظيم في القرض في الدنيا والآخرة ،
وفيه مسائل :

الأولى : منع الخصومة.

الثانية : مقدمات الإرهاب .

الثالثة : الحيلولة دون زيادة الفوارق بين الطبقات.

وتبين آيات القرآن استحباب القرض ، وحرمة الربا أن الإسلام دين
الرحمة والتعاون بين الناس.

ومن معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تشريع حرمة الربا
في الإسلام ومزول الآيات التي تدل على هذه الحرمة إلى يوم القيامة ، وفيه
حرب على أكثر الأغنياء إذ أنهم كانوا يتعاطون الربا ، وفي التنزيل ﴿قَالُوا إِنَّمَا

(١) الورق أي الفضة ، والمراد الدرهم الفضي.

(٢) الدر المنثور ١/٢٤٦.

الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا^(١) لبيان أن المشبه به هو الربا أظهر وأبين عندهم ، فنزل قوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢) .

ومن الإعجاز أن الله عز وجل نسب حرمة الربا إلى نفسه وليس إلى النبي محمد ولا إلى القرآن ، وهو من أسرار الإستعداد للحرب على الذين يصرون على الربا كما في قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَّمْ تَقْعُلُوا فَأُذِنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(٣) .

(عن مقاتل قال : نزلت هذه الآية في بني عمرو بن عمير بن عوف الثقفي ، ومسعود بن عمرو بن عبد يا ليل بن عمرو ، وربيعة بن عمرو ، وحبيب بن عمير ، وكلهم اخوة وهم الطالبون ، والمطلوبون بنو المغيرة من بني مخزوم ، وكانوا يداينون بني المغيرة في الجاهلية بالربا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم صالح ثقيفاً ، فطلبوا رباهم إلى بني المغيرة ، وكان مالا عظيماً .

فقال بنو المغيرة : والله لا نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله ورسوله عن المسلمين ، فعرفوا شأنهم معاذ بن جبل ، ويقال عتاب بن أسيد ، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن بني عمرو وعمير يطلبون رباهم عند بني المغيرة ، فأنزل الله { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين }^(٤) .

فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى معاذ بن جبل : أن اعرض عليهم هذه الآية ، فإن فعلوا فلهم رؤوس أموالهم ، وإن أبوا فأذنهم بحرب من الله ورسوله^(٥) .

(١) سورة البقرة ٢٧٥ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٥ .

(٣) سورة البقرة ٢٧٩ .

(٤) سورة البقرة ٢٧٨ .

(٥) الدر المنثور ٢/٢٤٣ .

ومن صفات الذين يرومون الأمرة والرئاسة مهادنة أرباب الأموال خاصة واجتناب الإضرار بمصالحهم ، ولكن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يعمل بالوحي والتنزيل ، فلم يخش إلا الله عز وجل ، ولتكون حرمة الربا أمراً نازلاً من عند الله عز وجل ، وهي من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

ومن صيغ الربا في الجاهلية أن قريشاً كانوا يستقرضون المال من الأفراد بمكة وحواليها بالدنانير والدراهم لجلب البضائع والتجارة خاصة عندما يعزمون على تسير قافلة إلى الشام أو اليمن ويشترط عليهم المقرضون زيادة على أصل المال عند العودة من التجارة ، وكانوا يقولون كما ورد في التنزيل ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾^(٢).

لذا أرسل أبو سفيان ضمضم بن عمرو إلى مكة يستصرخهم ويطلب منهم إنقاذ أموالهم في تلك القافلة التي صارت سبباً لمعركة بدر ، وقال أن محمداً وأصحابه يريدون الإستيلاء عليها فتاجى أهل مكة بالخروج لأن أموالهم في تلك القافلة .

فابتلاهم الله عز وجل بأن دخل الحزن إلى كل بيت من بيوتهم بعد معركة بدر مع سلامة أموالهم ووصول القافلة سالمة إلى مكة ، وأدركوا أن الكفر لا يجلب لهم الخير أو السعادة أو سلامة وكثرة المال ، ولا تنفعهم

(١) سورة المائدة ٦٧.

(٢) سورة البقرة ٢٧٥.

عبادة الأوثان ، وفي التنزيل ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ^(١).

وقال تعالى ﴿أَلَمْ أَرْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾^(٢).

ترى هل تعمد أبو سفيان ورجالات قريش الإقتراض من عامة الناس لقافلتهم كي يدعي طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها وسعيه للإستيلاء عليها ، ليكون سبياً لتحريض الناس لقتاله ، وهو الذي حصل خاصة وأنه لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقصد الإستيلاء على القافلة ، المختار رجحان هذا العمد ، وقد أرسل أبو سفيان رسولاً إلى قريش وهو عمرو بن ضمضم لتحريضهم على قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكرراً وكيداً منهم .

ونطرح سوالاً وقد يكون لأول مرة وهو : هل كانت جذور هذا المكر متصلة قبل أن تخرج القافلة إلى الشام ، وأن كثرة الإقتراض لبعث النفرة في قلوب الناس من الإسلام وتحريضهم على قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو أمر ربما حصل مثله في هذه الأزمنة بالإقتراض من الدول العظمى والشركات الكبرى وجعلها تحافظ على كيان دولة من أجل سداد ديونها .

الجواب لا يبعد هذا ، قال تعالى ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَرْوُلَ مِنَ الْجِبَالِ﴾^(٣) عليه .

(١) سورة الشعراء ٧٢-٧٣.

(٢) سورة الأعراف ١٩٥.

(٣) سورة ابراهيم ٤٦.

قانون كثرة أسماء القرآن مانع من الإرهاب

القرآن كلام الله الذي أنزله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة الملك جبرئيل ، قال تعالى ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾^(١)

ومن إعجاز الآية أعلاه تسمية جبرئيل بالروح الأمين في المقام لبعث السكينة في نفوس المسلمين لسلامة إيصال آيات القرآن إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتحمل المسلمين والمسلمات مسؤولية تعاهد القرآن وضبط آياته بالحفظ والتلاوة والعمل وهو من عمومات قوله تعالى ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾^(٢) .

وقد صنّف العلماء في أمور :

الأول : أسماء القرآن .

الثاني : صفات القرآن .

الثالث : اشتقاق أسماء القرآن .

الرابع : أسماء القرآن في القرآن .

الخامس : أسماء القرآن في السنة النبوية .

ولا بأس بافراد باب لأسماء القرآن التي وردت في القرآن ووردت في الحديث النبوي مع ذكر النص مثل القرآن

(وقد صنّف في ذلك الحرالي جزءا وأنهى أساميّه إلى نيف وتسعين

وقال القاضى أبو المعالى عزيزى بن عبد الملك رحمه الله اعلم أن الله

تعالى سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما)^(٣) .

ومن أسماء القرآن جبل الله ، إذ ورد في قوله تعالى ﴿وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ

جَمِيعًا﴾^(١) وقد ورد عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله

(١) سورة الشعراء ١٩٣ .

(٢) سورة المزمل ٢٠ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/٢٧٣ .

وسلم أنه قال (إن هذا القرآن مآدبة الله فأقبلوا من مآدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن جبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد ، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات .

أما إني لا أقول الم حرف ، ولكن ألف ولام وميم) (٢).

وقد ورد في الحديث أعلاه أسماء للقرآن من وجوه :

الأول : أسماء وردت في القرآن منها جبل الله ، والنور ، كما في قوله تعالى ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ (٣) الشفاء .

الثاني : أسماء للقرآن من السنة النبوية مثل مآدبة الله عصمة نجاة .

الثالث : بيان السنة النبوية لأسماء القرآن ، فذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن القرآن هو النور المبين ، كما قال أنه الشفاء النافع ، وبخصوص كون القرآن عاصماً فقد ورد في الحديث أعلاه أنه (عصمة) صفة القرآن لمن تمسك به .

وورد في حديث آخر أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بين صفة القرآن بأنه جبل الله المتين .

وأنه الذكر الحكيم والصراط المستقيم ، وأنه الحديث .
والنبا والفصل بين الناس .

فبالإسناد عن معاذ بن جبل قال (ذكر رسول الله يوماً الفتن فعظمها وشدها ، فقال علي بن أبي طالب : يا رسول الله فما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله ، فيه حديث ما قبلكم ، ونبا ما بعدكم ، وفصل ما بينكم ، ومن تركه من جبار قصمه الله .

(١) سورة آل عمران ١٠٣.

(٢) المستدرک علی الصحيحین ١٠٤/٥.

(٣) سورة الأعراف ١٥٧.

ومن تتبع الهدى في غيره أضله الله ، هو جبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، هو الذي لما سمعته الجن قالت : (إنا سمعنا قرآنا عجبا) ^(١) ، هو الذي لا يخلقه كثرة الرد ^(٢) .

وقال الفيروز آبادي (وقد ذكر الله تعالى للقرآن مائة اسم نسوقها على نسق واحد. ويأتي تفسيرها في مواضعها من البصائر.

الأول: العظيم {مَنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ} ^(٣).

الثاني: العزيز {وَأَنَّهُ لَكَتَابٌ عَزِيزٌ} ^(٤).

الثالث: العلي {لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ}.

الرابع: المجيد {بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ}.

الخامس: المهيمن {وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}.

السادس: النور {وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ}.

السابع: الحق {وَقَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ}.

الثامن: الحكيم {يس} ♦ وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ}.

التاسع: الكريم {إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ}.

العاشر: المبين {حم} ♦ وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ}.

الحادي عشر: المنير {وَالْكِتَابُ الْمُنِيرُ}.

الثاني عشر: الهدى {هُدًى لِلْمُتَّقِينَ}.

الثالث عشر: المبشر {وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ}.

الرابع عشر: الشفاء {وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ}.

الخامس عشر: الرحمة {وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}.

السادس عشر: الكتاب {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ}.

السابع عشر: المبارك {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ}.

(١) سورة الجن ١.

(٢) مسند الشاميين / للطبراني ٣٨٩/٦.

(٣) سورة الحجر ٨٧.

(٤) سورة فصلت ٤١.

- الثامن عشر: القرآن {الرَّحْمَانُ} ♦ عَلَّمَ الْقُرْآنَ{.
- التاسع عشر: الفرقان {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ{.
- العشرون: البرهان {بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ{.
- الحادى والعشرون: التبيان {تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ{.
- الثاني والعشرون: البيان {بَيَّانٌ لِلنَّاسِ{.
- الثالث والعشرون: التفصيل {وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ{.
- الرابع والعشرون: المفصل {الْكِتَابُ مَفْصَلًا{.
- الخامس والعشرون: الفصل {إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ{.
- السادس والعشرون: الصّدق {وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ{.
- السابع والعشرون: المصدق {مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ{.
- الثامن والعشرون: ذكرى {وَذَكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ{.
- التاسع والعشرون: الذكر {وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ{.
- الثلاثون: التذكرة {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ{.
- الواحد والثلاثون: الحُكْم {أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا{.
- الثاني والثلاثون: الحِكْمَةُ {حِكْمَةٌ بِالْغَةِ{.
- الثالث والثلاثون: مُحْكَمَةٌ {سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ{.
- الرابع والثلاثون: الإنزال {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ{.
- الخامس والثلاثون: التنزيل {وَلِإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ{.
- السادس والثلاثون: التّصديق {وَلَاكِنْ تَصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ{.
- السابع والثلاثون: المنزل {مَنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ{.
- الثامن والثلاثون: التبصرة {تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى{.
- التاسع والثلاثون: البصائر {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ{.
- الاربعون: الموعظة {وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ{.
- الحادي والاربعون: البَيِّنَةُ {بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ{.
- الثاني والاربعون: البشِيرُ {بَشِيرًا وَنَذِيرًا{.
- الثالث والاربعون: الوحى {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى{.

- الرابع والاربعون: الرِّسَالَةُ {فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ}.
- الخامس والاربعون: النَّبَا {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ}.
- السادس والاربعون: الْقِيَمُ {قِيَمًا لِيُنْذِرَ}.
- السابع والاربعون: قِيَمَةٌ {فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ}.
- الثامن والاربعون: الرُّوح {رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا}.
- التاسع والاربعون: الْكَلَامُ {حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ}.
- الخمسون: الْكَلِمَاتُ {مَا نَقَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ}.
- الحادي والخمسون: الْكَلِمَةُ {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ}.
- الثاني والخمسون: الْآيَاتُ {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ}.
- الثالث والخمسون: الْبَيِّنَاتُ {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ}.
- الرابع والخمسون: الْفَضْلُ {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ}.
- الخامس والخمسون: الْقَوْلُ {يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ}.
- السادس والخمسون: الْقِيلُ {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}.
- السابع والخمسون: الْحَدِيثُ {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}.
- الثامن والخمسون: أَحْسَنُ الْحَدِيثِ {اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ}.
- التاسع والخمسون: الْعَرَبِيُّ {قُرْآنًا عَرَبِيًّا}.
- الستون: الْحَبْلُ {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ}.
- الحادي والستون: الْخَيْرُ {مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا}.
- الثاني والستون: الْبَلَاغُ {هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ}.
- الثالث والستون: الْبَالِغَةُ {حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ}.
- الرابع والستون: الْحَقُّ {وَلِئِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ}.
- الخامس والستون: الْمُتَشَابَهُ وَالْمُثَانِي {كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي}.
- السادس والستون: الْغَيْبُ {يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}.
- السابع والستون: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}.
- الثامن والستون: الْمُبِينُ {قُرْآنٌ مُبِينٌ}.
- التاسع والستون: الْحُجَّةُ {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ}.

السبعون: العروة الوثقى {فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}.
الحادي والسبعون: القصص {فَاقْصُصْ الْقَصَصَ}.
الثاني والسبعون: المثل {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا}.
الثالث والسبعون: العجب {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا}.
الرابع والسبعون: الأثارة {أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ} ^(١) أى ما يؤثر عن الأولين،
 أى يروى عنهم.

الخامس والسبعون: القسط {فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ}.
السادس والسبعون: الإمام {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ}.
السابع والسبعون: النجوم {فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}.
الثامن والسبعون: النعمة {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ}.
التاسع والسبعون: الكوثر {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}.
الثمانون: الماء {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً}.
الحادي والثمانون: المتلو {يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ}.
الثاني والثمانون: المقروء {لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ}.
الثالث والثمانون: العدل {كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}.
الرابع والثمانون: البشرى {وَهْدَىٰ وَبَشَّرِ لِلْمُؤْمِنِينَ}.
الخامس والثمانون: المسطور {وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ}.
السادس والثمانون: الثقليل {قَوْلًا ثَقِيلًا}.
السابع والثمانون: المرتل {وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}.
الثامن والثمانون: التفسير {وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}.
التاسع والثمانون: المثبت {مَا تُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ}.
 ومنها الصحف، والمكرم: والمرفوع، والمطهر {فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ} ♦
 مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ. ^(٢)

(١) سورة الأحقاف ٤.

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف القرآن العزيز ٦١/١.

وتدل كثرة أسماء القرآن تدل على شرفه وفضيلته وتعدد منافعه في النشأتين ، واستشهد عدد من العلماء بكثرة أسماء الأسد لكمال قوته ، ولكنه قياس مع الفارق ، فكل اسم من القرآن له دلالات عقائدية وغايات حميدة ، وهو باب للصلاح والأجر والثواب ، ومع أن الاسم غير المسمى إلا أن ذات أسماء القرآن شاهد على نزوله من عند الله ، وكثرتها دعوة للتدبر والتأمل في إعجازه وعظيم نفعه في النشأتين .

لقد أنعم الله عز وجل على الناس بالوحي والتنزيل ، وقد تفضل سبحانه وكلم آدم قبلأ وهو في الجنة كما في قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (١) .

إذ وردت الآية بالنداء لآدم ، والإخبار عن تسمية الله عز وجل له بهذا الاسم المبارك لسمع به الملائكة الأعلى وسكان السموات ، ويدركون إكرام الله عز وجل له ، ولييان أن الله عز وجل يجعل ﴿ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢) ، مع تعيين اسمه ، وهو مقدمة لتعيين أسماء الأنبياء وبشارة بعضهم ببعض ، ومعرفة الملائكة بهم ، والدعاء لهم .

لذا حينما أسري بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانت الملائكة تعرفه وتتطلع إلى بعثته وأيام رسالته .

وفي حديث الإسراء قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ثم مررت بملك نصف جسده مما يلي رأسه نار والنصف الآخر ثلج وما بينهم ريق ، فلا النار يذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار ، وهو قائم ينادي بصوت له حسن رفيع : اللهم مؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين فقلت : يا جبرئيل من هذا .

(١) سورة البقرة ٣٣ .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

قال : ملك من الملائكة يقال له حبيب وكله الله بأكناف السماوات وأطراف الأرضين ، ما أنصح له لأهل الأرض هذا قوله منذ خلقه الله تعالى .
قال : ثم مررت بملك آخر جالس على كرسي قد جمع الدنيا بين ركبتيه ، وفي يديه لوح مكتوب من نور ينظر فيه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ينظر فيه كهيئة الحزين .

فقلت : من هذا يا جبرئيل .

ما مررت أنا بملك أنا أشد خوفاً منه شيء من هذا ؟
قال : وما يمنحك كلنا بمنزلتك ، هذا ملك الموت دائم في قبض الأرواح وهو أشد الملائكة عملاً وأدأ بهم .

قلت : يا جبرئيل كل من مات نظر إلى هذا .

قال : نعم .

قلت : كفى بالموت من طامة^(١) .

فقال : يا محمد ما بعد الموت أطم وأعظم .

قلت : يا جبرئيل أدنني من ملك الموت أسلم عليه وأسأله فأدنانني منه فسلمت عليه فأومى إلي فقال له جبرئيل : هذا محمد نبي الرحمة ورسول العرب فرحب بي وحياني وأحسن بشارتي وإكرامي . وقال : أبشر يا محمد فإنني أرى الخير كله في أمتك . فقلت : الحمد لله المنان بالنعم ، ما هذا اللوح الذي بين يديك .

قال : مكتوب فيه آجال الخلائق .

قلت : فأين أسماء من قبضت أرواحهم في الدهور الخالية .

قال : تلك في لوح آخر قد علمت خلقها ، ولذلك أصنع بكل ذي روح إذا قبضت روحه خلقت عليها .

(١) الطامة الداهية التي تفوق سواها والصيحة والمصيبة التي تطم على غيرها أي تزيد ،

، ومنه طمأ البحر إزداد ماؤه ، ومنه وصف يوم القيامة ، قال تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتْ

الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴾ النازعات ٣٤ .

فقلت : يا ملك الموت سبحانه الله كيف تقدر على قبض أرواح جميع أهل الأرض وأنت في مكانك هذا لا تبرح.

قال : ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتي ، وجميع الخلائق بين عيني ويدي يبلغان المشرق والمغرب وخلقهما فإذا نفذ أجل عبد من عباد الله نظرت إليه وإلى أعواني فإذا نظر أعواني من الملائكة اليّ فنظرت إليه عرفوا أنه مقبوض فعمدوا إليه يعالجون نزع روحه فإذا بلغ الروح الحلقوم علمت ذلك ولا يخفى عليّ شيء من أمري ، أمددت يدي إليه فقبضته فلا يلي قبضه غيري ، فذلك أمري وأمر ذوي الأرواح من عباد الله^(١).

وتكررت جملة ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ في القرآن مرتين ، إذ وردت في الآية أعلاه من سورة البقرة خطاباً واحتجاجاً من عند الله على الملائكة كما وردت في احتجاج يعقوب النبي على بنيه كما في سورة يوسف ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

ليبان فضل الله عز وجل على الأنبياء بأن يطلعهم على ما يشاء من علم الغيب لوجوه :

الأول : الإحتجاج وإقامة البرهان .

الثاني : إتخاذ ما يتفضل به الله من علم الغيب سبيل هدى ورشاد، قال تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾^(٣).

الثالث : علم الغيب حرز ووسيلة مباركة للنجاة من الكيد ، وضروب البلاء .

(١) الكشف والبيان ٤٥٦/٧.

(٢) سورة يوسف ٩٦.

(٣) سورة الجن ٢٦-٢٧.

ولقد أنعم الله عز وجل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبشره بالنصر على الذين كفروا ، وجاءت آيات القرآن بالوجوه أعلاه فكل آية من آيات القرآن من ضروب علم الغيب ، وفي التنزيل ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾^(١) .

وهل لأسماء القرآن موضوعية في هداية المسلمين والناس لأسباب الصلاح ، الجواب نعم ، وهو من إعجاز القرآن الذاتي والغيري . ويمكن تقسيم أسماء القرآن عدة تقسيمات بحسب اللحاظ والموضوع والحكم :

أسماء القرآن التي سماه الله عز وجل بها ، وهي كثيرة ، ومن العلماء من فرق بين أسماء القرآن وصفاته ، فالقرآن والفرقان والكتاب أسماء ، والشفاء والبلاغ والبشير صفات . وتقسيم الصفات إلى شعبتين :

الأولى : الصفات الذاتية مثل المجيد قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾^(٢) .

الثانية : الصفات الغيرية مثل البلاغ ، قال تعالى ﴿إِنْ فِي هَذَا بَلَاغٌ

لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾^(٣) .

ويمكن تقسيم أسماء القرآن بحسب جهة الصدور :

الأول : ما ورد في القرآن ومنها :

أولاً : القرآن : قال تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ

فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾^(٤) .

ثانياً : الكتاب : وفي الوقت الذي يختص به اسم القرآن بما بين الدفتين مما

نزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان لفظ الكتاب أعم إذ يأتي

(١) سورة آل عمران ٤٤ .

(٢) سورة البروج ٢١ .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٦ .

(٤) سورة الاسراء ٨٩ .

في القرآن على وجوه منها عموم الكتاب وما هو مسطور في بداية الخلق ، قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾^(١).

ويرد اسم الكتاب للتوراة كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾^(٢).

كما جاء لفظ الكتاب في القرآن عنواناً جامعاً للتوراة والإنجيل ، قال تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣).

ثالثاً : الذكر : لما في القرآن من الأحكام وذكر أصول الدين والتذكير بعالم الآخرة ، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤) ، ومن معاني الذكر في المقام تذكير القرآن للناس بوجوب عبادته ، وبيان قانون وهو أن في الذكر والذكرى والتذكير كفاية في هداية الناس إلى سبل الإيمان والإمتناع عن القتل وسفك الدماء.

وهل من حصر لوجوه ومصاديق الذكر في القرآن الجواب لا ، فذات القرآن ذكر ، وفيه تذكير وكل فرد من أفراد التذكير في القرآن موعظة وسبيل إلى الصلاح ، والأخذ بذكر وتذكير القرآن من مصاديق قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٥).

(١) سورة التوبة ٣٦.

(٢) سورة البقرة ٨٧.

(٣) سورة البقرة ١٢١.

(٤) سورة النحل ٨٩.

(٥) سورة الفاتحة ٦.

رابعاً : الوحي : فمن أسماء القرآن الوحي ، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾^(١) ، مع المعنى الأعم للوحي إذ أنه أعم من القرآن فيشمل الحديث القدسي ووحى السنة النبوية .

والوحي لغة إعلام في خفاء ، ويأتي بالكتابة والإشارة والرسالة والإيماء والإلهام (وقال في المفردات ، أصل الوحي : الإشارة السريعة)^(٢) .

(الوحي : له مواضع في اللغة. يقال: وَحَى يَحِي وَحِيًا وَوَحِيًا، إذا كتب. قال الراجز:

لقد نَحَاهم جَدُّنا والنَاحي

لَقَدَّرَ كان وَحَاهِ الوَاحي

أي كتبه. وأوحى يُوحي إِيحَاءً، فالوحي من الله عز وجل إلهام ومن الناس إيماء. قال الله عز وجل: " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وَحِيًا " ^(٣) ، قال أبو عبيدة: إلهاماً، والله أعلم بكتابه. وقال في قصة زكرياء: " فأوحى إليهم أن سبحوا " ، أي أوما إليهم وأشار، والله أعلم. قال أبو عبيدة: وقد روي بيت العجاج:

وحى لها القرار فاستقرت

وشدّها بالراسيات الثبّت وروي: أوحى لها القرار. قال أبو بكر: سألت أبا حاتم عن هذا فضجر عليّ فقال: لا تزال تسألني عما أكره، ثم قال: يا بني، قال أبو عبيدة: وحى لها القرار، أي كتب لها ذلك، وأوحى لها لقوله جل وعز: " اثبتا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين " ^(٤) ، هذا لفظه رحمه الله،

(١) سورة الأنبياء ٤٥.

(٢) الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هجرية / مفردات غريب القرآن ١٨٢/٢.

(٣) سورة الشورى ٥١.

(٤) سورة فصلت ١١.

وقال مرة أخرى: " قالتا أتينا طائعين " ، قال: أي قال لأهل السماوات والأرض فاكتمى بذكر^(١).

ولكن النسبة بين الوحي والإشارة السريعة هو العموم والخصوص المطلق من جهتين :

الأولى : الوحي أعم من الإشارة .

الثانية : لا ينحصر الوحي بالسرعة.

إذ يوحى جبرئيل آيات القرآن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بتأن فالوحي ليس مثل الرؤيا والحلم الذي تنضغط فيه الموضوعات والأخبار. لقد كان القرآن يوحى إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة الملك وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحيطون به ، فلا يسمعون الوحي ولكن آثاره وعلاماته تظهر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا فارقه الملك نطق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالآيات التي نزلت عليه وإذا هي ذخائر من عرش الرحمن ، وتتصف بأنها فوق كلام البشر ، وهي بلغة هدى ، وتتضمن العلوم والحجج والدلائل والغايات الحميدة للصالح .

والوحي مدرسة جامعة في التنزه عن التعدي والإرهاب ، فهو صلة مع عالم الملكوت ، وكل فرد منه هداية إلى الصلاح والتقوى.

(عن أنس أن رسول الله (عليه السلام) قال : إذا كان ليلة القدر نزل جبرئيل في كبكبة من الملائكة يصلّون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله سبحانه)^(٢).

وسياقي قانون وظائف جبرئيل في الأرض ، منها مثلاً ما ورد عن أنس قال (عن أنس قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: مات معاوية بن معاوية الليثي، فتحب أن تصلي عليه؟

(١) ابن دريد / جمهرة اللغة / ٣٠٠/١.

(٢) الكشف والبيان للثعلبي / ١٧٥/١٤.

قال: "نعم". فضرب بجناحه الأرض، فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت، فرفع سريره فنظر إليه، فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة، في كل صف سبعون ألف ملك، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "يا جبريل، بم نال هذه المنزلة من الله تعالى؟
قال بحبه: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" ^(١) وقراءته إياها ذاهباً وجائياً قائماً وقاعداً، وعلى كل حال ^(٢).

وفي الوحي مسائل :

الأولى : إنه حجة على الناس ، وهو من عمومات قوله تعالى (والله الحجة البالغة) .

الثانية : فيه ترغيب بالصلاح والإصلاح .

الثالثة : إنه دعوة لنبد العنف .

الرابعة : الوحي تنزيل مانع من الإرهاب .

والوحي صلة بين جهات :

الأولى : اللوح المحفوظ (عن ابن عباس قال : نزل القرآن جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ، ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشرين سنة .

فقال المشركون : لولا نزل عليه القرآن جملة واحد . فقال الله { كذلك لنثبت به فؤادك } ^(٣) أي أنزلناه عليك متفرقاً ليكون عندك جواب ما يسألونك عنه ، ولو أنزلناه عليك جملة واحدة ثم سألوك لم يكن عندك جواب ما يسألونك عنه ^(٤).

(١) سورة الاخلاص ١.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٢٦/٨.

(٣) سورة الفرقان ٣٢ .

(٤) الدر المنثور ٣٢٨/٦.

(عن ابن عباس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه جبريل ينجيه إذ انشق أفق السماء ، فأقبل جبريل يتضاءل ويدخل بعضه في بعض ويدنو من الأرض ، فإذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ، ويخبرك بين أن تكون نبياً ملكاً وبين أن تكون نبياً عبداً .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار جبريل إليّ بيده أن تواضع ، فعرفت أنه لي ناصح .

فقلت : عبد نبي . فخرج ذلك الملك إلى السماء فقلت : يا جبريل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا ، فرأيت من حالك ما شغلني عن المسألة فمن هذا يا جبريل؟ .

قال : هذا اسرافيل خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافاً قدميه لا يرفع طرفه ، بينه وبين الرب سبعون نوراً ما منها نور يدنو منه إلا احترق ، بين يديه اللوح المحفوظ فإذا أذن الله في شيء في السماء أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فيه ، فإذا كان من عملي أمرني به ، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به ، وإن كان من عمل ملك الموت أمره به . قلت : يا جبريل على أي شيء أنت؟ .

قال : على الرياح والجنود . قلت : على أي شيء ميكائيل؟ قال : على النبات والقطر .

قلت : على أي شيء ملك الموت؟ قال : على قبض الأنفس ، وما ظننت أنه هبط إلا بقيام الساعة ، وما ذاك الذي رأيت مني إلا خوفاً من قيام الساعة^(١) .

الثانية : الملك جبرئيل إذ ينزل من السماء إلى الأرض بالآيات والسور ليلقيها على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على نحو الحصر والتعيين . وقد ينزل جبرئيل بتفسير الآية ، وهذا التفسير على وجهين :

١- التفسير اللفظي (عن جابر قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرُّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }^(١)).

قال جبريل: إن الله قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك، فسل تعطه. فسأل: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }^(٢) إلى آخر الآية^(٣).

٢- التفسير العملي ، ومه ما ورد (عن ابن عباس وجابر قالا : إن المشركين لما رأوا أن رسول الله { صلى الله عليه وسلم } وأصحابه (قاموا إلى) صلاة الظهر يصلون جميعاً ورسول الله { صلى الله عليه وسلم } يؤمهم ندموا على تركهم إلا كانوا كبراً عليهم فقال بعضهم لبعض : دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعني صلاة العصر. وإذا رأيتموهم قد قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم.

فلما قاموا إلى صلاة العصر نزل جبرئيل (عليه السلام) فقال : يا محمد إنها صلاة الخوف فإن الله يقول { وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ }^(٤) مقيماً يعني شهيداً معهم { وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ } { فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا }^(٥) إلى آخر الآية قال : فعلمه جبرئيل صلاة أخرى.

فلما قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة وقف أصحابه صفين ثم كبر فكبروا جميعاً، ثم إن الصف الآخر استقبلوا العدو بوجوههم يحمون النبي وأصحابه،

(١) سورة البقرة ٢٨٥.

(٢) سورة البقرة ٢٨٦.

(٣) تفسير ابن كثير ١/ ٧٣٧.

(٤) سورة النساء ١٠٢.

(٥) سورة النساء ١٠٢.

فصلى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} بالصف الذي معه ركعة وسجدتين ثم قاموا وكبروا وراءهم من غير أن يتكلموا إلى مصاف أصحابهم ونكص آخرون حتى قاموا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى بهم ركعة وسجدتين ثم تشهد وسلم ثم قام الصف الذي خلفه فرجعوا إلى مصاف أصحابهم،

وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ركعتان وأربع سجعات والقوم ركعة وسجدتين وصلى كل إنسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين^(١) وقد ينزل جبرئيل مع الملائكة للتسييح والدعاء للمسلمين .

الثالثة : بلوغ الوحي إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يغادر جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يفصل الوحي عنه حتى يدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم الآيات التي نزل بها جبرئيل ويحفظ كلماتها ونظمها وموضوعها ، ليقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتلاوتها على أصحابه ، وقد ينزل القرآن عليه وليس معه أحد منهم ، فيبعث إلى بعض كتاب الوحي ليدون الآيات .

وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٢) الجواب نعم من جهات :

الأولى : إنه من التبليغ على نحو القضية الشخصية .

الثانية : إنه مقدمة للتبليغ الأعم .

الثالثة : كتابة الآية أو الآيات القرآنية حال نزولها توثيق لها ومانع من القول بالتبديل فيها .

الرابعة : فيه شاهد على عدم وجود فترة بين نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين تلاوته له .

الخامسة : إنه مقدمة لتلاوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الآيات التي تنزل عليه في الصلاة وعلى المنبر ، فقد يتلو النبي صلى الله عليه وآله وسلم

(١) الكشف والبيان للثعلبي ١٦/٤ .

(٢) سورة المائدة ٦٧ .

في صلاة الصبح مثلاً آيات لن يسمع بها الصحابة فيعلمون أنها قد أنزلت عليه تَوّاً ، ثم يأتون ليسألوه عن معناها وأسبابها وموضوعها ، وهو من عموماً قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(١).
لقد بعث الله الأنبياء للناس جميعاً لهدايتهم ، ومن مصاديق قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢) ، أن جعل الرسل من جنس البشر ، وهم وسائط مباركة بين الله وبين عموم الناس ، فيلتقي النبي بالمؤمن والكافر ، والفقير والغني ، والسيد والعبد ، والرجل والمرأة ، والكبير والصغير ، ليهديهم الى سبل السلام ، وفي التنزيل ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾^(٣).

وليس من تجانس بين الذين يلتقي بهم النبي فهناك تضاد بين المؤمن والكافر ، فيعمل النبي على تثبيت إيمان المؤمن ، ويشره بخير الدارين ، وينهى وينذر الكافر ، وهو من مصاديق ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾^(٤).
وبين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء الآخرين بخصوص الوحي عموم وخصوص مطلق ، فكما نزل الوحي عليهم فانه نزل على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع التباين الجزئي في كيفيته ، إذ يشمل عند الرسل حال اليقظة والنام ، ومنه قول إبراهيم ﴿يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ

(١) سورة الأنعام ٩٠.

(٢) سورة الاسراء ٧٠.

(٣) سورة ابراهيم ١١.

(٤) سورة البقرة ١١٩.

شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾ وقوله تعالى ﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَتَابِكِ قَلِيلًا...﴾
 (٢) وقد أكرم الله عز وجل النبي محمداً بالقرآن إذ نسبته الله إليه وسمّاه كلامه
 في ثلاث مواضع من القرآن وهي :

الأول : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ
 ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

الثاني : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ
 ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

الثالث : ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا تَتَّبِعْكُمْ
 يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ
 تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٥).

لقد أكرم الله الناس بأن جعل سماعهم كلامه أمراً مباحاً ، والناس فيه
 شرع سواء فقد أمر الله عز وجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يتلو
 القرآن حتى على المشركين ، وهو من التحدي والشواهد على صدق نزوله
 من عند الله عز وجل وأنه كلام الله سبحانه ، كما أمره جميع المسلمين
 بتلاوة آيات القرآن خمس مرات في اليوم على نحو الوجوب العيني في
 الصلاة ، وتفضل وأمرهم بالإصغاء والإنصات للتلاوة إذ قال تعالى ﴿وَإِذَا

(١) سورة الصافات ١٠٢ .

(٢) سورة الأنفال ٤٣ .

(٣) سورة البقرة ٧٥ .

(٤) سورة التوبة ٦ .

(٥) سورة الفتح ١٥ .

قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١﴾ والمقصود بالأمر في الآية أعلاه وجوه :

الأول : إصغاء الصحابة لتلاوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا الإصغاء بذاته مقدمة لحفظ الآيات والتدبر في معانيها .

الثاني : إصغاء المسلم لتلاوة أخيه المسلم .

الثالث : إستماع وإصغاء المأموم لتلاوة الإمام (عن محمد بن كعب القرظي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرأ في الصلاة أجابه من وراءه ، إذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم قالوا مثل ما يقول حتى تنقضي فاتحة الكتاب والسورة ، فلبث ما شاء الله أن يلبث ثم نزلت { وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا . . . } (٢) الآية . فقرأ وأنصتوا .

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن مجاهد قال : قرأ رجل من الأنصار خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ، فأنزلت { وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا . . . } (٣) الآية .

الرابع : إصغاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتلاوة المسلمين إذ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشمول بعمومات الآية ، وجاءت السنة القولية والفعلية بتصديق هذا العموم ، إذ ورد (عن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اقرأ عليّ قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال : نعم . إني أحب أن أسمع من غيري . فقرأت سورة النساء حتى أتيت على هذه الآية { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً } (٤) فقال : حسبك الآن . . فإذا عيناه تذرفان .

(١) سورة الأعراف ٢٠٤.

(٢) سورة الأعراف ٢٠٤.

(٣) الدر المنثور ٤/٣٩٨.

(٤) سورة النحل ٨٩.

وأخرج الحاكم وصححه عن عمرو بن حريث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن مسعود : اقرأ . قال : أقرأ وعليك أنزل ، قال : إني أحب أن أسمع من غيري . فافتتح سورة النساء حتى بلغ { فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد . . . } الآية . فاستعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكف عبد الله^(١) .

الخامس : سماع المشركين للقرآن لأصالة العموم في الخطاب القرآني
﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾^(٢) وفي التنزيل ﴿ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ . . . ﴾^(٣) فقد يحتج بعضهم كيف تُسمع المشرك القرآن ، فجاءت الآية للترغيب باسماعه القرآن ، وهو من الشواهد على نزوله من عند الله ، وعدم الخشية من جدال واحتجاج الكافر في آياته ، ويحتمل الإنصات للقرآن وجوهاً :
الأول : الوجوب .

الثاني : الإستحباب .

الثالث : المعنى الجامع الشامل للوجوب والإستحباب ، والمختار هو
الثالث أعلاه وأن حصر العلماء القول في المقام بالوجهين الأول والثاني ، فمن الإستماع والإنصات الواجب استماع المأموم للإمام والإستماع للإمام في خطبة صلاة الجمعة لأنها جزء من الصلاة ، وبدل عن ركعتين من صلاة الظهر ، ولا ينخرم هذا المعنى بالقول .

إن آية الإستماع أعلاه مكية والخطبة شرعت في المدينة إنما هو من إعجاز القرآن ونزول الحكم العام الذي يتضمن التأديب ، والإعانة على التدبر في معاني الآيات ، وتحقيق مرتبة الخشوع والخشية من الله ، وتعليم المسلمين للإنصات للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في تلاوته القرآن وفي مواعظه وتعليمه لهم أحكام الشريعة (عن أنس بن مالك قال : وقف النبي

(١) الدر المنثور ٣/١٢٦ .

(٢) سورة الأعراف ٢٠٤ .

(٣) سورة التوبة ٧ .

صلى الله عليه وآله وسلم بعرفات وقد كادت الشمس أن تؤوب فقال : يا بلال أنصت لي الناس .

فقام بلال فقال : انصتوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فنصت الناس فقال : يا معاشر الناس أتاني جبريل آنفاً فأقرأني من ربي السلام وقال : إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات ، وأهل المشعر ، وضمن عنهم التبعات . فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله هذا لنا خاصة؟ قال : هذا لكم ولن أتى من بعدكم إلى يوم القيامة . فقال عمر بن الخطاب : كثر خير الله وطاب

وأخرج ابن ماجة عن بلال بن رباح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له غداة جمع : أنصت الناس . ثم قال : إن الله تطاول عليكم في جمعكم هذا ، فوهب مسيئكم لمحسنكم ، وأعطى محسنكم ما سأل ، ادفعوا باسم الله^(١).

(قال ابن أبي جمرة عن علي عليه السلام أنه قال: لو شئت أو أوقر سبعين بعيراً من تفسير أم القرآن لفعلت. وبيان ذلك أنه إذا قال الحمد لله رب العالمين يحتاج تبين معنى الحمد وما يتعلق به الاسم الجليل الذي هو الله وما يليق به من التنزيه، ثم يحتاج إلى بيان العالم ، وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده وهي ألف عالم: أربعمئة في البر وستمئة في البحر فيحتاج إلى بيان ذلك كله.

فإذا قال الرحمن الرحيم يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال وما معناهما، ثم يحتاج إلى بيان جميع الاسماء والصفات، ثم يحتاج إلى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما.

فإذا قال مالك يوم الدين يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأحوال وكيفية مستقره.

فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين يحتاج إلى بيان المعبود من جلالاته والعبادة وكيفيتها وصفتها وأدائها على جميع أنواعها والعابد في صفته والاستعانة وأدائها وكيفيتها.

فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة يحتاج إلى بيان ما هي الصراط المستقيم وأضداده، وتبيين المغضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع، وتبيين المرضى عنهم وصفاتهم وطريقتهم، فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله علي من هذا القليل^(١).

ومن خصائص آيات (كلام الله) الثلاثة أعلاه أنها تدل على قانون وهو أن كل آية من القرآن يصدق عليها أنها كلام الله كما في قوله تعالى ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾^(٢) فلا يسمع القرآن كله إنما يسمع آية أو آيات منه ، ومن الإعجاز في الآية أعلاه عدم اشتراط سماع المشرك المستجير القرآن من لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيجوز أن يتلو الصحابة عليه القرآن ، لبيان قانون وهو النفع العام بالاحتجاج بالقرآن في كل زمان ، وليس للخلائق كلام بعد كلام الله عز وجل ، وفي التنزيل ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٣).

إنما نزلت الكتب السماوية لإصلاح المنطق ، وأفعال الجوارح والنوايا ، ففي إخبار الله عز وجل بعلمه بما في القلوب كما في قوله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(٤) دعوة للناس لطرده نوايا الشر عن القلوب ، ليكون من إعجاز القرآن وأد الشر في مرحلة النية ، وقبل العزم عليه ، وحتى لوهم به المؤمن فان الله عز وجل يحجبه عن إتيانه ، كما في قصة

(١) الإتيان في علوم القرآن ٢/٤٩٠.

(٢) سورة التوبة ٦.

(٣) سورة النساء ١٢٢.

(٤) سورة غافر ١٩.

يوسف عليه السلام إذ قال ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ
كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (١) .
فقد أمر الله عز وجل كلاً من :

الأول : السوء .

الثاني : الفحشاء .

بالإنصراف عن يوسف ، وهو من الآيات في استجابة الأشياء كلها عز
وجل ، ودعوة للمسلمين للدعاء ليصرف عنهم السوء .
وورد في هذه الآية ولم يرد في غيرها من الآيات كل من :

الأول : همت به .

الثاني : هم بها .

الثالث : برهان ربه .

الرابع : لنصرف .

الخامس : عبادنا المخلصين .

ولابد أن البركة تترشح عن ذات الاسم والمسمى ، فتنفذ كلمات القرآن
إلى شغاف القلوب لموضوعية نفخ الله من روحه في آدم في حسن تلقي
الناس لكلام الله .

وقد تعاهد وحفظ وعصمة الله عز وجل لكلامه بقوله تعالى ﴿إِنَّا
نَخُنُّ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٢) .

ومن خصائص كلام الله أنه يصدق بعضه بعضاً ، ولا ينحصر أمر
التصديق هذا بآيات القرآن ، إنما يشمل التصديق بين :

الأول : التوراة .

الثاني : الإنجيل .

(١) سورة يوسف ٢٤ .

(٢) سورة الحجر ٩ .

الثالث : القرآن.

ودخل اسم (كلام الله) في فتنة خلق القرآن وهي على أقوال :
الأول : القرآن مخلوق ، وأن نسبته إلى الخالق كنسبة البيت إليه تعالى كما
 في قوله تعالى ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ ^(١) ونسبة
 الناقة إلى الله كما في قول النبي صالح عليه السلام لقومه ﴿ يَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ
 آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ ^(٢).
 ومن الإعجاز في المقام أن الله عز وجل هو الذي نسب البيت له سبحانه ،
 فقال ﴿ بَيْتِي ﴾ أما الناقة فجاءت نسبتها في ثلاث مواضع من القرآن عل
 لسان صالح عليه السلام.

وقد ورد لفظ ﴿ كلامي ﴾ في القرآن مرة واحدة في خطاب الله لموسى
 ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ
 وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٣).

الثاني : القرآن كلام الله غير مخلوق للفصل والتمييز بين الكلام النفسي
 للباري عز وجل ، إذ قالوا أنه صفة ثابتة قديمة قائمة به تعالى وبين ما دل
 عليه من الرسم والورق والخطوط .

الثالث : الوقوف عند قول القرآن كلام الله ، وتحمل أصحاب هذا
 القول الأذى من الفريقين أعلاه .

وبدأت هذه الفتنة والمحنة الشديدة في أيام المأمون العباسي وفي عام ٢١٨
 للهجرة إذ كان يقول بخلق القرآن موافقاً للمعتزلة ومن لا يقول به يطرد من
 القضاء والوظائف العامة ، وقد يتعرض للجلد أو السجن ، وقال أحمد بن
 حنبل بالقول الثاني أعلاه ونسب إليه نعت الذين يقول بأن القرآن مخلوق

(١) سورة الحج ٢٦.

(٢) سورة هود ٦٤.

(٣) سورة الأعراف ١٤٤.

بالكفر ، وأن من زعم أن القرآن كلام الله عز وجل ووقف ولم يقل مخلوق أو غير مخلوق فهو أخبث من الأول .

وهذا القول ليس بتام لأن الله عز وجل هو الذي سماه كلامه ، وكذا رسوله الكريم .

وأمر المأمون أن يحمل له كل من لا يقول أن القرآن مخلوق ، لإرادة بسط سلطان الدولة على الفقهاء ، والبقاء على الذين يظهرون الطاعة للدولة وحمل له محمد بن نوح ، وأحمد بن حنبل ، فمات محمد بن نوح في الطريق ، ثم مات المأمون وكان قبل أن يموت قد أوصى أخاه المعتصم ١٧٩ - ٢٢٧ هجرية بأمور منها السير على منهاج كون القرآن مخلوقاً ، ومؤاخذه ومحاسبة الذي ينكر هذا القول ، وتم سؤال أحمد بن حنبل ، وحدثت مناظرات بين أحمد بن أبي داود المعتزلي برئاسة الوزير أحمد بن أبي داود المعتزلي ثم أمر المعتصم بجلد أحمد بن حنبل ، فكان يتناوب على جلده رجلان فيضربه أحدهما جلدة ثم يضرب الآخر مثلهما من الجهة المقابلة وهكذا فأغمي عليه وحمل إلى السجن .

وأراد المعتصم التخفيف عنه ورفع الجلد عنه ، ولكن الوزير أحمد بن أبي داود ألح عليه باستمرار ورفع جلده ، قال بخبث واحد : لا عليك هو مشرك ضال .

ولما توفى المعتصم وجاء إلى الحكم الوائق رفع الجلد عن أحمد بن حنبل ولكنه ضيق عليه .

والواثق هو هارون بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب .

تأريخ الولادة : سنة ٢٠٠ للهجرة ، وأمه أم ولد اسمها قراطيس .
تأريخ تولي الخلافة : سنة ٢٢٧ هجرية ٨٤٢ ميلادية بعد وفاة أبيه المعتصم .

تأريخ الوفاة : ٢٣٢ هجرية - ٨٤٧ م .

وأغدق في أيامه على سكان الريف ، ووقعت ثورات ومعارك كثيرة في أيامه بين أهل الشام وفلسطين العرب وبين الجيوش التركية التي أنشأها المعتصم .

وزاد الوثائق في الإعتماد على الأتراك ، واستعملهم للقضاء على الفتن التي كان بعضها يسبب الإحتكاك بينهم وبين السكان المحليين .
وقال أحمد بن حمدون ﴿ يقول: دخل هارون بن زياد - مؤدب الوثائق - على الوثائق، فأكرمه وأظهر من بره ما شهر به، فقيل له: من هذا يا أمير المؤمنين الذي فعلت به ما فعلت؟ قال: هذا أول من فتق لساني بذكر الله، وأدنانني من رحمة الله عز وجل.

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو منصور بن أبي جعفر الجيلي أخبرنا أحمد بن محمد بن عمران قال: أخبرنا محمد بن يحيى قال: سمعت الحسين بن فهم يقول: سمعت يحيى بن أكثم يقول: ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب من خلفاء بني العباس، ما أحسن إليهم الوثائق، ما مات وفيهم فقير.
قال محمد بن يحيى: وحدثني عنه عبد الله بن المعتز، حدثنا عبد الله بن هارون النحوي، عن محمد بن عطية قال: قال محمد بن المهتدي: كنت أمشي مع الوثائق في صحن داره .
فقال لي: يا محمد، ادع لي بدواة وقرطاس، فدعوت له، فقال: اكتب. فكتبت:

تنح عن القبيح ولا ترده ... ومن أوليته حسناً فزده
ستكفى من عدوك كل كيد ... إذا كاد العدو ولم تكده
ثم قال: اكتب:
هي المقادير تجري في أعنتها ... فاصبر فليس لها صبر على حال
ثم فكر طويلاً، فلم يأت به شيء آخر فقال: حسبك. ﴿^(١).

ولما مات الواثق جاء إلى الحكم أخوه جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (٢٠٥-٢٤٧) هجرية (٨٢٢-٨٦١) وهو الخليفة العباسي العاشر، ومن خصائص حكم بني العباس قصر أعمار الخلفاء إلا القليل منهم، وفترة خلافة المتوكل هي (٨٤٧-٨٦١) وأمه أم ولد تركية أسمها شجاع.

(قال خليفة: استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وعمل بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة، وبسطها ونصر أهلها، يعني محنة خلق القرآن).

وقد قدم دمشق في صفر سنة أربع وأربعين وعزم على المقام بها وأعجبه، ونقل دواوين الملك إليها. وأمر بالبناء بها. وأمر للأتراك بما أرضاهم من الأموال، وبنى قصرا كبيرا بداريا من جهة المزة. قال علي بن الجهم: كانت للمتوكل جمة إلى شحمة أذنيه كأبيه وعمه. وقال ابن أبي الدنيا: أم المتوكل أم ولد اسمها شجاع.

وقال الفسوي: بويج له لست بقين من ذي الحجة. خرج من دمشق المتوكل بعد إقامة شهرين وأيام، ورجع إلى سامراء دار ملكه على طريق الفرات، وعرج من الأنبار.

وقيل: إن إسرائيل بن زكريا الطبيب نعت له دمشق، وأنها توافق مزاجه وتذهب عنه العلل التي تعرض له في الصيف بالعراق.^(١) ورفع المتوكل الإمتحان بمسألة خلق القرآن.

وعن (أحمد بن حنبل يقول: تبينت الإجابة في دعوتين: دعوت الله أن لا يجمع بيني وبين المأمون ودعوته أن لا أرى المتوكل. فلم أر المأمون ومات بالبذندون وهو نهر الروم وأحمد محبوس بالرقعة حتى بويج المعتصم بالروم، ورجع فرد أحمد إلى بغداد

(١) الذهبي / تاريخ الإسلام ٣٩٧/٤.

وأما المتوكل فإنه لما أحضر أحمد دار الخلافة ليحدث ولده قعد له المتوكل في خوخة حتى نظر إلى أحمد ولم يره أحمد
قال صالح : لما صدر أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس ردا في أقيادهما فلما صارا إلى الرقة حملا في سفينة فلما وصلا إلى عانات توفي محمد فأطلق عنه قيده وصلى عليه أبي

وقال حنبل : قال أبو عبد الله : ما رأيت أحدا على حداثة سنه وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح . وإني لأرجو أن يكون قد ختم له بخير . قال لي ذات يوم : يا أبا عبد الله الله الله إنك لست مثلي أنت رجل يقتدى بك قد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك . فأتق الله وآثب لأمر الله . أو نحو هذا

فمات وصليت عليه ودفنته . أظنه قال : بعانة
قال صالح : وصار أبي إلى بغداد مقيدا فمكث بالياسرية أياما ثم حبس في دار أكثرية عند دار عمارة . ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب الموصلية .

فقال أبي : كنت أصلي بأهل السجن وأنا مقيد . فلما كان في رمضان سنة تسع عشرة حولت إلى دار إسحاق بن إبراهيم
وأما حنبل بن إسحاق فقال : حبس أبو عبد الله في دار عمارة ببغداد في إسطنبول لمحمد بن إبراهيم أخي إسحاق بن إبراهيم وكان في حبس ضيق ؛ ومرض في رمضان فحبس في ذلك الحبس قليلا ثم حول إلى سجن العامة فمكث في السجن نحو من ثلاثين شهرا فكنا نأتيه . وقرأ علي كتاب الإرجاء وغيره في الحبس فرأيتة يصلي بأهل الحبس وعليه القيد فكان يخرج رجله من حلقة القيد وقت الصلاة والنوم

رجعنا إلى ما حكاه صالح بن أحمد عن أبيه : لما حول إلى دار إسحاق بن إبراهيم فكان يوجه إلي كل يوم برجلين أحدهما يقال له أحمد بن رباح والآخر أبو شعيب الحجام فلا يزالان يناظراني حتى إذا أرادا الإنصراف دعي بقيد فزيد في قيودي

قال : فصار في رجله اربعة أقياد
قال أبي : فلما كان اليوم الثالث دخل علي أحد الرجلين فناظرني
فقلت له : ما تقول في علم الله قال : إنه مخلوق
فقلت له : كفرت

فقال الرسول الذي كان يحضر من قبل إسحاق بن إبراهيم : إن هذا
رسول أمير المؤمنين

فقلت له : إن هذا قد كفر

فلما كان في الليلة الرابعة وجه يعني المعتصم بيغا الذي كان يقال له
الكبير إلى إسحاق فأمره بحملي إليه . فأدخلت على إسحاق فقال : يا أحمد
إنها والله نفسك إنه لا يقتلك بالسيف . إنه قد آلى بان لم تجبه أن يضربك
ضربا بعد ضرب وأن يقتلك في موضع لا يرى فيه شمس ولا قمر . أليس قد
قال الله عز وجل : " إنا جعلناه قرآنا عربيا " ^(١) أف يكون مجمولا إلا مخلوقا
فقلت : قد قال الله تعالى : " فجعلهم كعصف مأكول " ^(٢) أفخلقهم قال :
فسكت فلما صرنا إلى الموضع المعروف بباب البستان أخرجت وجيء بدابة
فحملت عليها وعلي الأقياد ما معي أحد يمسكني . فكدت غير مرة أن أخرج
على وجهي لثقل القيود . فجيء بي إلى دار المعتصم فأدخلت حجرة
وأدخلت إلى البيت .

وأقفل الباب علي وذلك في الجوف الليل وليس في البيت سراج .
فأردت أن أتمسح للصلاة فمددت يدي فإذا أنا بإناء فيه ماء وطست موضوع
فتوضأت وصليت . فلما كان من الغد أخرجت تكتي من سراويلي
وشددت بها الأقياد أحملها وعطفت سراويلي . فجاء رسول المعتصم فقال
: أجب

فأخذ بيدي وأدخلني عليه والتكة في يدي أحمل بها الأقياد . وإذا هو
جالس وابن أبي دؤاد حاضر وقد جمع خلقا كثيرا من أصحابه فقال لي

(١) سورة الزخف ٣.

(٢) سورة الفيل ٥.

يعني المعتصم : أدنه أدنه . فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ثم قال لي : اجلس . فجلست وقد أثقلتني الأقياد فمكثت قليلا ثم قلت : أتأذن لي في الكلام فقال : تكلم

فقلت : إلى ما دعا الله ورسوله فسكت هنية ثم قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله

فقلت : فأنا أشهد أن لا إله إلا الله . ثم قلت : إن جدك ابن عباس يقول : لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عن الإيمان فقال : أتدرون ما الإيمان قالوا : الله ورسوله أعلم قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تعطوا الخمس من المغنم

قال أبي : قال - يعني المعتصم - لولا أنني وجدتك في يد من كان قبلي ما عرضت لك

ثم قال : يا أبا عبد الرحمن بن إسحاق ألم أمرك برفع المحنة فقلت : الله أكبر إن في هذا لفرجا للمسلمين

ثم قال لهم : ناظروه كلمه يا أبا عبد الرحمن كلمه فقال لي عبد الرحمن : ما تقول في القرآن قلت له : ما تقول في علم الله فسكت

فقال لي بعضهم : أليس قال الله تعالى : " الله خالق كل شيء ^(١) " والقرآن أليس هو شيء فقلت : قال الله تعالى : " تدمر كل شيء بأمر ربها ^(٢) " فدمرت إلا ما أراد الله

فقال بعضهم : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) ^(٣) أف يكون محدث إلا مخلوقا فقلت : قال الله : (ص والقرآن ذي الذكر) ^(٤) فالذكر هو القرآن . وتلك ليس فيها ألف ولا ميم .

(١) سورة الرعد ١٦.

(٢) سورة الأحقاف ٢٥ .

(٣) سورة الأنبياء ٢.

وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين أن الله عز وجل خلق الذكر
فقلت : هذا خطأ حدثنا غير واحد : إن الله كتب الذكر
واحتجوا بحديث ابن مسعود : ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء
ولا أرض أعظم من آية الكرسي
فقلت : إنما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض ولم يقع
على القرآن .

فقال بعضهم : حديث خباب : يا هنتاه تقرب إلى الله بما استطعت فإنك
لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه
قلت : هكذا هو .

قال صالح بن أحمد : فجعل أحمد بن أبي دؤاد ينظر إلى أبي
كالمغضب قال أبي : وكان يتكلم هذا فأرد عليه ويتكلم هذا فأرد عليه فإذا
انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد فيقول : يا أمير المؤمنين هو والله
ضال مضل مبتدع
فيقول : كلموه ناظروه .

فيكلمني هذا فأرد عليه ويكلمني هذا فأرد عليه فإذا انقطعوا يقول لي
المعتصم : ويحك يا أحمد ما تقول ، فأقول : يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً
من كتاب الله أو سنة رسول الله حتى أقول به .

فيقول ابن دؤاد : أنت لا تقول إلا ما في كتاب الله أو سنة رسول الله
فقلت له : تأولت تأويلاً فأنت أعلم وما تأولت ما يحبس عليه وما يقيد عليه
قال حنبل : قال أبو عبد الله : ولقد احتجوا عليّ بشيء ما يقوى قلبي
ولا ينطلق لساني أن أحكيه . أنكروا الآثار وما ظننتهم على هذا حتى
سمعت مقالتهم وجعلوا يدعون يقول الخصم : وكذا وكذا . فأحتججت
عليهم بالقرآن بقوله : " يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
شيئاً " (٢)

(١) سورة ص ١ .

(٢) سورة مريم ٤٢ .

فذم إبراهيم أباه أن عبد ما لا يسمع ولا يبصر أفهذا منكر عندكم فقالوا : شبه يا أمير المؤمنين شبه يا أمير المؤمنين وقال محمد بن إبراهيم البوشنجي : حدثني بعض اصحابنا أن ابن أبي دؤاد يقول : يا أمير المؤمنين والله لئن أجابك لهو أحب إلي من مائة ألف دينار ومائة ألف دينار ويعد من ذلك ما شاء الله أن يعد فقال المعتصم : والله لئن أجابني لأطلقن عنه بيدي ولأركبن إليه بجندي ولأطأن عقبه

ثم قال : يا أحمد والله إنني عليك لشفيق وإنني لأشفق عليك كشفقتي على هارون ابني . ما تقول فأقول : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله .

فلما طال المجلس ضجر وقال : قوموا . وحسني يعني عنده وعبد الرحمن بن إسحاق يكلمني .

فقال المعتصم : ويحك أجبني . وقال : ما أعرفك ألم تكن تأتينا فقال له عبد الرحمن بن إسحاق : يا أمير المؤمنين أعرفه منذ ثلاثين سنة يرى طاعتك والجهاد والحج معك

قال : فيقول : والله إنه لعالم وإنه لفقيه وما يسوءني أن يكون معي يرد عني أهل الملل .

ثم قال لي : ما كنت تعرف صالحا الرشيدي قلت : قد سمعت باسمه قال : كان مؤدبي وكان في ذلك الموضع جالسا وأشار إلى ناحية من الدار فسألته عن القرآن فخالفني فأمرت به فوطيء وسحب . ثم قال : يا أحمد أجبني إلى شيء لك فيه أدنى مخرج حتى أطلق عنك بيدي .

قلت : أعطوني شيئاً من كتاب الله وسنة رسوله فطال المجلس وقام ورددت إلى الموضع الذي كنت فيه فلما كان بعد المغرب وجه إلي رجلين من أصحاب ابن أبي دؤاد يبيتان عندي وينظراني

ويقيماني معي حتى إذا كان وقت الإفطار جيء بالطعام ويجتهدان بي أن أفطر فلا أفعل .

ووجه إلي المعتصم ابن أبي دؤاد في بعض الليالي فقال : يقول لك أمير المؤمنين : ما تقول فأرد عليه نحواً مما كنت أرد .

فقال ابن أبي دؤاد : والله لقد كتبت اسمك في السبعة يحى بن معين وغيره فمحوته . ولقد ساءني أخذهم إياك . ثم يقول : إن أمير المؤمنين قد حلف أن يضربك ضرباً بعد ضرب وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس ويقول : إن أجابني جئت إليه حتى أطلق عنه يدي .

وانصرفت فلما أصبح جاء رسوله فأخذ بيدي حتى ذهب بي إليه فقال لهم : ناظروه وكلموه .

فجعلوا يناظرونني فأرد عليهم فإذا جاءوا بشيء من الكلام مما ليس في الكتاب والسنة قلت : ما أدري ما هذا .

قال : يقولون : يا أمير المؤمنين إذا توهمت له الحجة علينا ثبت . وإذا كلمناه بشيء يقول لا أدري ما هذا . فقال : ناظروه .

فقال رجل : يا أحمد أراك تذكر الحديث وتنتحله قلت : فما تقول في (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) قال : خص الله بها المؤمنين .

قلت : ما تقول إن كان قاتلاً أو عبداً فسكت . وإنما احتججت عليهم بهذا لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن وحيث قال لي : أراك تنتحل الحديث احتججت بالقرآن يعني . فلم يزالوا كذلك إلى قرب الزوال فلما ضجر قال لهم : قوموا ؛ وخلا بي وبعبد الرحمن بن إسحاق . فلم يزل يكلمني

ثم قال أبي : فقام ودخل ورددت إلى الموضع . قال : فلما كان في الليلة الثالثة قلت : خليك أن يحدث غداً من أمري شيء فقلت لبعض من كان معي الموكل بي : ارتد لي خطاً . فجاءني بخيط

فشددت به الأقياد ورددت التكة إلى سراويلي مخافة أن يحدث من أمري شيء فأتعري .

فلما كان من الغد في اليوم الثالث وجه إلي فأدخلت فإذا الدار خاصة فجعلت أدخل من موضع إلى موضع وقوم معهم السيوف وقوم معهم الشياطين وغير ذلك .

ولم يكن في اليومين الماضيين كبير أحد من هؤلاء . فلما انتهيت إليه قال : اقعد . ثم قال : ناظروه كلموه .

فجعلوا يناظرونني ويتكلم هذا فأرد عليه ويتكلم هذا فأرد عليه وجعل صوتي يعلو أصواتهم فجعل بعض من على رأسه قائم يوميء إلي بيده فلما طال المجلس نحاني ثم خلا بهم . ثم نحاهم وردني إلى عنده فقال : ويحك يا أحمد أجبني حتى أطلق عنك يدي . فرددت عليه نحوا مما كنت يرد فقال لي : عليك وذكر اللعن .

وقال : خذوه واسحبوه واخلعوه .

قال : فسحبت ثم خلعت .

قال : وقد كان صار إلي شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم في قميصي فوجه إلي إسحاق بن إبراهيم : ما هذا المصروع في قميصك قلت : شعر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : وسعى بعض القوم إلى القميص ليخرقه علي فقال لهم يعني المعتصم : لا تخرقوه .

فنزع القميص عني .

قال : وظننت أنه إنما دريء عن القميص الخرق بسبب الشعر الذي كان فيه .

قال : وجلس المعتصم على كرسي ثم قال : العقابين والسياط

فجيء بالعقابين فمدت يداي فقال بعض من حضر خلفي : خذ أي الخشبتيين بيديك وشد عليهما . فلم أفهم ما قال فتخلعت يداي^(١) .

أي أن أحمد بن حنبل لم يعرف كيف يمسك الخشبة لأنه غير معتاد على الجلد ، ولم يتوقع أنه سيتعرض للجلد لأنه يحرص على إجتناّب المعاصي ، فخلعت يده بسبب عدم مسك الخشبة بالكيفية المناسبة . واستمرت هذه المحنة في أيام المعتصم بالله ، والواثق بالله ، وانتهت في أيام المتوكل سنة ٢٤٦ هجرية ٨٦١ م ، والخلاف بينهم أقرب إلى الصغروي والفلسفي وعلمه لا ينفع وجهله لا يضر .

وكان الضرر من هذه الفتنة بالغاً وشديداً ، وليس من حاجة إليها موضوعاً وحكماً .

إنما جعل الله عز وجل القرآن رحمة متصلة ، وانعم على الناس وجعل كلامه بينهم ويجري على سنتهم ، ويتلون في الصلاة جماعة وفراداً لا أنت يبدع ويكفر بعضهم بعضاً بسبب هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق ، وقد انقطعت هذه الفتنة في أيامها ، فحالما أغلقها السلطان لم يبق لها أثر معتد به ، مما يدل على عدم الحاجة إليها موضوعاً وحكماً .

فهي ليس من أحكام الشريعة ، ولم ترد على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكلف الشرع بمعرفتها .

ومشهور مالك وأبي حنيفة وأحمد الإحتجاج بالمرسل .

وقيل من يحتج بالمرسل يحتج بضعفه المرسل من باب الأولوية وليس بتام .

والمراد من الروح الأمين في الآية أعلاه هو جبرئيل لبيان سلامة القرآن من التحريف في طرق السموات وأن الشيطان الذي أغوى آدم وحواء بالأكل من الشجرة عاجز عن التدخل في التنزيل ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) فمن مصاديق الخلافة انتفاء العائق والمانع بين الله وبين الأنبياء .

وخصت الآية ذكر قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن جبرئيل نزل بالقرآن على قلب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبيان مسائل :
الأولى : ضبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم للآيات القرآن.
الثانية : حفظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم للآيات التي تنزل عليه وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿سَتَقْرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(١).

الثالثة : بيان قانون وهو نزول الآيات والنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حال يقظة وفطنة .

الرابعة : دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقيام بالبشارة والإنذار ، وهو من مصاديق ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢).

الخامسة : إقامة الحجة من عند الله عز وجل بنزول القرآن عربياً يعيه ويفهمه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي أتقن أسرار العربية والفصاحة في مضارب بني سعد في فترة الرضاعة والحضانة ثم في مكة حيث فصاحة قريش إذ تفد قبائل العرب إليها ، وتتعدد اللهجات العربية في الجزيرة .

السادسة : عصمة قلب النبي من الهوى وإتباعه.

السابعة : إكرام النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالواردات الإلهية والوحي والكشف والعلم اللدني.

الثامنة : صحيح أن آيات وسور القرآن نزلت على نحو النجوم والتدرج إلا أنها جميعاً نزل بها جبرئيل عليه السلام الذي كان ينتظر ولآلاف السنين بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كي ينزل عليه بآيات وسور

(١) سورة الأعلى ٦.

(٢) سورة الشعراء ١٩٣-١٩٥.

القرآن ، إذ أن الضمير الروح الأمين يعود للقرآن وكذا الضمير في (نزله) بقوله تعالى ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١).

ويحتمل هذا التعيين وذكر قلب النبي في الآية وجوهاً :

الأول : الإشارة إلى كون النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمياً .

الثاني : عدم حاجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقراءة والكتابة فيما يخص التنزيل .

الثالث : لا صلة للآية بخصوص موضوع القراءة والكتابة . والمختار هو الثاني أعلاه .

ومن خصائص تسمية القرآن بالتنزيل أمور :

الأول : لزوم اللجوء إلى الله عز وجل .

الثاني : حث الناس إلى الصدور عن القرآن .

الثالث : بعث السكينة في قلوب المؤمنين في العمل بأحكام القرآن .

الرابع : إدراك المسلمين أن الله عز وجل أكرمهم بالقرآن .

الخامس : الشكر لله عز وجل على تفضله بتنزيل كلامه ، وهذا الشكر قولي وفعلي ، ومن مصاديق الشكر الفعلي التقيد بأحكام القرآن ، ومنها حسن السمات ، والأخلاق الحميدة وأداء الفرائض ، واتخاذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريقاً للهداية ، واجتناب الإرهاب والقهر .

السادس : بيان مسألة وهي أن القرآن ليس هو التوراة أو الإنجيل ، وفيه رد على من قال بالإتحاد بينها ، وأنه إذا كان بالعربية فهو القرآن ، وإذا كان بالعبرية فهو التوراة ، ولو دار الأمر بين القول أن قوله تعالى ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

بين التكرار والتشابه بينه وبين التوراة في الموضوع والآيات والحكم وبين التباين بينهما ، فالصحيح هو الثاني ، وهو من أسرار تعدد وكثرة أسماء

(١) سورة البقرة ٩٧.

(٢) سورة الواقعة ٨٠.

القرآن، وأن كل اسم له معنى ودلالة ، نعم يكون التشابه في ذات مسألة النزول وشرط من الأحكام وليس ذات التنزيل .

وكما ذكر الله عز وجل القرآن بأنه كلامه ، فانه نسب تنزيله إليه سبحانه لبيان أنه لا يقدر على هذا التنزيل إلا الله سبحانه .

خامساً : التنزيل من أسماء القرآن ، لبيان قانون وصفة ثابتة للقرآن وهي أنه نزل من عند الله ، وأنه مرّ على الملائكة الذين يسكنون السماء ، وعلموا بواسطة هذا التنزيل بحلول أوان بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وبيان أحكام الفرائض ، قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَنَزَّلِ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿^(١) إِذْ أَنْ الضَّمِيرُ الْهَاءُ فِي ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ يَعُودُ إِلَى التَّنْزِيلِ وَهُوَ الْقُرْآنُ.

وتعددت الآيات التي تسمي القرآن تنزيلاً ومنها قوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿^(٢).

وقد يأتي التنزيل ويراد به المصدر كما في قوله تعالى ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ * ^(٣).

وفي تسمية القرآن بالتنزيل وتقييده بأنه من عند الله دعوة لتعاهد كلمات القرآن ، وكل حرف منه وفيه شاهد بأن الله عز وجل هو الذي يحفظ كلامه الذي أنزله من التحريف أو التبديل بعض كلماته .
ولابد من إنشاء قانون وهو دلالة الجمع بين أسماء القرآن .

(١) سورة الشعراء ١٩٢-١٩٣.

(٢) سورة الحاقة ٤١-٤٣.

(٣) سورة الزمر ١.

وبين تسمية القرآن بالتنزيل قانوناً وهو أن الله عز وجل لم يترك الناس وشأنهم ، قال تعالى ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(١) ومع أن النبوة نعمة عظيمة من عند الله عز وجل فانه سبحانه لم يكتف ببعث الأنبياء إنما تفضل بتنزيل الكتب السماوية وهو من سعة رحمته وعمومات قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٢).

وقد ورد لفظ (نَزَلَ) بصيغة الماضي ، إذ قال تعالى في الثناء على المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٣).

كما جمعت آية ذكر نزول القرآن مرتين كما في قوله تعالى ﴿بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُكْفَرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٤) لبيان أن الله تفضل بالتنزيل ليعمل الناس بأحكامه وسنته ، وأنه نعمة عظيمة عليهم ، فيجب ألا يتلقوه بالصدود والإعراض لأن هذا الإعراض ظلم وتفريط .

سادساً : ذكر اسم (أمر الله) للقرآن ، واستدل بقوله تعالى ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ﴾^(٥) ، ولم يثبت أنه اسم لله عز وجل وتمام الآية ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سُبَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾^(٦) ، فالمراد من أمر الله في الآية حكم

(١) سورة القيامة ٣٦.

(٢) سورة البقرة ٢٠٣.

(٣) سورة البقرة ٤.

(٤) سورة البقرة ٩٠.

(٥) سورة الطلاق ٥.

(٦) سورة الطلاق ٥.

الله وقبل أحكام العدة وتفاصيلها ، لأن هذه الآية في نظم وسياق آيات الطلاق والعدة (ويقال : الأمر هو القضاء)^(١) ، وتقدير الآية على وجوه :

الأول : ذلك أمر الله أنزله إليكم بالقرآن.

الثاني : ذلك أمر الله أنزله إليكم بواسطة جبرئيل الأمين.

الثالث : ذلك أمر الله المنزل إليكم على قلب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الرابع : ذلك أمر الله أنزله إليكم فيما يخص أحكام الطلاق ، لبيان أن الحكم من الله هو أمر يجب التقيد به ، وفيه شاهد على إكرام الله للمرأة ، إن عناية الرجل بالأسرة واقية من العنف الأسري والتعدي العام والإرهاب ، لبيان معجزة في أنظمة الأسرة وفق أحكام الكتاب والسنة وهو أنها حرز من الإرهاب ، للذات ولنشأة الأولاد ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) ، للمنافع الاجتماعية والأخلاقية لقواعد وأنظمة الأسرة في القرآن فلا غرابة أن تنزل أحكام النكاح والطلاق بصفة الأمر من عند الله عز وجل.

سابعاً : القول : قال تعالى ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣) ، أي اتبعنا بعضه بعضاً فيصل إلى الناس للذكرى والإيعاظ التوبة والتحلي بالإيمان ، وهو من الشواهد على عظيم النفع بنزول القرآن نجوماً.

وذكر أن الضمير (هم) في (ولقد وصلنا لهم القول) يعود لكفار قريش وهذا صحيح ولكن موضوعه أعم فهو باق إلى يوم القيامة ، ليكون من معاني (وصلنا لهم القول) ، التتابع في أحكام القرآن ، وشموله للمواضيع المختلفة ، وهو من الشواهد على قوله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ

(١) السمرقندي / بحر العلوم ١١٧/٢.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) سورة القصص ٥١.

شَيْءٌ^(١)، وورد في الثناء على القرآن قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾^(٢)، وقوله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٣)، وقال تعالى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(٤).

والثقل في الأوزان ، وهو أمر محسوس وظاهر ، فهل تسمية القرآن بالقول الثقيل من المجاز والإستعارة ، أم أنه ثقيل حقاً ، الجواب الأصل في الكلام العربي حمله على الحقيقة إلا مع القرينة على المجاز ، فثقل القرآن عند نزوله حقيقة وله وطأة وشدة ، إذ أنه ينزل على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتشعر كل الجوارح والأركان بثقله ، وكان إذا نزل عليه القرآن يتردد جلده ويرفض جبينه عرقاً لذا قيل (برحاء الوحي)^(٥).

ثامناً : الكريم : إذ ورد وصف القرآن بأنه كريم مرة واحدة في القرآن بقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾^(٦)، ومن معاني الكريم في المقام وجوه :

الأول : الحسن الذاتي.

الثاني : ترشح المنافع عن القرآن وآياته .

الثالث : اشتمال القرآن للأحكام التي تصلح الناس في دنياهم ، وتأخذ بأيديهم إلى النعيم الدائم ، قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي

(١) سورة النحل ٨٩.

(٢) سورة الطارق ١٣.

(٣) سورة النساء ١٢٢.

(٤) سورة المزمل ٥.

(٥) والبرحاء : بضم الباء شدة الحمى ، المخصص ١/٤٢٠ / ومنهم من أطلق فقال البرحاء : الشدة.

(٦) سورة الواقعة ٧٧.

هِيَ أَقَوْمٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١١﴾،
وهل البشارة في الآية أعلاه من مصاديق صفة الكريم للقرآن ، الجواب نعم.

أول من أسلم

الإجماع على أن أول من أسلم هو خديجة بنت خويلد (عن ابن عباس قال : أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد خديجة علي بن أبي طالب سلام الله عليهما)^(١).

(عن ابن عباس قال : أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد خديجة علي بن أبي طالب عليهما السلام .

وعن عبد الوارث بن سفيان قال : حدثنا قاسم بن أصبغ قال : حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال : حدثنا الحسن بن حماد حدثنا أبو عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال : كان علي بن أبي طالب أول من آمن من الناس بعد خديجة عليها السلام .

قال أبو عمر رحمه الله : هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد لصحته وثقة نقلته وهو يعارض ما ذكرناه عن ابن عباس في باب أبي بكر والصحيح في أمر أبي بكر أنه أول من أظهر إسلامه كذلك قال مجاهد وغيره قالوا : ومنعه قومه . وقال ابن شهاب وعبد الله بن محمد بن عقيل وقتادة وأبو إسحاق : أول من أسلم من الرجال علي . واتفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقه فيما جاء به ثم علي بعدها.

وروي في ذلك عن أبي رافع مثل ذلك حدثنا عبد الوارث حدثنا قاسم حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا عبد السلام بن صالح قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال حدثنا عمرو مولى عفرة قال : سئل محمد بن كعب القرظي عن أول من أسلم : أعلي أو أبو بكر قال : سبحان الله

(١) سورة الاسراء ٩.

(٢) الإستيعاب ١/ ٣٢٦.

علي أولهما إسلاما وإنما شبه على الناس لأن عليا أخفى إسلامه من أبي طالب وأسلم أبو بكر فأظهر إسلامه ولا شك أن عليا عندنا أولهما إسلاما^(١).

(عن ميمون بن مهران عن ابن عمر قال : أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن ثلاث عشرة سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة ، قال أبو عمر رحمه الله : هذا أصح ما قيل في ذلك .

وقد روي عن ابن عمر من وجهين جديدين . وروي عن ابن فضيل عن الأجلح عن سلمة بن كهيل عن حبة بن الجوين العرني قال : سمعت عليا عليه السلام يقول : لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين

وروى شعبة عن سلمة بن كهيل عن حبة العرني قال : سمعت عليا يقول أنا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقال سالم بن أبي الجعد : قلت لابن الحنفية : أبو بكر كان أولهم إسلاما قال : لا وروى مسلم الملائني عن أنس بن مالك قال : استتبى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين وصلى على يوم الثلاثاء^(٢).

وممن قال أن علياً أول من أسلم : سلمان الفارسي ، وأبو ذر والمقداد وخباب وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري .

وزيد بن أرقم مع الإجماع على أن خديجة أول من آمنت ومنهم من قال بالتفصيل وأن أول من أسلم من الصبيان هو علي عليه السلام ، ومن الرجال أبو بكر .

وذكر أن أول من آمن من الموالي زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال ، وقيل أن علياً أول من أسلم وكان مستخفياً بإسلامه ، وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر إسلامه أبو بكر بن أبي قحافة.

(١) الإستيعاب ١/٣٣٧.

(٢) الإستيعاب ١/٣٣٧.

ولا دليل على إخفاء علي إسلامه ، إذ أن حديث عفيف الكندي دل على أن علياً عليه السلام كان يصلي هو وخديجة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في البيت الحرام بمحضر من قريش ، وأن عفيفاً هذا كان يتحسر لأنه لم يسلم يومئذ فيكون رابعاً.

(وروى إسماعيل بن أياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف قال : كنت امرأةً تاجراً فقدمت مكة أيام الحج فنزلت على العباس بن عبد المطلب وكان العباس لي صديقاً وكان يختلف إلى اليمن يشتري القطن فيبيعه أيام الموسم،

فبينما أنا والعباس بمنى إذ جاء رجل شاب حين حلت الشمس في السماء فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة فلبث مستقبلاً، حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث أن جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب وركع الغلام والمرأة فخر الشاب ساجداً فسجداً معه فرفع فرفع الغلام والمرأة فقلت : يا عباس أمرٌ عظيم فقال : أمرٌ عظيم. فقلت : ويحك ما هذا؟

فقال : هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم أن الله تعالى بعثه رسولا وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذا الغلام ابن أخي علي بن أبي طالب، وهذه المرأة خديجة بنت خويلد زوجة محمد قد تابعا علي دينه، ما على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء.

قال عبد الله الكندي بعدما رسخ الإسلام في قلبه : ليتني كنت رابعاً. فيروي أن أبا طالب قال لعلي (ح) : أي بني ما هذا الذي أنت عليه قال : آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء وصليت معه لله. فقال له : أما أن محمداً لا يدعو إلا إلى خير فالزمه^(١).

قريش قبل الإسلام

(القرش: الجمع من هاهنا وهاهنا، يضم بعضه إلى بعض، وسميت قريش لتجمعها إلى مكة حيث غلب عليها قصي بن كلاب، والنسبة إليهم قرشي وقرشي، قال: بكل قرشي عليه مهابة) (١).

(قرشه يقرشه ويقرشه قطعه، وجمعه من ههنا وههنا، وضم بعضه إلى بعض، ومنه قريش، لتجمعهم، إلى الحرم، أو لأنهم كانوا يتقرشون البياعات، فيشترونها، أو لأن النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوماً، فقالوا تقرش، أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جمل قريش، أي شديد، أو لأن قصياً كان يقال له القرشي، أو لأنهم كانوا يفتشون الحاج، فيسدون خلتها، أو سميت بمصغر القرش، وهو دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها، أو سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر، وكان صاحب غيرهم، فكانوا يقولون: قدمت غير قريش، وخرجت غير قريش، والنسبة: قرشي وقرشي. والقروش، كجروول: ما يجمع من ههنا وههنا) (٢).

لقد اختلف في لفظ قريش، وجمع قصي بن كلاب جد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قريشاً وجماعات من كنانة، ومنهم من تعدى، وقال أنهم من قبائل عربية متعددة هاجروا إلى مكة من بقاع متعددة، والأصل هو الأول، وهو لا يمنع من وجود أفراد معهم في مكة من غير كنانة لأن الأصل في نشأة مكة وعمرانها هو قوله تعالى في إبراهيم ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (٣) وتعاقبت القبائل على الإقامة والسيادة في مكة مثل جرهم، وخزاعة وقريش. وقد تفضل الله عز وجل على قريش بأمور صارت مقدمة لبعثه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها:

(١) العين ٣٧٤/١.

(٢) القاموس المحيط ١٤٦/٢.

(٣) سورة الحج ٢٧.

الأول : قيام إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببناء البيت الحرام .
الثاني : إقامة إسماعيل وأمه في مكة .

الثالث : تفضل الله عز وجل بتدفق ماء بئر زمزم بعد دعاء إبراهيم ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(١).

وهذا البئر من أطول الآبار عمراً على وجه الأرض ، وهو نوع إعجاز له إذ استمر لآلاف السنين بينما يكون معدل البئر سبعين سنة ، وعن سعيد بن جبير قال (ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم - أو قال - لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً فشربت وأرضعت ولدها)^(٢).

فتوافدت القبائل ليقيموا بجوار المسجد الحرام ، وعند البئر الذي لا ينضب ، وقد تصل إلى الإقتتال ، فهذه الخصومات فردية بين أشخاص ، أو نوعية بين جماعات وقبائل.

وفي قصة موسى عليه السلام وبنات شعيب ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾^(٣).

قال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً﴾^(٤).

(١) سورة إبراهيم ٣٧.

(٢) الدر المنثور ٢٤٣.

(٣) سورة القصص ٢٣.

(٤) سورة الإسراء ٥٩.

معجزات ميلاد النبي (ص)

من خصائص الأنبياء البركة والفيض في ولادتهم ، وترشح النعم الظاهرة والباطنة عليهم ، وهو من حب الله لهم وللناس ، وفيه مسائل :

الأولى : بيان مصداق لقانون تجلي البركة بولادة كل نبي ، وفي عسى عليه السلام قال تعالى ﴿وَجَعَلْنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(١).

الثانية : دعوة الناس للعناية بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في صباه .

الثالثة : يأتي الأنبياء بالمعجزة التي تتضمن التحدي ، ومن فضل الله أن التحدي يبدأ من حين ولادة النبي وهذا التحدي بصيغة البركة والرحمة .

الرابعة : بركة ومعجزات النبي حين ولادته مقدمة لتصديق الناس به حينما يعلن نبوته .

ومن علامات ودلالات الولادة المباركة :

العلامة الأولى : من بركات ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجيؤها عام الفيل إذ هلك أبرهة وأصحابه حينما أرادوا هدم البيت الحرام ، لبيان أن الله عز وجل حفظ البيت بفضله ، ومنه بهذه الولادة ، وهو من عمومات ما ورد بخصوص عيسى عليه السلام في التنزيل ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٢).

لقد صعدت قريش إلى رؤوس الجبال فرارا من أبرهة وأصحابه ولم يعلموا أن الله يدفع عن البيت ، وهذا الدفع من مصاديق قوله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) ، فقد وضع الله عز وجل البيت الحرام للناس باجيالهم المتعاقبة ، لتكون الآية أعلاه بشارة حفظ

(١) سورة مريم ٣١.

(٢) سورة مريم ٣٣.

(٣) سورة آل عمران ٩٦.

وسلامة البيت الحرام من أبرهة ، ثم تفضل الله عز وجل وأنعم على الناس بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذات سنة الفيل وفي هذا الإقتران مسائل :

الأولى : مصاديق الرحمة على الناس بولادة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثانية : حاجة قريش وأهل مكة لصرف أبرهة وجنوده .

الثالثة : بيان الصلة بين البيت الحرام وبين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من حين ولادته .

الرابعة : الإنذار للظالمين بعدم التعدي على حرم الله ومولد النبي .

الخامسة : التخويف والوعيد لكفار قريش من محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما يظهر نبوته ، لقد أرسل الله عز وجل طيوراً تحمل حصيات لتهلك أبرهة وأصحابه ، وتمنع وصولهم لمكة وهدمها ، قال تعالى ﴿لِيَلْأَيُّ قُرَيْشٍ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١).

السادسة : بيان شآبيب بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإطلاقتها على الأرض .

لقد أجمع العلماء على أن ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شهر ربيع الأول في عام الفيل ، واختلف في اليوم الذي ولد فيه على أقوال:

الأول : اليوم الثاني من الشهر .

الثاني : اليوم الثامن .

الثالث : اليوم العاشر .

الرابع : اليوم الثاني عشر .

الخامس : اليوم السابع عشر .

السادس : اليوم الثاني والعشرون .

والمشهور هو الرابع أعلاه ثم الخامس .

لقد ولد النبي محمد سنة ٥٧٠ ميلادية، وهو عام الفيل ، وحدث أرتجاج واهتزاز إيوان كسرى ، وليس من زلزال في المنطقة ليكون إنذاراً لحكام فارس بلزوم الإيمان.

فان قلت لماذا لم يهتز عرش قيصر وملك الروم والحبشة والجواب إن إهتزاز أحدها أمانة وإنذار للملوك كلهم ، كما كان هرقل على دين النصرانية ، ولم تهتز الأكواخ من حوله .

وعندما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم دحية الكلبي إلى هرقل بكتابه بعد صلح الحديبية أكرمه ، أما كسرى فقد مزق كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم مزق الله ملكه ، وكان الذي مزقه غير الذي رأى الرؤيا للتباعد الزمني بينهما .

العلامة الثانية : سقوط أربع شرف من إيوان كسرى ، وهي دار^(١) شامخة مسقفة يضرب بها المثل في البناء الرفيع والبديع ، وتقع في جنوب بغداد على

(١) كلمة الدار مؤنثة وهي بنفس معنى (البيت) الذي هو مذكر لبيان تعلق التذكير والتأنيث بهذا اللفظ وليس المسمى وما يدل عليه اللفظ فاذا قلنا أن هذا اللفظ مذكر فلا يعني أنه مذكر في موضوعه ودلالته ، وكذا بالنسبة للمؤنث ، إذ هناك مذكر ومؤنث مجازي ، نعم يكون التقسيم إلى عاقل وغير العاقل والكائن الحي والجماد ، وليس للجماد أي ذكورة أو أنوثة .

وجرت نقاشات حول هل لفظ اسم الجلالة مذكر أم مؤنث ، الجواب انه مذكر ، وفي التنزيل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الاخلاص ١ فقد ذكرت الآية الضمير (هو) .

وصحيح ان لفظ التذكير أسمى مرتبة من المؤنث وأن لفظ الجلالة مذكر ، إلا أن الأصل هو أن لفظ الجلالة أسمى من أن يناقش في باب التقسيم إلى مذكر ومؤنث ، وهو سبحانه الذي خلق المذكر والمؤنث ، وهو سبحانه منزّه عن صفة الجنس ، وفي التنزيل ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ الجن ٣ وهو أمر واضح للناس والخلائق وقيل توضيح الواضح تغميض له إلا أن اللغة العربية تحصر تقسيم العقلاء والحيوانات وحتى التي لا يوجد فيها جنس مثل النباتات والجمادات والأحياء والجمادات بالمذكر والمؤنث ، وهي على أقسام :

بعد ٤٠ كم منها وتسمى بلدة المدائن في هذا الزمان بذات الاسم المدائن وتسمى سلمان باك نسبة إلى الصحابي الجليل سلمان الفارسي ومن اسمائه سلمان الخير^(١) الذي صار والياً عليها وأظهر الزهد والتقوى ، قال تعالى ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَبَجَعَلَهُمْ أَتَمَّةً وَبَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢).

وتغنى الشعراء الفرس والعرب بهذا الإيوان ومنها قصيدة ابن البحري التي ذكرتها في الجزء الخامس والتسعين بعد المائة من تفسيري للقرآن (معالم الإيمان في تفسير القرآن)^(٣).

واتخذ المسلمون هذا الإيوان مسجداً ، ولم يتخذه أمراء المسلمين بيتاً ولم يسكنوا بيوت الملوك ، وبعد الإلحاح على سلمان من قبل أهل المدائن بنوا له كوخاً سقفه بمحاذاة رأسه .

وأبى أن يسكن داراً من المدر واللبن ، فلم يثر عليه أهل البلدة ، ولم يطالبوا بالإصلاحات ، وفي المدائن (واشترى رجل علفاً لفرسه ، فقال لسلمان: يا فارسي تعال فاحمل! .

فحمل وأتبعه فجعل الناس يسلمون على سلمان فقال: من هذا؟ قال: سلمان الفارسي .

قال: والله ما عرفتك! أقلني! فقال سلمان: لا! إني احتسبت بما صنعت خصلاً ثلاثاً: إحداهن أنني ألقيت عن نفسي الكبر والثانية أعين رجلاً من

الأول : المذكر الحقيقي .

الثاني : المذكر المجازي .

الثالث : المؤنث الحقيقي .

الرابع : المؤنث المجازي .

(١) سمط النجوم العوالي ١/ ٢٢٨.

(٢) سورة القصص ٥.

(٣) أنظر الجزء (١٩٤) ص ٥٥.

المسلمين في حاجته والثالثة لو لم تسخرني لسخرت من هو أضعف مني فوقيته بنفسه.

ليان مسألة وهي أن زهد الوالي المسلم على المدائن وهو من أصل فارسي من مصاديق إرتجاف إيوان كسرى وزوال الشرك .

وقال الحسن: كَانَ عَطَاؤُهُ خَمْسَةَ آلَافٍ وَكَانَ عَلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنَ النَّاسِ يَخْطُبُ فِي عِبَادَةٍ يَفْتَرِشُ نَصْفَهَا وَيَلْبَسُ نَصْفَهَا، وَإِذَا خَرَجَ عَطَاؤُهُ أَمْضَاهُ وَيَأْكُلُ مِنْ سَفِيفِ يَدِهِ، وَقَبْرُهُ بِالْمَدَائِنِ. (١).

وكان النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة بالزهد والصبر ، وكذا الإمام علي عليه السلام وأكثر الصحابة ، قال تعالى ﴿وَسَكَّتُمْ فِي مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ (٢).
ليان أن خمودها أمر قهري .

وكانوا يقولون بالهين إله للخير وهو مبدأ النور وإله للشر ، إلى ان ينتصر إله النور الذي له ستة مساعدين يساعدونه على إله الشر ، وليس من إله إلا الله تعالى .

وكل الكتب السماوية تدل على التوحيد ، وتدعو إليه ، فالجامع المشترك بينها هو اختصاص الربوبية المطلقة بالله تعالى وأنه سبحانه ليس له ند ولا تشبيه وقد خاطب القرآن الناس جميعاً بنداء التوحيد ، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

(١) الوافي بالوفيات ٩٩/٥.

(٢) سورة ابراهيم ٤٥.

(٣) سورة البقرة ٢١-٢٢.

وسياتي مختصر في الاستنباط المواعظ منها في الجزء الثامن والثلاثين بعد المائتين من هذا السفر .

والإنداد : جمع ند وهو المضاهي والمناوئ .

(والند : المثل . ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوئ . قال جرير :

أَتَيْمًا يَجْعَلُونَ إِلِيَّ نَدًا ... وَمَا تَيْمٌ لِّدِي حَسَبَ نَدِيدَا

وناددت الرجل : خالفته ونافرته ، من ند ندوداً إذا نفر . ومعنى قولهم :

ليس لله ند ولا ضد نفى ما يسده مسده ، ونفى ما ينافيه . قيل كانوا يسمون

أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب ، وما كانوا يزعمون أنها

تخالف الله وتناويه .

ولما تقرّبوا إليها وعظموها وسموها آلهة ، أشبهت حالهم حال من

يعتقد أنها آلهة مثله ، قادرة على مخالفته ومضادته ف قيل لهم ذلك على سبيل

التهكم . كما تهكم بهم بلفظ الند ، شنع عليهم واستفزع شأنهم بأن جعلوا

أنداداً كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط . وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن

نضيل حين فارق دين قومه :

أَرْبَاً وَاحِداً أَمْ أَلْفُ رَبٍّ ... أَدِينُ إِذَا تَقَسَّمتِ الْأُمُورُ

وقرأ محمد بن السميغ : فلا تجعلوا لله ندا^(١) .

وأدرك علماء المجوس وأرباب التنجيم عند إنطفاء النار أن أمراً كونياً

قاهراً قد حصل ، وكان يقوم على النار رجال على مدار الساعة وفجأة

انطفأت ، وكان الماء اندفع إليها بافاضة ليطفئها بالذات دون غيرها مثلما

جاء الإهتزاز لإيوان كسرى ، ولم تتعرض الأكواخ من حوله للهدم أو

الحسف أو الإهتزاز .

وفي هذا الزمان يتوجه الشوار والفاتحون إلى ما هو رمز عند الطرف

الآخر فينقضون عليه لإعلان انتهاء حقبة وبداية أخرى ، قال تعالى ﴿وَتِلْكَ

الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾^(١) .

وقيل أن القرآن كلام الله ، وهو صفة من صفات الله ، وصفات الله غير مخلوقة .

ولكن العقل يدرك أن الكلام غير المتكلم ، نعم من صفات الله عز وجل الكلام والتكلم وكلام الله أعم من القرآن ، ويدل على العموم قوله تعالى ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَتَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ ^(٢) كما يدل على إرادة الخصوص في تسمية القرآن كلام الله ، كما في قوله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) أي كلمات وآيات القرآن .

وتحتمل كلمات الله التي ذكرتها الآية أعلاه من جهة أوان التكلم بها وجهين :

الأول : كل كلمات الله قد تكلم بها الله عز وجل وعلمت بها الملائكة .

الثاني : شطر من كلمات الله تكلم بها سبحانه .
ويحتمل جهتين :

الأولى : هذا الشطر هو الأقل .

الثانية : هذا الشطر هو الأكثر .

ومع القصور عن علمنا بهذا الأمر ، إلا أن المختار هو الجهة الأولى من الوجه الثاني أعلاه .

(١) سورة آل عمران ١٤٠.

(٢) سورة الكهف ١٠٩.

(٣) سورة الفتح ١٥.

إذ أن كلمات الله من اللامتناهي ، وقد أخبر الله عز وجل عن نفسه بأنه ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾^(١) وليس بمقدور الملائكة الإحاطة بكلام الله .

وقال الشيباني :

(وكسرى إذ تقسمه بنوه ... بأسياف كما اقتسم اللحم)

(تمخضت المنون له بيوم ... أنى ولكل حاملة تمام)^(٢).

العلامة الثالثة : صيرورة الأصنام صبيحة ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم منكب على وجوهها ، وهل تهاوت وسقطت الجواب إنما صارت منكب الرؤوس مقدمة لزوالها وإنذاراً للذين كفروا وتحذيراً لهم من منع المؤمنين من عمارة البيت والطواف به .

قال تعالى ﴿وَمَا لَهُمْ آلِيَاءُ لِلَّهِ هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وظهور علامة إنكباب الأصنام تبكيت للكفار على نصبهم الأصنام في البيت الحرام ، وفيه إنذار ولطف بالناس ، وتخفيف عنهم تجلى بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

العلامة الرابعة : النقص الفادح في ماء بحيرة ساوة وجفافها مع أنه كانت تسير فيها السفن .

وهل المراد من بحيرة ساوة التي في العراق قرب مدينة السماوة ، أم المراد بحيرة ساوة في إيران .

والصحيح هو الثاني ، وفيه بشارة بلوغ الإسلام أقصى بلاد فارس .

(١) سورة الطلاق ١٢.

(٢) تفسير القرطبي ١٤ / ١٩٧.

(٣) سورة الأنفال ٣٤.

وأشار ياقوت الحموي إلى الوجه الثاني أعلاه ، إذ قال (ساوه): بعد الألف واو مفتوحة بعدها هاء ساكنة. مدينة حسنة بين الري وهمذان في وسط بينها وبين كل واحد من همذان والري ثلاثون فرسخاً وبقرها مدينة يقال لها آوه فساره سنية شافعية واوه أهلها شيعة إمامية وبينهما نحو فرسخين ولا يزال يقع بينهما عصبية وما زالتا معمورتين إلى سنة ٦١٧ فجاءها التتر الكفار فخبرت أنهم خربوها وقتلوا كل من فيها ولم يتركوا أحد ألبته وكان بها دار كتب لم يكن في الدنيا أعظم منها بلغني أنهم أحرقوها وأما طول ساوه فسيح وسبعون درجة ونصف وثلاث وعرضها خمس وثلاثون درجة، وفي حديث سطیح في أعلام النبوة وخمدت نار فارس وغارت بحيرة ساوه وفاض وادي سماوه فليست الشام لسطیح شاماً في كلام طويل، وقد ذكرها أبو عبد الله محمد بن خليفة السنسي شاعر سيف الحولة بن مزید فقال:

ألا يا حمام الدوح دوح نجارة ... أفق عن أذى النجوى فقد
هجت لي ذكرا
علام ينديك الحنين ولم تضع ... فراخاً ولم تفقد على بعد وكرأ
ودوحك ميال الفروع كأنما ... يقل على أعواده خيماً خضراً
ولم تدر ما أعلام مرو وسأوة ... ولم تمس في جيحون تلتمس
العبرا

والنسبة إلى ساوة ساوي وساوجي، وقد نسب إليها طائفة من أهل العلم. منهم أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل بن يوسف الساوي رحل وسمع بدمشق وغيرها^(١) وقد يراد من وادي السماوة في الحديث أعلاه هو بحيرة ساوة التي قرب مدينة السماوة، وكان وادي السماوة (منقطعاً قبل ذلك بألف عام)^(٢)، لبيان قانون

(١) معجم البلدان ٢/٤٣٣.

(٢) الأزمنة والأمكنة ١/٢١٢.

وهو (ملازمة المعجزة لولادة النبي) ويدل عليه ما ذكره القرآن من المعجزات في ولادة عيسى عليه السلام ، وذكره لولادته ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^(١) .

فالمعجزات التي ظهرت بولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مصاديق السلام الذي تذكره الآية أعلاه .

كتيبة بني المصطلق^(٢)

بنو المصطلق -بضم الميم- من بطون خزاعة من الأزد القحطانية ويسكنون مر الظهران على بعد نحو (٧٥) كم متراً عن مكة ، وقد تقدم أنه يسمى في هذه الأزمنة وادي فاطمة ، وأراضيهم بين جدة ورايح على شاطئ البحر الأحمر ، وكانوا في حلف مع قريش ، وهم من البطون التي يتألف منها حلف الأحابيش والذين حالفوا قريشاً في هذا الحلف هم (بنو المصطلق سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا بذنبه حبشي وهو جبل بأسفل مكة فتحالفوا بالله إنا ليد على غيرنا ما سجي ليل ووضح نهار وما رسا حبشي مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل .

قال حماد الراوية سموا أحابيش لاجتماعهم والتجمع في كلام العرب هو التحبش^(٣) .

وقد تحالفوا تحت جبل يقال له الحبشي أسفل مكة ، والحباشة : الجماعة. وتقع في طريق تجارتها في أراضيهم والمصطلق جدهم ، فمثلاً نسب أم المؤمنين جويرية هو (جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة بن المصطلق من خزاعة)^(٤) .

(١) سورة مريم ٣٣.

(٢) وسيأتي مزيد كلام في الجزء السادس والعشرين بعد المائتين في باب (من أدلة الدفاع في السنة السنوية).

(٣) عيون الأثر ١/٤٣٣.

(٤) الطبقات الكبرى ٨/١١٦.

وتسمى هذه الكتيبة على وجوه :

الأول : غزوة بني المصطلق .

الثاني : غزوة المريسيع نسبة الى ماء بني المصطلق من ناحية قديد شرقي مدينة ينبع ، مأخوذ من رسعت العين اذا دمعت عن داء ومرض وفساد بها .
الثالث : غزوة نجد .

وفي أوان هذه الكتيبة وجوه :

الأول : وقعت في شهر شعبان سنة ست من الهجرة ، وبه قال ابن اسحاق ، أي أن هذه الكتيبة خرجت بعد معركة الخندق .

الثاني : في شهر شعبان من السنة الرابعة ، قال موسى بن عقبة^(١) .

الثالث : يوم الإثنين ليلتين خلتا من شهر شعبان من السنة الخامسة ، سنة ٦٢٦ م ، والخندق بعدها في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة عن ابن سعد^(٢) ، وبه قال ابن كثير والواقدي^(٣) .

(عن عائشة قالت: أصاب رسول الله نساء بني المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفرس سهمين والرجل سهما ، ف وقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري .

وكانت تحت ابن عم لها يقال له صفوان بن مالك بن جذيمة ذو الشفر فقتل عنها ، فكتبها ثابت بن قيس على نفسها على تسع أواق ، وكانت امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه . فبينما النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، عندي إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيته فكرهت دخولها على النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيته .

(١) عيون الأثر ٧٩/٢ .

(٢) عيون الأثر ٧٩/٢ .

(٣) ابن كثير / السيرة النبوية ٣٥٤/٢ .

فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابني من الأمر ما قد علمت فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبني على تسع أواق، فأعني في فكاكي.

فقال: أو خير من ذلك؟ .

فقالت: ما هو؟ فقال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك. قالت: نعم يا رسول الله. فقال رسول الله: قد فعلت^(١).

وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يسترقون! فأعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بني المصطلق فبلغ عتقهم مائة أهل بيت بتزويجه إياها، فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها، وذلك منصرفه من غزوة المريسيع.

أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا منصور بن أبي الأسود وسفيان بن عيينة عن زكريا عن الشعبي قال: كانت جويرية من ملك اليمين فأعتقها رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، وتزوجها.

أخبرنا محمد بن عمر، أخبرنا أبو حاتم عدي بن الفضل عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن قال: من رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، على جويرية وتزوجها.

أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالت جويرية: يا رسول الله إن نساءك يفخرن علي يقلن لم يتزوجك رسول الله. فقال رسول الله: ألم أعظم صداقك، ألم أعتق أربعين من قومك؟^(٢).

(عبد الله بن جعفر الرقي قال: حدثنا عبيد الله بن عمرو عن أيوب عن أبي قلابة أن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم،

(١) هل يكفي هذا القول بعقد النكاح أو لا بد من الصيغة المتعارفة وما فيها من القبول والإيجاب في هذا الزمان، الجواب هو الثاني وبين الحديث الآتي موضوعية الصداق.

(٢) الطبقات الكبرى ١١٦/٨.

وسلم، سبى جويرية بنت الحارث فجاء أبوها إلى النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: إن ابنتي لا يسبى مثلها فأنا أكرم من ذاك فخل سبيلها.

قال: رأيت إن خيرناها أليس قد أحسنا، قال: بلى وأدبت ما عليك، قال: فأناها أبوها فقال: إن هذا الرجل قد خيرك فلا تفضحين. فقالت: فإني قد اخترت رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم. قال: قد والله فضحتنا^(١).

وهذا بعيد، فليس من فضيحة إذا اعتق جميع أسرى بني المصطلق بزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لها، وصارت تعرف بالبركة، إنما كان أبوها ورؤساء قومها هم الذين جلبوا الفضيحة على قومهم لإصرارهم على قتال النبوة والتنزيل.

وكانت قبيلة بني المصطلق قد شاركت في غزو المشركين للمدينة المنورة في معركة أحد لأنهم من الأحابيش، وكانت تؤمن لقريش الجادة العامة المؤدية إلى مكة، وقامت بقطع الطريق على المسلمين، مع أن جماعات منهم رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة وهو يدعو إلى التوحيد وينادي في موسم الحج (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)^(٢).

وهو من أسباب تردد طائفة منهم في قتال النبي وكما أحس الذين حضروا معركة أحد منهم بمعجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ، وعجز قريش وحلفائها عن إلحاق الهزيمة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، لذا فإن العزم على قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن عن إجماع منهم، فكثير من رجالهم وشبابهم يكرهون هذا القتال، ولكن الرؤساء منهم على صلة مع

(١) الطبقات الكبرى ١١٨/٨.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٦٢/١.

كفار قريش ، ويتلقون الأموال والمنافع منهم ، وفي التنزيل ﴿بَلْ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(١).

أسباب كتيبة بني المصطلق

لقد بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن الحارث بن أبي ضرار رئيس بني المصطلق يمشي في قومه ، ومن يتصل بهم من العرب لإرادة حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغزو المدينة.

ويعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أن بني المصطلق حضروا معركة أحد إلى جانب مشركي قريش ، ولم يثبت وقوع قتلى منهم في معركة أحد ، وقد تقدم ذكر أسماء قتلى جيش المشركين يومئذ .

وهل كان لقريش سعي في تحريض بني المصطلق على قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومدّهم وحلفائهم بعد عجزهم عن تحقيق النصر على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصابهم الأعياء والفشل والخيبة من نتائج تجهيزهم الجيوش لقتاله ، فمالوا إلى طريق آخر وهو تحريض القبائل ، وجعلهم يقاتلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، مع مدّهم بالسلاح والمال خاصة وأن رؤساء قريش أدركوا حال السأم والضجر التي تغشت أهل مكة بعد فقد كثير من رجالها ، وتعطيل التجارة والمكاسب .

وللمسلمين في مكة جهاد في المقام ، فمثلاً يصغى الناس لهم وهو يتلون قوله تعالى بخصوص معركة بدر ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرٍّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَأَقْوَى اللَّهُ لَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢) ، وقوله تعالى بخصوص معركة أحد ﴿لَيَقْطَعَ طَرَقًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(٣).

(١) سورة الرعد ٣٣.

(٢) سورة آل عمران ١٢٣.

(٣) سورة آل عمران ١٢٧.

فصحيح أن الكتيبة سارت إلى بني المصطلق إلا أن الذين يستعدون لغزو المدينة أعم من بني المصطلق فمعهم بعض حلفائهم والقرييين منهم. ومع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يفعل أمراً إلا بالوحي فإنه لم يتعجل ويدعو المسلمين للتغير ، والتوجه إلى بني المصطلق ، ومباغتتهم في ديارهم ، إنما بعث أحد الصحابة ممن يثق به في المقام وهو بريدة بن الحصيب الأسلمي ، أسلم حين التقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طريق هجرته من مكة إلى المدينة ، إذ كان بريدة ومعه ثمانون نفساً من قومه عند كراع الغميم فمر بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعاهم إلى الإسلام فأمنوا وصلى بهم صلاة العشاء .

وهذه النعمة من بركات الهجرة أن يتصل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع الجماعة الكثيرة والقليلة بعيداً عن قريش فيحدثهم عن الإسلام ويتلو عليهم القرآن ليدخلوا الإسلام من غير خوف من بطش أو محاربة قريش .

ورجع بريدة إلى قومه ، بعد أن تعلم آيات وسوراً من القرآن ، في تلك الليلة ، ولم يشهد معركة بدر ومعركة أحد ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة (فشهد معه مشاهدته وشهد الحديبية وكان من ساكني المدينة ثم تحول إلى البصرة ثم خرج منها إلى خراسان)^(١) لذا فإن اختيار النبي صلى الله عليه وآله وسلم له آية ، إذ أن المشركين الذين حضروا معركة أحد لم يروه كما أنه من المؤمنين منذ أيام الهجرة الأولى . ومات بريدة في مدينة مرو سنة اثنتين وستين للهجرة ، وتقع الآن في تركمانستان ، وقيل كانت أكبر مدن العالم في القرن الثاني عشر الميلادي ، ومعنى المرو بالعربية المرج .

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٥٦/١ .

وروى بريدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحو مائة وسبعة وستين حديثاً وكان في إنتقاله إلى البصرة ثم إلى خراسان ، وطول عمره كنزاً نهل منه أهل العلم .

وسمع منه المسلمون في تلك الأمصار ما يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكأنهم يصغون لصوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيه توثيق عام في الأمصار لأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخبار سنته الفعلية ومعارك الدفاع التي خاضها ، حتى تلك التي لم يحضرها بريدة مثل معركة بدر، ومعركة أحد ، فانه أدرك تفاصيلها.

ومن التقوى تعاهد سنن الإيمان وعدم إشاعة القتل وسفك الدماء ، لذا فحينما بلغ النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن بني المصطلق يؤذون المسلمين في الطريق ، ويعدون العدة والمدينة أرسل إليهم بريدة بن الحصيب الأسلمي ، ليطلع على أمرهم ، ولم يكن بريدة من الأوس أو الخزرج وإن التقى معهم في الجد ، لأن الخزرج الأوس أخوان وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء ، لذا فان بني المصطلق لا يشكون به ، وحينما وصل إليهم أظهر أنه جاء لإعانتهم خاصة وأنهم كانوا يجمعون الجنود من خارج قبيلتهم ، وكانت منهم طائفة حاضرة في معركة أحد ، وأدركوا خلالها أن ثلاثة آلاف رجل من المشركين عجزوا يومئذ عن تحقيق النصر وهذا الإدراك من مصاديق قوله تعالى ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾^(١).

وسموا بني المصطلق نسبة إلى جدهم المصطلق وهو جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر ماء السماء من خزاعة ، ويلاحظ ذكر الآباء البعيدين والارتفاع بذكرهم وضبط أسمائهم وفيه دليل على حرص العرب على الحفاظ على نسبهم والتفاخر بالآباء .

وبقي بريدة بين ظهрани بني المصطلق أياماً ، وتأكد من سوء قصدهم ، ورآى رئيسهم الحارث بن أبي ضرار ينظم صفوفهم ، ويسعى في توفير

الأسلحة والمؤن لهم ، فعاد إلى المدينة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأمر ، ولم يقم بريدة بقتل الحارث ليقطع دابر الفتنة لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسله ليستطلع أمرهم ، ومعرفة ما إذا كانوا يريدون الهجوم على المدينة ، ولتأتي النتائج بالمعجزة المتعددة ، وندب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه للخروج معه ، فخرج سبعمائة منهم ثلاثون فارساً ، وتوجهوا معه إلى بني المصطلق ، ولأن دعوة الإسلام قد بلغت بني المصطلق سواء قبل الهجرة بقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم معهم في موسم الحج وأيام السنة الأخرى أو بعدها ، كما أنهم حضروا معركة أحد مع المشركين .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينادي بين الصفين (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ليكون من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إتخاذه ميدان المعركة مناسبة للدعوة للتوحيد، والنداء بنبذ عبادة الأصنام والزجر عن الظلم والتعدي مع النهي عن محاربة كل من :
الأول : النبوة .

الثاني : شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .
الثالث : التنزيل ، فمن أسرار نزول القرآن نجوماً دعوة الناس للتصديق به ، والإصغاء لما ينزل منه تباعاً والتدبر في معانيه ، وعدم الحيلولة دون نزوله .

الرابع : المؤمنون من المهاجرين والأنصار .
ولأن بني المصطلق ممن بلغتهم الدعوة وقابلوها بالإصرار على الكفر والإشتراك في الهجوم على المدينة في معركة أحد فقد إختار النبي صلى الله عليه وآله وسلم السير ليلاً ، والإقامة في النهار في الموضع الذي يصلون إليه ،
لأمر :

الأول : مباغطة القوم ليكون من معاني قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (الحرب خدعة) ^(١) ، إتخاذ الخدعة وسيلة لحقن الدماء ، ومنع حدوث

القتال والمبارزة ، وفي حصار المشركين لمدينة في معركة الخندق جاء (نعيم بن مسعود بن عامر بن (أنيف) بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن حلاوة بن أشجع بن زيد بن غطفان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله إنني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة .

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية ، فقال لهم : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إن قريشاً وغطفان جاءوا لحرب محمد ، وقد ظاهروهم عليه ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا (كهيتكم) ، البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا عنه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره ، وإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ، والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا القوم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى تنجزوه ، فقالوا : لقد أشرت برأي ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : يا معشر قريش قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمداً ،

وقد بلغني أمر رأيت أن حقاً عليّ أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتبوا عليّ. قالوا : نفعل.

قال : تعلمون أن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا في ما بينهم وبين محمد،

وقد أرسلوا إليه،

أن قد ندمنا على ما فعلنا،

فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وخطفان رجلاً من أشرافهم (فنعطيكهم) فتضرب أعناقهم،

ثم نكون معك على من بقي منهم؟

فأرسل إليهم أن نعم،

فإن بعث إليكم اليهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا

إليهم منكم رجلاً واحداً،

ثم خرج حتى أتى خطفان فقال : يا معشر خطفان أنتم أصلي وعشيرتي

وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني،

قالوا : صدقت،

قال : فاكتبوا عليّ قالوا : نفعل،

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم،

فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس،

وكان مما صنع الله برسوله،

أرسل أبو سفيان ورؤوس خطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل

في نفر من قريش وخطفان،

فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام،

قد هلك الخف والحافر،

فاغدوا للقتال حتى تناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه.

فأرسلوا إليهم : إن اليوم السبت،

وهو يوم لا يعمل فيه شيئاً،

وكان قد أحدث بعضنا فيه حدثاً فأصابه ما لم يخفَ عليكم ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نأجز محمداً،
فإننا نخشى إن (ضركم) الحرب واشتدّ عليكم القتال تسيروا إلى بلادكم،

وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد.
فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة،
قالت قريش وغطفان : تعلمون والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق،

فأرسلوا إلى بني قريظة،
إنّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا،
فإن كنتم تريدون القتال،
فاخرجوا فقاتلوا.
فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق،

ما يريد القوم إلا أن تقاتلوا،
فإن وجدوا فرصة انتهزوها،
وإن كان غير ذلك إنشمروا إلى بلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم،

فأرسلوا إلى قريش وإلى غطفان : إنّا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً،

فأبوا عليهم وخذل الله بينهم،
وبعث الله تعالى عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد،
حتى انصرفوا راجعين والحمد لله رب العالمين. (١).

الثاني : منع وقوع الخسائر والقتل من الطرفين .

الثالث : بيان سلطنة الإسلام في المدينة وخارجها ، وعدم وصول أخبار تقدم وزحف جيش الإسلام إلى بني المصطلق ، مع وجود القرى في الطريق بين المدينة وبني المصطلق خاصة مع طول المسافة بينهما ، ووجود المسافرين والركبان في طرق السفر بين مكة والشام ، وبين المدينة والشام ، وبين ذات القبال التي في الطريق .

الرابع : تجلي مصداق الهمة العالية عند المسلمين والضبط عندهم ، وانصياعهم لأوامر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

فمن رحمة الله في المقام واستجابة الصحابة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الخروج والإنضباط في الطريق ، تنجز الغايات التي خرجوا من أجلها مع ندرة القتل أو الجراحات .

فمن معاني الآية أعلاه نزول الرحمة على المسلمين حالما يطيعون الله ورسوله إلى جانب عظيم الثواب والأجر ، والنفع الأخروي .

الخامس : إختيار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الطريقة المثلى في العمل العسكري للجمع بين جهات :

الأولى : درء الفتنة ، وكان بعض المسلمين بقوا بين ظهرائي الكفار ، وعجزوا عن الهجرة أو حيل بينهم وبينها ، وعن ابن عباس (قال : كان قوم من أهل مكة اسلموا ، وكانوا يستخفون بالإسلام ، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر ، فأصيب بعضهم وقتل بعض ، فقال المسلمون : قد كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكروها فاستغفروا لهم ، فنزلت هذه الآية { إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم } إلى آخر الآية . قال : فكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين بهذه الآية وأنه لا عذر لهم فخرجوا ، فلحقهم المشركون فاعطوهم الفتنة ، فأنزلت فيهم هذه الآية { ومن الناس من يقول

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٩٩/١١ .

آمنا بالله فإذا أودى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله {^(١) إلى آخر الآية . فكتب المسلمون إليهم بذلك ، فحزنوا وأيسوا من كل خير ، فنزلت فيهم } ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم {^(٢) .

فكتبوا إليهم بذلك أن الله قد جعل لكم مخرجاً فخرجوا ، فخرجوا فأدرتهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من قتل {^(٣) .

الثانية : حقن الدماء ، قال تعالى ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(٤) (عن أبي موسى الأشعري قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الساعة وأنا شاهد فقال لا يعلمها إلا الله ولا يجليها لوقتها إلا هو ، ولكن سأخبركم بمشاريطها ما بين يديها من الفتن والهرج . فقال رجل : وما الهرج يا رسول الله؟ قال : بلسان الحبشة القتل ، وأن تجف قلوب الناس ، ويلقي بينهم التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحداً ، ويرفع ذو الحجا ويبقى رجراجة من الناس ، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً)^(٥) وعنه قال (حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَهَرَجًا . قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْهَرَجُ قَالَ الْقَتْلُ . فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ . فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ .

(١) سورة العنكبوت ١٠.

(٢) سورة النحل ١١٠.

(٣) الدر المنثور ٣/٢١٣ .

(٤) سورة المائدة ٣٢ .

(٥) الدر المنثور ٤/٣٨٣ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- لَا تُنَزِعْ عُقُولَ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَيَخْلَفْ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ . ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَرِيُّ وَائِمُ اللَّهِ إِنِّي لِأُظَنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ وَائِمُ اللَّهِ مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ إِنْ أَدْرَكْتَنَا فِيمَا عَهْدَ إِلَيْنَا نَبِيْنَا -صلى الله عليه وسلم- إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا^(١).

الثالثة : دعوة الناس للإسلام بسبب الخروج في الكتاب.

الرابعة : الفوز بالثواب العظيم ، قال تعالى ﴿وَلَا يَنْفَقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا

كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

السادس : تنمية ملكة السعي الجاد عند المسلمين وإتخاذها بلغة لنشر

السلام ، ومنع المشركين من الهجوم والغزو ، وعن الإمام علي عليه السلام قال : والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها ، ولقد قال لي قائل : ألا تنبذها عنك ؟

فقلت : اعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى^(٣).

والمراد من السرى : السير عامة الليل ، والمراد من (عند الصباح يحمد القوم السرى)^(٤) ان الذي يسير عامة الليل يستبشر عند الصباح بما قطعه من المسافة ، وأنه لو بقى نائماً في موضعه لما وصل إلى هذا الموضع ، ويذكره العرب مثلاً لمن بذل الوسع ، وتحمل المشقة العاجلة بغية الراحة والنفع فيما بعد ، والشواهد عليه في كل مجتمع لكثيرة فتجد اثنين أو أكثر يبدأ كل واحد منهم بذات العمل أو المشروع أو الدراسة ، ويفوز الذي يجد ويجتهد في تحقيق غايات .

وحينما أراد المشركون الزحف نحو المدينة في معركة أحد كانت أخبارهم تصل إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من العيون التي بثها ومن

(١) سنن ابن ماجه ١٢/١٠٣.

(٢) سورة التوبة ١٢١.

(٣) البحار ٤١/١٦٠.

(٤) البحار ٤١/١٦٠.

قبل عامة الناس ، سواء من جهة إستعدادهم للمعركة أو الموضع الذي يصلون إليه.

أما مسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه إلى ديار بني المصطلق فلم يبلغهم ولم يعلموا به ، وإن قلت هناك المنافقون في المدينة ، فهل قاموا بارسال أخبار إلى بني المصطلق عن تقدم وخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه نحوهم .

الجواب كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج في كتيبة يوري في القصد ولا يصرح بالجهة التي يقصدها التي يريدتها لإرادة مباغته العدو ، والسلامة لأصحابه والناس باستثناء خروجه إلى تبوك لطول المسافة ، والمشقة وكثرة وشدة الذي يتوجهون إليه ، لذا فإن المنافقين في المدينة لم يعلموا بالجهة التي توجه لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأنها بنو المصطلق .

وكان عدد من المنافقين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خرجوا في هذه الكتيبة منهم عبد الله بن أبي سلول ، نعم لو علموا بالقصد من الكتيبة وسط الطريق فانه لا يضر في بلوغ الغايات ، ومن المنافقين كان خروجه في هذه الكتيبة للمرة الأولى ، فلم يخرج قبلها .

وأختار النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم الوصول إليهم في أوان هم فيه غارون أي غافلون (ويقال : أغر من ظبي مقمر ، لأنه يخرج في الليلة القمرية يرى أنه النهار فتأكله السباع . واغتره الأمر : أتاه على غر . قال :

إذا اغتره بين الأحبة لم تكن ... له فزعة إلا الهوارج تخدر أي تجلج . ولم يزل يطلب غرته حتى صادفها ، وأصاب منه غرة فبطش به^(١) .

ومن خصائص هذه الكتيبة أنها جاءت سريعة وقليلة الأضرار ، ولكن منافعها كثيرة منها :

(١) أساس البلاغة ١/ ٣٣ .

الأول : بعث الفزع والخوف في قلوب الذين كفروا قال الواحدي (أي الخوف من أوليائي) ^(١) ولكن المعنى أعم ، فذات الرعب يستجيب لأمر الله وينفذ إلى قلوب الذين كفروا ، ويستقر فيها ، ويكون حاضراً في متندياتهم لمنعهم من المناجاة بالهجوم على المدينة والبطش وسفك الدماء .

الثاني : سلامة المدينة من غزو القبائل المتحالفة مع قريش .

الثالث : كشف وفضح المنافقين ، ومن معاني قوله تعالى ﴿لَنْ لَمْ يَنْتَهُ الْمُتَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(٢) قيام المنافقين بإشاعة أخبار كاذبة عن سرايا وكتائب النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون : هزموا وقتلوا وانكسروا ، وقتل فلان وفلان .

فلم يستطع المنافقون إشاعة مثل هذه الأخبار بخصوص كتيبة بني المصطلق ، فلجأ رأس النفاق إلى الفتنة ، وفي رواية ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر (بالأسارى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة بن الحصيب وأمر بالغنائم فجمعت واستعمل عليها شقران مولاه وجمع الذرية ناحية واستعمل على قسم الخمس وسهمان المسلمين محمية بن جزء الزبيدي ، وكان الابل ألفي بغير والشاء خمسة آلاف شاة وكان السبى مائتي بيت .

وقال غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المدينة ثمانيا وعشرين ليلة وقدم المدينة لهلال رمضان .

رجع إلى ابن اسحق : قال وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف

(١) الواحدي / الوجيز ٢٦١/١ .

(٢) سورة الأحزاب ٦٠ .

ابن عامر بن ليث بن بكر يقال له هشام بن صبابه أصابه رجل من الانصار من رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ فبينما الناس على ذلك

الماء وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه ابن مسعود يقود فرسه فازدحم جهجاه وسانان بن وبر الجهنى حليف بنى عوف ابن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر الانصار وصرخ الجهجاه يا معشر المهاجرين فغضب عبد الله بن أبى بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد ابن أرقم غلام حدث فقال (أوقد فعلوها ، قد نافرؤنا وكأثرونا في بلادنا ، واللّه ما أعدنا وجلايب قریش إلّا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك ، أما واللّه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل) ^(١) ثم أقبل على من حضره من قومه .

فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عدوه فأخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال مر به عباد بن بشر فليقتله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يا عمر إذا تحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه قال لا ولكن أذن بالرحيل وفى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس .

وقد مشى عبد الله بن أبى بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمعته منه فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به وكان في قومه شريفا عظيما فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الانصار من أصحابه يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل حدبا على ابن أبى

ودفعا عنه فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسار لقيه أسيد ابن الحضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه .

وقال: يا نبي الله والله لقد رحت في ساعة منكرا ما كنت تروح في مثلها فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال أي صاحب يا رسول الله ؟ قال عبد الله بن أبي قال وما قال ؟ قال

زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الاعز منها الاذل.
قال فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت هو والله الدليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى أنك قد استلبته ملكه، ثم متن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى أذته الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالامس من حديث عبد الله بن أبي .

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالناس وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فوق النقيع يقال له نقعا فلما راح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالناس هبت على الناس ريح شديدة أذتهم وتخوفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تخافوها فانها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار^(١).

الرابع : تجلي معجزات للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الخامس : إزدياد أواصر الأخوة بين الصحابة .

السادس : تأكيد قانون لم يغز النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحداً .
فان قلت قد توجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم صوب بني المصطلق ، والجواب جاء هذا التوجه لمنعهم من الغزو من غير أن يفشي فيهم القتل .

ترى ماذا لو قام بنو المصطلق بغزو المدينة ، الجواب على وجوه :
الأول : كثرة القتلى من المسلمين ومن بني المصطلق .

الثاني : اشغال المؤمنين عن الذكر وأداء الصلاة والفرائض .

الثالث : تحريض القبائل الأخرى على غزو المدينة .

الرابع : بذل قریش الأموال وتحشيد الجيوش للإجهاز على المدينة ، وهم يدركون قانوناً وهو أن كثرة المعارك إنهاك للجنود وباعث للملل في نفوسهم فارادت قریش أن تستريح عن القتال بعد معركة أحد مع بقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه منشغلين بالمعارك .

الخامس : سعي المنافقين الحثيث في بث أسباب الفشل والقنوط والنكوص بين صفوف المسلمين .

ولما أمر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بريدة أن يذهب إلى بني المصطلق ويعلم حالهم ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول^(١) ، أي أن يظهر النصرة لبني المصطلق ، ويقول في النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعريضاً لإظهار ولاءه ونصرته للمشركين تورية فاذن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا القول والإذن هو غير قول عمار بن يسار حينما أكرهه مشركو قریش .

إذ ورد عن محمد بن عمار قال (أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر آلهتهم . بخير ، ثم تركوه فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : شر ، ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال : كيف تجد قلبك؟ قال : مطمئن بالإيمان . قال : إن عادوا فعد . فنزلت { إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان } (٢) .

وعن ابن عباس أنه قال (نزلت هذه الآية في عمار وذلك،

(١) سبل الهدى ٢٤٤/٤ .

(٢) الدر المنثور ١٧٢/٦ .

أن المشركين أخذوه وأباه ياسر وأمه سمية ، وصهيباً ، وبلالاً ، وخباباً ،
وسالماً فعذبوهم ،

فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجيء قلبها بحربة ،
وقيل : لما أسلمت من بين الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر ،
وهما أول قتيلين في الاسلام رحمة الله ورضوانه عليهما ،
وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً .

قال قتادة : أخذ بنو المغيرة عماراً وغطوه في بئر مصون وقالوا له : أكفر
بمحمد (ولم يتعمد) ذلك وقلبه كان مطمئناً فأخبر رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بأن عماراً كفر . فقال : كلا إن عماراً ملئء إيماناً من قرنه إلى
قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه .

فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكي ،
فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح عينيه ،
وقال : مالك إن عادوا لك فعدلهم بما قلت .
فأنزل الله هذه الآية .

وقال مجاهد : نزلت هذه الآية في ناس من أهل مكة آمنوا ،
فكتب إليهم بعض أصحاب محمد : إن هاجروا إلينا فإننا (لا نرى أنكم)
منّا حتى تهاجروا إلينا ،

فخرجوا يريدون المدينة فأدركهم قريش بالطريق ففتنوهم فكفروا
كارهين .^(١) فلم يأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالانتقام ممن قتلوا
سمية ولم يطلب من عمار أن يجادلهم إنما أمره بالتقية ، مما يدل على أنه لا
يريد الغزو والقتال ، وأنه يحارب الإرهاب بالصبر الشخصي ، وحث
المسلمين على التحمل والصبر في جنب الله ، قال تعالى ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ

الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةَ اللَّهِ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ^(١).

ولم يرد لفظ ﴿تَتَّقُوا مِنْهُمْ﴾ في القرآن إلا مرة واحدة في الآية أعلاه ، وهل يدل على بشارة السلامة من التقية ، والتخلص منها مع ظهور دولة الإسلام ، الجواب لا دليل عليه ، والأصل هو استدامة الحكم القرآني ، قال تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

ترى لماذا أذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبريدة أن يقول ما يخفي معه اسلامه بصيغة التورية ، الجواب لكشف نوايا بني المصطلق ، ومنع حدوث قتال بينهم وبين المسلمين ، وهذا الإذن من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) في الرد على الملائكة حينما احتجوا على جعل الإنسان ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤) لأنه يفسد في الأرض ويسفك الدماء. فمن علم الله عز وجل أنه سبحانه يأمر النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أن يأذن لبريدة بأن يتظاهر بالنصرة للمشركين لمنع هجومهم على المدينة ، إذ أن هذا الهجوم لو حصل فانه فساد ، وفيه سفك للدماء ، وحتى لو لم يهجموا على المدينة فان بقاءهم في مستقع الكفر بذاته فساد ، ومع أن النبي محمداً يعلم بأن بني المصطلق كفار وشاركوا في الهجوم على المدينة في معركة أحد .

إذ قُتل فيها سبعون شهيداً ، واردوا قتل النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فانه لم يغزهم ولم يطلب الثأر والانتقام منهم ، ولكن جاءت الأخبار بتحشيدهم الجيوش للهجوم على المدينة .

(١) سورة آل عمران ٢٨.

(٢) سورة الحشر ٧.

(٣) سورة البقرة ٣٠.

(٤) سورة البقرة ٣٠.

وحرص بريدة على أن يكتم أمره، والجهة التي يتوجه إليها ، حينما وصل إلى ديار بني المصطلق بادر للذهاب إلى مائهم ليشرب من الماء ، وترتوي ناقته ، ويطلع على الأخبار ، إذ أن الناس رجالاً ونساء كانوا يجتمعون على الماء ، ويتبادلون أطراف الحديث أثناء التناوب والتعاقب في سحب الماء بالدلو من البئر ، وفي قصة موسى عليه السلام حينما وصل ماء مدين ووجد امرأتين على الناء قال ﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾^(١) ، أي لا تقدر على مزاحمة الرجال ، فنصبر حتى انصرفهم ونأخذ من الماء فضلهم ، واعتذرتا عن خروجهما بسبب كبر سن أبيهما وأنه لا يستطيع القيام بسقي ماشيته بنفسه.

لقد لاحظ بريدة أن القوم قد تألبوا وتحمسوا لغزو المدينة ، ولم يكونوا بالكثرة والخطر الذي يهدد المسلمين ، لقد استغرب بريدة إندفاعهم وغرورهم مع أنهم سمعوا بنصر الله للمسلمين في معركة بدر ، وهزيمة نحو ألف من المشركين يومئذ وأسر المسلمين لسبعين منهم ، وسقوط سبعين آخرين قتلى ، كما أن كثيراً منهم حضروا معركة أحد ورأوا كيف انسحب ثلاثة آلاف من المشركين يومئذ من غير أن يحققوا أي غاية من غاياتهم الخبيثة التي جاءوا من أجلها ، إذ عجل أبو سفيان بالانسحاب من معركة أحد ، واكتفى بالوعيد .

(عن مجاهد : في قوله ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾^(٢) ، قال : هذا أبو سفيان قال لمحمد يوم أحد : موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا . فقال محمد صلى الله عليه وسلم : عسى . فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدرأ فوافوا السوق فابتاعوا ، فذلك

(١) سورة القصص ٢٣.

(٢) سورة آل عمران ١٧٣.

قوله ﴿فَاتَّخَذُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَنْسَهُمْ سُوءُ﴾^(١)، وهي غزوة بدر الصغرى^(٢).

وقد بلغتهم معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصلت إلى أسماعهم الآيات القرآنية وأدركوا طوعاً وقهراً دلائل الإعجاز فيها . فذهب بريدة إلى رئيسهم الحارث بن أبي ضرار ووجده مع جماعة من قومه ، فقالوا : من الرجل .

إذ رآوه غريباً ليس من قومهم ، فأجابهم بريدة : رجل منكم ، أي على ملتكم في الكفر ومحاربة الإسلام ثم أردف : قدمت لما بلغني عن جمعكم لهذا الرجل ، ويقصد النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأراد بكلامه هذا التأكيد والتوثق من عزمهم على الإغارة على المدينة المنورة وأنهم يقومون بجمع الجيوش منهم ومن غيرهم لغرض الغزو لقتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلو كان قصدهم إنحصار الجيش بقومهم خاصة لقالوا إنما الجمع خاص بنا ، وإذا لم ينو الهجوم والقتال لأنكروا قوله . ثم قال بريدة : فأسير في قومي ومن أطاعني ، فنكون يداً واحدة حتى نستأصله للتورية وإرادة مغادرتهم .

فأظهر لهم أن قومه يتبعونه ، وأنه يستطيع جمع غيرهم معهم ، ومن مصاديق الإذن الذي أخذه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول قوله أعلاه (حتى نستأصله) أي استئصال الجحود ، وإن كانت في التورية ظنوا أنها الدعوة إلى التوحيد ، وضياء النبوة في المدينة .

لقد فرح بنو المصطلق بالعرض الذي جاء به بريدة ، ولم يشكوا به لأنه ليس من أهل المدينة ، عندئذ تكلم رئيسهم (قال الحارث بن أبي ضرار: فنحن على ذلك، فعجل علينا)^(٣).

(١) سورة آل عمران ١٧٤.

(٢) الدر المنثور ٤٩٩/٢.

(٣) مغازي الواقدي ١٥٧/١.

ويلاحظ الضبط وقواعد الرئاسة عند القوم ، فقد سأله في البداية عن شخصه وأرادوا منه أن يعرف نفسه ، أما الإذن بالمشاركة معهم في الجيش فهو من مختصات الرئيس الذي بادر إلى إعطاء الإذن لأن ما نسمعه يشد العضد على ظنه ، وفي التنزيل ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(١).

لقد بين الحارث في كلامه مسائل :

الأولى : العزم والإصرار على غزوهم المدينة .

الثانية : اتباع قومه له ، إذ تكلم بصيغة الجمع ، وأنهم قصدوا الهجوم والغزو ، مما يدل على أنه لا بد أن يغزو بجيوش كثيرة ، وعد وجود معارضة يعتد بها لغزوهم المدينة المنورة .

الثالثة : تعيين ما يسمى في هذا الزمان ساعة الصفر للهجوم على المدينة .

الرابعة : الظاهر ان ضراراً متفق مع غيره من القبائل والجماعات في الهجوم على المدينة إذ أن مفهوم كلامه (فعجل علينا) أننا لا نستطيع التأخر والتباطئ في الهجوم وغزو المدينة ، وإن كان عدد قومك الذين يأتون معك كثيراً .

وبريدة من بني الأسلم وهو أسلم بن أفصى^(٢) ، جد جاهلي وهم أخوة لخزاعة ، وهناك من الصحابة من بني أسلم وهم :

الأول : مسلمة بن الأكوع .

الثاني : أبو برزة .

الثالث : ابن أبي أوفى .

الرابع : بريدة بن الحصيب .

وكانت ديارهم من مر الظهران إلى عسفان .

(١) سورة الأحقاف ٢٤ .

(٢) الإستيعاب في معرفة الاصحاب ٥٦/١ .

ورجع بريدة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأطلععه على الأمر وكيف أن بني المصطلق يعدون العدة لغزو المدينة ، وأنهم على عجلة من أمرهم.

ولم تذكر كتب السيرة كثرة سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبريدة أو طلب التفاصيل ، إنما أراد رسول الله إقامة الحجة ومنع الاختلاف ، وزجر المنافقين عن الإرجاف بخصوص الحاجة إلى هذه الكتيبة والخروج فيها من المدينة ، وما في هذا الخروج من تعطيل للأعمال واختلاف في نظام الحياة اليومية ، وترك الدعة .

ويأتي الإيمان لتكون له الحاكمية في لزوم الدفاع عن النفوس والدين والأموال حتى مع ترك الدعة ، أما الذين كفروا فانهم حتى وإن خرجوا للقتال فإن الملل والسأم يدب إلى نفوسهم ، وتجلت هذه الحقيقة في قصر مدة معارك الإسلام الأولى ، نعم في معركة بدر انهزم المشركون في بضع ساعات من نهار اليوم السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، ولكنهم في معركة أحد زحفوا بثلاثة آلاف رجل وهم ويتوعدون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه سنة كاملة من بعد هزيمتهم في معركة بدر ، ولما ﴿التَقَى الْجَمْعَانِ﴾^(١) يومئذ انهزم المشركون في أول المعركة ، ولكن الرماة المسلمين تركوا مواضعهم مع تأكيد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليهم بلزوم عدم تركها في أي حال من الأحوال ، فجاءت خيالة المشركين من خلفاء المسلمين ليسقط شهيداً منهم .

وعن أبي إسحاق (أن البراء بن عازب قال: جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الرماة يوم أحد، وكانوا خمسين رجلاً، عبد الله بن جبير، قال: ووضعهم موضعاً وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم.

قال: فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت أسواقهن وخلخلهن رافعات ثيابهن.

فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة، أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم، فما تنظرون؟ قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيبين من الغنيمة.

فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلاً، فأصابوا من سبعين رجلاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً.

فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ ثلاثاً، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحيوه.

ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة، أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب، أفي القوم ابن الخطاب؟

ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم. فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسوءك.

فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثله لم أمر بها ولم تسؤني.

ثم أخذ يرتجز: أعل هبل أعل هبل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا تحيونه؟ قالوا: يا رسول الله وما نقول؟

قال: قولوا: الله أعلى وأجل.

قال: إن العزى لنا ولا عزى لكم؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا تجيئونني ، قالوا: يا رسول الله ما نقول ؟

قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم^(١).

ومع هذا فإن المعركة لم تستمر أكثر من يوم ، وهل من موضوعية لإبتدائها بنصر المسلمين بعدم استمرارها أكثر من يوم واحد ، الجواب نعم ، ليكون قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ...﴾^(٢) من أسباب بعث الفرع والخوف في قلوب المشركين وتجلي مصداق عملي لهذا الخوف بأن يعجل جيش قريش بالانسحاب .

واكتفى أبو سفيان بالموعدة باللقاء في العام التالي ، وتعيين مكان هذا اللقاء في بدر إذ أشرف على جيش المسلمين ، ونادى بأعلى صوته (إِنَّ مَوْعِدَكُمْ بِذِرِّ الْعَامِ الْقَابِلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قُلْ نَعَمْ هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ)^(٣).

ويحتمل موضوع وعلة اختيار النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخروج إلى بني المصطلق والإستعجال بهذا الخروج وجوهاً :

الأول : إنه من سمات القائد .

الثاني : إنه من الحكمة .

الثالث : إنه من الوحي .

الرابع : الفرد الجامع للوجوه الثلاثة أعلاه ، فالقيادة في طول الوحي ولا تتعارض معه .

والمختار هو الوجه الثالث أعلاه ، وتترشح الحكمة عن الوحي ، كما أنه ينمي ملكة القيادة الحكيمة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال تعالى

(١) ابن كثير / السيرة النبوية ٤٩/٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٥٧ .

(٣) السيرة لابن هشام ٩٤/٢ .

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾^(١)

ليان مسألة وهي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكيم ويعلم الحكمة ويجعل المسلمين يرتقون في سلم المعارف ، فالوحي هو الفيصل في الاختيار ، ومن فيوضاته تلقى الصحابة ندب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم بالخروج بالقبول والرضا والاستجابة ، فسرعان ما اجتمع سبعمائة منهم وخرجوا معه ، وقيل ألف فتركوا حياة الدعة والأهل في المدينة ، وخرجوا إلى جبهة القتال .

وكل واحد منهم لا يعلم هل يعود إلى أهله أم لا ، فقد يموت في الطريق أو يتعرض لآفة أو يقتل في معركة ولكنهم اختاروا تلبية نداء النبوة ، والفوز بالأجر والثواب ، كما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾^(٢) .

ولكن المسلمين لم يترددوا بالخروج ، إنما خرجوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشوق ولهفة ورغبة لوجوه :

الأول : دفع كيد وضرر الذين كفروا .

الثاني : إرادة عز ورفعة الإسلام .

الثالث : سلامة الثغور وما حول المدينة المنورة .

الرابع : قهر الذين كفروا الذين أرادوا الهجوم على المدينة والمسلمين في عقر دارهم .

الخامس : إرادة العز والرفعة للمسلمين الذين بين ظهرائي الذين كفروا

، وهل فيه دعوة لهم للهجرة إلى المدينة ، الجواب نعم .

السادس : ترغيب الناس بدخول الإسلام لأمر :

(١) سورة البقرة ١٥١ .

(٢) سورة الحج ٥٨ .

الأول : توالي معجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

الثاني : موافقة مبادئ الإسلام لأحكام الفطرة .

الثالث : القبح الذاتي للكفر .

الرابع : نفرة النفوس من محاربة الإسلام .

(وكان شعار المسلمين يوم المصطلق يا منصور أمت أمت) ^(١).

واستعمل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة أبا ذر ، وقيل زيد بن حارثة ، وصحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه عائشة وأم سلمة زوجته وأعطى لواء المهاجرين لأبي بكر ، ولواء الأنصار لسعد بن عباد .

و يدل قرب ديارهم بالنسبة للمدينة على الخطر والتهديد الكبير الذي على أهلها وعلى الإسلام ، وكما سار لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الليل ، مع الكمن والتخفي في النهار ، فانهم يمكن أن يتبعوا ذات النهج والخطط في الهجوم على المدينة ، ولعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم علم بالوحي أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار كان ينوي ذات الفعل والمكيدة أو أن الله عز وجل يعلم بأن الحارث سيكون قصده ونيته هذه ، فأمر الله النبي باتباع ذات الكيفية لمداهمة المشركين ، وفيه معجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودعوة لهم لدخول الإسلام .

وهل هو من عمومات قوله تعالى ﴿فَنَنْتَهِ عَنْكُمْ فَاعْتَدُوا

عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ ^(٢) ، الجواب إنه أكبر وأظهر بفضل من الله لأن المشركين هموا بذات الخطط ، فباغتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم به

(١) أنظر الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ١٣٤/٢.

(٢) سورة البقرة ١٩٤.

لإلحاق الخزي والهزيمة بهم ، قال تعالى ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وتتصف كتيبة بني المصطلق بفريدة ومعجزة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم إذ من جهات :

الأولى : مباغته العدو الذي جمع الجموع للهجوم على المدينة.

الثانية : دخول قبيلة كاملة في الإسلام .

الثالثة : زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جويرة بنت الحارث رئيس القبيلة وهي الزوجة الثامنة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الرابعة : إطلاق وعتق جميع الأسرى وإعادة الغنائم لأهلها لأنهم صاروا أصهار النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الخامسة : وقوع حديث الإفك ، وتبرئة زوج النبي قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

السادسة : في هذه الكتيبة نزلت آية التيمم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا غَيْرِي سَبِيلَ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾^(٣).

(١) سورة الروم ٤٧.

(٢) سورة النور ١١.

(٣) سورة النساء ٤٣.

وقيل إنما نزلت الرخصة بالتييم عند عدم وجود الماء في كتيبة أخرى غير كتيبة بني المصطلق .

وتدل آية التيمم على عظيم شأن الصلاة وأنها لا تترك بحال وأن مقدماتها متعددة وعلى مراتب ، حتى تبلغ المسح بالتراب وهو أمر ميسور إلا في القليل النادر وهو فاقد الطهورين وكما نزل حكم التقصير في الصلاة عند الخوف ، فانه نزل جواز التيمم عند فقد الماء.

السابعة : نزول الرخصة بالعزل عن الزوجة بإذنها وعن أبي سعيد الخدري قال : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَأَصَبْنَا سَيِّئًا مِنْ سَبِي الْعَرَبِ فَاشْتَهَيْنَا النِّسَاءَ وَاشْتَدَّتْ عَلَيْنَا الْعَزُوبَةُ وَأَحْبَبْنَا الْفَدَاءَ فَأَرَدْنَا أَنْ نَعْزَلَ فَقُلْنَا : نَعْزَلُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا قَبْلَ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : مَا عَلَيْكُمْ أَلَّا تَفْعَلُوا ذَلِكَ مَا مِنْ نَسَمَةٍ كَائِنَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهِيَ كَائِنَةٌ^(١).

الآيات القرآنية التي نزلت بخصوص معركة بدر

وفيه وجوه :

الأول : أسباب المعركة .

الثاني : مقدمات هذه المعركة والقتال.

الثالث : المدد والعون من الله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها.

الرابع : الآيات التي تدعو المسلمين للشكر لله عز وجل على النعم في

تلك المعارك ، كما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢) .

إذ أختتمت الآية بنذب المسلمين إلى الشكر لله من وجوه :

الأول : تفضل الله بتوجيه الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .

(١) سنن البيهقي ١٨٤/٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٣ .

الثاني : بيان شكر الله عز وجل للمسلمين على الإيمان في ميدان المعركة مع ضعفهم وقلة أسلحتهم وشكر المسلمين لله عز وجل على هذا الشكر الذي لا يقدر عليه في أدائه وكيفيته وعظيم نفعه إلا الله ، ويمكن إنشاء قانون (شكر الله للمسلمين في يوم بدر) .

الثالث : إخبار الآية عن تفضل الله عز وجل بنصره للنبي والمسلمين .
الرابع : الشكر لله عز وجل لنسبته النصر إليه سبحانه ، وليس للملائكة أو الريح أو الآيات الكونية ، وفيه دعوة للعلماء لإنشاء قانون وهو (وجوه نصر الله يوم بدر وتأليف مجلدات بخصوص هذا القانون) .

الخامس : الشكر لله سبحانه على حضور نصره للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عند الحاجة والضرورة .

السادس : دلالة آية (بدر) على تنزه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه عن التعدي ، قال تعالى ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(١) .
فقد اجتمعت في هذا الشطر من الآية أعلاه الذي تكرر في سورة المائدة^(٢) مسألتان :

الأولى : نهى الله عن التعدي والظلم ، والمختار أنه العموم والخصوص المطلق ، وأن التعدي أعم ، فقد يكون ظلماً للنفس دون الغير ، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾^(٣) وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤) .

الثانية : الإخبار عن بغض الله للمعتدين ، ولا يجتمع البغض والنصرة ، فلا ينصر الله عز وجل إلا الذين يحبهم ويعظمون الشعائر ، ويحاربون الظلم والتعدي .

(١) سورة البقرة ١٩٠ .

(٢) سورة المائدة ٨٧ .

(٣) سورة الطلاق ١ .

(٤) سورة البقرة ٢٢٩ .

السابع : الشكر لله عز وجل على نزول وتحقيق النصر ، فلم تقل الآية سينصركم الله ، أو سوف ينصركم إنما أخبرت عن حدوث النصر ، وفيه مسائل :

الأولى : الزجر والنهي عن تحريف وقائع معركة بدر .

الثانية : منع المشركين من إنكار هزيمتهم .

الثالثة : دعوة المسلمين للإقرار بعظيم النعمة بتحقيق النصر .

وعندما عاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من معركة بدر لقيه عدد من المسلمين في الروحاء مستقبلين مهتئين بالنصر ، وشاكرين لله عز وجل على هذه النعمة .

(فقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش: ما الذي تهتئوننا به ؟ فوالله إن لقينا به إلا عجائز صلعا كالبدن المعقلة فنحرناها، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: " أي ابن أخي ؟

أولئك الملا، لو رأيتهم لبيتهم، ولو أمروك لاطعتهم، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته، وبئس القوم كانوا لنبيهم) ^(١).

والملا الأشراف والرؤساء والوجهاء ذوو الهيبة والشأن ، ليكون من مصاديق نصر الله عز وجل للمسلمين في معركة بدر إزاحة هيبة رجالات قريش عن نفوس الصحابة من المهاجرين والأنصار .

الرابعة : لقد وقف إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعض المهاجرين ممن كان أبوه أو أخوه مع جيش المشركين .

كما في الصحابي أبي حذيفة ، والذي هاجر إلى المدينة (ونزل أبو حذيفة بن عتبة وسالم مولى أبي حذيفة وعتبة بن غزوان على عباد بن بشر) ^(٢)، وقيل نزل العزاب في دار سعد بن خيثمة ، والأقرب الأول (إذ آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أبي حذيفة وعباد بن بشر) ^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٦٤/٤.

(٢) عيون الأثر ٢٣١/١.

(٣) أنظر عيون الأثر ٢٦٦/١.

وقد رأى أبو حذيفة أباه عتبة بن ربيعة ، وآخاه الوليد ، وعمه شيبة يقتلون في معركة بدر ، وعندما سحبت جثة عتبة إلى القليب نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (في وجه أبي حذيفة بن عتبة فإذا هو كئيب قد تغير لونه فقال: " يا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شئ ؟ " وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد مؤاساته ، وإن يسمع الصحابة ما يدل على إيمان أبي حذيفة .

فقال: لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجوه ، أحزنني ذلك .

فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخير وقال له خيرا. (١). ليكون من معاني نصر المسلمين في معركة بدر أن مدار الصلة والقربى على الإيمان وأن الله عز وجل عصم قلوب المؤمنين من الميل إلى الذين كفروا .

الثامن : إبتداء آية ﴿بَدْرُ﴾ بحرف العطف الواو ﴿وَلَقَدْ﴾ لبيان وجود نعمة من الله قد تقدم ذكرها قبل هذه الآية ، ولا ينخرم هذا المعنى بتعلق موضوع الآية السابقة بخصوص معركة أحد بقوله تعالى ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٢) إذ يفيد الجمع بينهما مسائل :

الأولى : صيرورة النصر في معركة بدر مقدمة لثبات الصحابة في معركة أحد ، ومن الإعجاز أن المسلمين يدخلون المعركة كرها ولكنهم يخرجون منها بمنعة وقوة إضافية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٤٥٣/٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٢٢ .

لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾.

الثانية : التوكل على الله طريق النصر ، وكذا فان النصر سبيل للتوكل على الله من غير أن يلزم الدور بينهما ، للتباين الجهتي وسعة الموضوع ، وأفراد العلة والسبب .

الثالثة : وجوب إمتناع المسلمين عن الفشل والجبن والخور ، ولقد تفضل الله عز وجل عليهم بالنصر وهم أذلة ، فمن باب الأولوية القطعية أن الله عز وجل ينصرهم في المعارك اللاحقة .

الرابعة : لزوم تجلي شكر المسلمين لله عز وجل على النصر في معركة بدر بالتوكل عليه في حال الحرب والسلام ، وفي أمور الحياة اليومية .

ومن الإعجاز في قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢) صيغة العموم وعدم إختصاصها بميدان القتال أو الذين يخرجون في الكتائب والسرايا والبعوث وتقدير الآية : وعلى الله فليتوكل المؤمنون والمؤمنات . وليس من حصر لوجوه وموارد التوكل على الله ، ومنها :

الأولى : وعلى الله فليتوكل المؤمنون في الدفاع .

الثانية : وعلى الله فليتوكل المؤمنون في أداء الفرائض والعبادات (عن ابن عباس في قوله : { ومن يتق الله يجعل له }^(٣) الآية ، قال : نزلت هذه في ابن لعوف بن مالك الأشجعي ، وكان المشركون أسروه وأوثقوه وأجاعوه .

فكتب إلى أبيه أن ائت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأعلمه ما أنا فيه من الضيق والشدة ، فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اكتب إليه وأخبره ومره

(١) سورة البقرة ٢١٦.

(٢) سورة آل عمران ١٢٢.

(٣) سورة آل عمران الطلاق ٢.

بالتقوى والتوكل على الله ، وأن يقول عند صباحه ومساءه { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم }^(١) { فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم }^(٢) .

فلما ورد عليه الكتاب قرأه فأطلق الله وثاقه ، فمر بواديهم التي ترعى فيه إبلهم وغنمهم فاستاقها فجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : إنني اغتلتهم بعد ما أطلق الله وثاقي فحلال هي أم حرام؟ قال : بل هي حلال إذا شئنا خمسنا ، فأنزل الله { ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب من يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء }^(٣) من الشدة والرخاء { قدراً { يعني أجلاً }^(٤) .

الثالثة : وعلى الله فليتوكل المؤمنون بالصبر والتحلي به في السراء والضراء بلحاظ كبرى كلية وهي أن الصبر أمر وجودي ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون في أمور الحياة اليومية وطلب الرزق .

التاسع : شكر المسلمين لله عز وجل على النصر في معركة بدر مع كونهم أذلة ومستضعفين ، ليكون من مصاديق الشكر في المقام استحضر المسلمين في كل زمان لضعفهم وقلة عددهم يومئذ .

العاشر : الشكر لله وسيلة لزيادة الإيمان وحسن التوكل على الله سبحانه .

(١) سورة التوبة ١٢٨ .

(٢) سورة الطلاق ٣ .

(٣) الدر المنثور ١٠/٣٤٠ .

(٤) الدر المنثور ١٠/٣٤٠ .

الحادي عشر: الغبطة والسرور والرضا بفضل الله ، فإذا كان الله عز وجل نصرهم وهم مستضعفون يوم بدر ، فمن باب الأولوية أنه سبحانه ينصرهم في المعارك اللاحقة لإرتفاعهم عن مرتبة الذل والضعف .

الثاني عشر: الشكر لله عز وجل بالتقوى والخشية منه سبحانه ، وتقدير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرْ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة فأخشوني بالإجتهد في طاعتي ، وهو من الشواهد على عزوف المسلمين عن الغزو .
وفي التنزيل ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(١).

أسماء المهاجرين على الحبشة

وظن المشركون أن المسلمين في بداية الدعوة يصبرون على أذاهم من أجل البقاء في مكة بلد البيت الحرام وموطن الصبا ، ولكن النبي صلى الله عليه وله وسلم رغبتهم بالهجرة إلى الحبشة.

(قال ابن إسحاق : فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَاقِبَةِ بِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ قَالَ لَهُمْ لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنْ بِهَا مَلَكٌ لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَهِيَ أَرْضٌ صَدَقَ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ وَفِرَارًا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِمْ فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ كَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ)^(٢).

(١) سورة الأنفطار ٦.

(٢) السيرة لابن هشام ٣٢١/١.

وكان طريق الهجرة إلى الحبشة ملئاً بالمخاطر الطبيعية والطارئة ، ومن الطارئة أن المشركين حالما علموا بأن المهاجرين غادروا إلى الحبشة بعثوا خلفهم من يعيدهم إلى مكة كرهاً ، ترى لماذا أرادوا إرجاعهم ، هذا ما نذكره في الجزء السابع والتسعين بعد المائة إن شاء الله .

ومن خرج إلى الحبشة في الفوج الأول كل من :
الأول : عثمان بن مظعون .

الثاني : رقية بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوجها عثمان بن عفان .

الثالث : الزبير بن العوام .

الرابع : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ، من بني عبد الدار ، وقد استشهد في معركة أحد ، وكان حاملاً للواء .

وقتل من الكفار عدد من أولاد عمه من بني عبد الدار حملة لواء المشركين بالتعاقب والتوالي ، وكأنه من إنتقام الله عز وجل لمصعب الشهيد ، وهم :

أولاً : طلحة بن أبي طلحة .

ثانياً : عثمان بن أبي طلحة .

ثالثاً : ابو سعيد بن أبي طلحة .

رابعاً : مسافع بن طلحة بن أبي طلحة .

خامساً : كلاب بن طلحة بن أبي طلحة .

سادساً : الجلاس بن أبي طلحة .

سابعاً : أرطاة بن شرحبيل بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن

قصي بن كلاب .

ثامناً : شريح بن قارظ ، ذكره ابن سعد .

كما ذكره ابن اسحاق في قتلى المشركين يوم أحد^(١) ثم حمل اللواء غلامهم صواب ، فقتل فهم جيش المشركين بالفرار فحملته امرأة منهم هي عمرة بن علقمة الحارثية .

لقد أصر بنو عبد الدار على طلب المبارزة ، وهو من الظلم للذات والغير فأراد الله عز وجل أن يرى الفريقان آية في نصرته النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فقتلوا جميعاً ، وهو من أسباب الخيبة التي أصابت جيش الذين كفروا ، وعجلوا بالرجوع والإنقلاب من ميدان المعركة في ذات اليوم الذي ابتدأت به .

(فصاح طلحة بن أبي طلحة صاحب اللواء من ييارز فبرز له علي بن أبي طالب عليه السلام فالتقيا بين الصفين .

فبدره علي فضربه على رأسه حتى فلق هامته فوق وهو كبش الكتبية فسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وأظهر التكبير وكبر المسلمون وشدوا على كتائب المشركين

يضربونهم حتى نغضت صفوفهم ثم حمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة أبو شيبة وهو أمام النسوة يرتجز ويقول ...

إن على أهل اللواء حقاً ... أن تخضب الصعدة أو تندقا .

وحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤثره وبدا سحره .

ثم رجع وهو يقول أنا ابن ساقى الحجيج ثم حمله أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فأدلع لسانه إدلاع الكلب فقتله .

ثم حمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله ثم حمله الحارث بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت فقتله .

ثم حملة كلاب بن طلحة بن أبي طلحة فقتله الزبير بن العوام ثم حملة الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله .
ثم حملة أرطاة بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب .
ثم حملة شريح بن قارظ فلسنا ندري من قتله ثم حملة صواب غلامهم وقال قائل قتله سعد بن أبي وقاص وقال قائل قتله علي بن أبي طالب وقال قائل قتله قزمان^(١) .

الخامس : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وهو أخو هند أم معاوية .
السادس : سهيلة بنت سهيل بن عمرو العامري ، وهي زوجة أبي حذيفة ، وقد أخى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين (عباد بن بشر بن وقش أخو بني عبد الأشهل)^(٢) .
كما حضر أبو حذيفة بدرأ ، وعلى فرض أنه قد هاجر إلى الحبشة فهذا يعني أنه عاد قبل المؤاخاة وقبل معركة بدر ، قال ابن هشام : وكان عليهم عثمان بن مظعون فيما ذكر لي .

وأنكر ذلك الزهري وقال: لم يكن لهم أمير.
فخرجوا متسللين سرا حتى أتوا الشيعية منهم الراكب ومنهم الماشي ، ووفق الله للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما بنصف دينار وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدا .

قالوا: وقدمنا أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه^(٣) .

ومن المهاجرين من رجع من الحبشة لما سمع بدخول قريش في الإسلام لقد (بلغ المسلمين الذين بأرض الحبشة ذلك وأن أهل مكة أسلموا حتى إن

(١) الطبقات الكبرى ٤١/٢ .

(٢) الرياض النضرة ١١/١ .

(٣) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٣٦٤/٢ .

الوليد بن المغيرة وأبا أحيحة قد سجدا خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال القوم: فمن بقي بمكة إذا أسلم هؤلاء .

وقالوا : عشائرننا أحب إلينا.

فخرجوا راجعين حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش وعن حالهم .

فقال الركب: ذكر محمد آلهم بخير فتابعه الملائكة ثم رجع فعاد لشتهم آلهم وعادوا له بالشر فتركناهم على ذلك.

فأثمر القوم بالرجوع إلى الحبشة ثم قالوا : قد بلغنا ندخل فننظر ما فيه قريش ويحدث عهدا من أراد بأهله ثم يرجع.

ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفيا إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيرا ثم رجع إلى أرض الحبشة وكانوا خرجوا في رجب سنة خمس فأقاموا شعبان ورمضان^(١).

ولما وصلوا إلى مشارف مكة علموا بأن هذا الخبر لا أصل له ، فصاروا على فرق :

الأولى : الذين رجعوا إلى الحبشة .

الثانية : الذين هاجروا إلى المدينة يثرب .

الثالثة : الذين دخلوا إلى مكة والتقوا النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوا منه الآيات والصور التي نزلت بعد هجرتهم .

وهم على شعب :

الأولى : الذين بقوا في مكة إلى حين .

الثانية : الذين تزودوا من أهليهم ثم هاجروا خوفاً على دينهم .

الثالثة : الذين تزودوا من جوار البيت الحرام والطواف ، ومن رؤية أهليهم ، وأخذوا متاع لهم ولأصحابهم ثم رجعوا إلى الحبشة .

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٢/٣٦٥ .

السابع : عبد الرحمن بن عوف ، وهو من بني زهرة أحوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الثامن : أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال ، وهو من بني مخزوم ، وأمه برة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو من السابقين إلى الإسلام (قال ابن إسحاق: أسلم بعد عشرة أنفس وكان أخا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة كما ثبت في الصحيحين وتزوج أم سلمة ثم صارت بعده إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان ابن عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمه برة بنت عبد المطلب وهو مشهور بكنيته أكثر من اسمه ومات بالمدينة بعد أن رجعوا من بدر كذا قال ابن منده وقال ابن إسحاق: بعد أحد وهو الصحيح. وروى ابن أبي عاصم في الأوائل من حديث ابن عباس: أول من يعطى كتابه يمينه أبو سلمة بن عبد الأسد وأول من يعطى كتابه بشماله أخوه سفيان بن عبد الأسد).^(١)

التاسع : أم سلمة ، هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، وهي زوجة أبي سلمة أعلاه ، وقد تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة أبي سلمة أثر جرح أصابه في معركة أحد.

العاشر : عامر بن ربيعة العنزي زوجته ليلى بنت أبي حثمة ، وعامر حليف للخطاب بن نفيل . وولد لعامر ولده (في سنة ست من الهجرة . وحفظ عنه وهو صغير وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربع سنين أو خمس سنين . وأمه وأم أخيه المتقدم ذكره ليلى بنت أبي حثمة بن غانم بن عبد الله بن عبيد ابن عويج بن عدي بن كعب . وأبوهما عامر بن ربيعة من كبار الصحابة حليف للخطاب بن نفيل . وعبد الله بن عامر هذا هو القاتل يرثي زيد بن عمر بن الخطاب وكان قتل في حرب كانت بين عدي بن كعب جناها بنو أبي جهيم بن أبي حذيفة وابن مطيع :

إن عديا ليلة البقيع ... تكشفوا عن رجل صريع

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ١٤٦/٢.

مقاتل في الحسب الرفيع ... أدركه شؤم بني مطيع (١).
الحادي عشر: عبد الله بن مسعود على قول أنه كان من المهاجرين.

الثاني عشر: سهيل بن بيضاء.

الثالث عشر: حاطب بن عمرو .

الرابع عشر: أبو سبرة بن أبي رهم ، وذكر أن مجموع المهاجرين الى الحبشة في الهجرة الأولى هو أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وكانت هجرتهم في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة النبوية (وروى الواقدي أن خروجهم إليها في رجب سنة خمس من البعثة، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب ، فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة) (٢).

ولم تدم الهجرة الأولى سوى سنتين ، إذ عاد أكثرهم إلى مكة ثم عاد عدد منهم إلى الحبشة عندما علموا بقاء قريش على الكفر.

وخرج فوج آخر من المسلمين مهاجراً إلى الحبشة وعددهم ثلاثة وثمانون رجلاً (ومن النساء ثمان عشرة امرأة فأقاموا عند النجاشي على أحسن حال فبلغ ذلك قريشاً فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة في جماعة ليكيدهم عند النجاشي فرد الله كيدهم في نحورهم فاشتد أذاهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحصره وأهل بيته في الشعب شعب أبي طالب ثلاث سنين وقيل سنتين) (٣).

منهم جعفر بن أبي طالب ، وأبو عبيدة الجراح ، وشرحيل بن حسنة ، وقد وثقت أيام الهجرة بالاحتجاج مع وفد قريش عند النجاشي وبالأخبار الشخصية والشعر الذي هو ديوان العرب ، ومنه قصيدة عبد الله بن الحارث السهمي ، وهو أحد المهاجرين ، فبعد أن أحس بالأمان وسلامة دينهم بجوار النجاشي ، وألفوا الغربية مع فراق الوطن والأهل ، صار عبد

(١) الإستيعاب ٢٨٣/١.

(٢) ابن كثير / السيرة النبوية ٣/٢.

(٣) زاد المعاد ٩٤/١.

الله بن الحارث يدعو إخوانه إلى الهجرة للنجاة من الإضطهاد مع إدراكه للحرمان من جوار البيت الحرام وأشرف بقعة.

يَا رَاكِبًا بَلَّغْنِي عَنِّي مُغْلَغَلَةً ... مَنْ كَانَ يَرْجُو بَلَاغَ اللَّهِ وَالَّذِينَ
كُلَّ أَمْرِي مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مُضْطَهَدٍ ... يَبْطِنُ مَكَّةَ مَقْهُورٍ وَمَفْتُونٍ
أَنَا وَجَدْنَا بِلَادَ اللَّهِ وَاسِعَةً ... تُنْجِي مِنَ الذَّلِّ وَالْمَخْزَاةِ وَالْهَوْنِ
فَلَا تُقِيمُوا عَلَى ذُلِّ الْحَيَاةِ وَخَزْ ... ي فِي النِّمَمَاتِ وَعَيْبِ غَيْرِ مَأْمُونٍ
إِنَّا تَبَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ وَاطَّرَحُوا ... قَوْلَ النَّبِيِّ وَعَالُوا فِي الْمَوَازِينِ
فَاجْعَلْ عَذَابَكَ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ بَغَوْا ... وَعَائِذَا بِكَ أَنْ يَغْلُوا فَيُطْغُونِي
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ أَيْضًا ، يَذْكُرُ نَفْيَ قُرَيْشٍ إِيَّاهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ
وَيُعَاتِبُ بَعْضَ قَوْمِهِ فِي ذَلِكَ :

أَبْتُ كِبْدِي لَا أَكْذِبُنَا قِتَالَهُمْ ... عَلَيَّ وَتَابَاهُ عَلَيَّ أَنَا مَلِي
وَكَيْفَ قِتَالِي مَعَشْرًا أَدْبُوكُمْ ... عَلَى الْحَقِّ أَنْ لَا تَأْشِبُوهُ بِأَطْلٍ
نَفْتَهُمْ عِبَادَ الْجَنِّ مِنْ حُرِّ أَرْضِهِمْ ... فَأَضْحُوا عَلَيَّ أَمْرٍ شَدِيدِ الْبَلَابِلِ
فَإِنْ تَكُ كَانَتْ فِي عَدِي أَمَانَةٌ ... عَدِي بْنِ سَعْدٍ عَنْ تَقَى ، أَوْ تَوَاصَلَ
فَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ ذَلِكَ فِيكُمْ ... بِحَمْدِ الَّذِي لَا يُطْبِي بِالْجَعَائِلِ
وَبَدَلْتُ شِبْلًا شِبْلَ كُلِّ خَيْثَةٍ ... بِذِي فَجَرٍ مَأْوَى الضَّعَافِ الْأَرَامِلِ^(١).

وتحتل هجرة طائفة من الصحابة الأوائل الى الحبشة بلحاظ آية البحث وجوهاً :

الأول : إنها من الضرب في الأرض ، و(عن ابن عمر قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمداً بن جثامة مبعثاً ، فلقاهم عامر بن الأضبط ، فحياهم بتحية الإسلام ، وكانت بينهم إحنة في الجاهلية ، فرماه محمداً بسهم فقتله ، فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء محمداً في بردين ، فجلس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فقال : لا غفر الله لك . فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه ، فما مضت به ساعة حتى

مات ودفنوه ، فلفظته الأرض ، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له فقال : إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم ، ثم طرحوه في جبل وألقوا عليه الحجارة ، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ...﴾ (الآية) (١).

الثاني : إنها من الغزو .

الثالث : إنها من الهجرة في سبيل الله .

والصحيح هو الثالث قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْبُوْتَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجَرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) ، لبيان قانون يخص المؤمنين وهو الضرب في الأرض مع سلامة في الدين والنفوس وتعظيم شعائر الله وليس للغزو ، أو طلب الدنيا.

وهل تأسس هذا القانون مع بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وإيذاء قريش له ولأهل بيته وأصحابه الجواب لا ، فهذه الهجرة متجددة في أيام الرسل ، بل كان يقع القتال والهجرة في الإصطلاح هي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام ، مثل هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من مكة إلى المدينة ، وبلحاظ صدق اسم الهجرة على خروج طائفة من الصحابة إلى الحبشة وغيرهم ممن إختار الخروج من مكة وأرض الكفر سواء في بلدة أو قرية يكون معنى الهجرة أخص ، ويتعلق بذات مغادرة أرض الكفر.

ولو غادر الكافر دار الإسلام فلا تسمى مغادرته هجرة ، ومن الآيات أن الذين غادروا المدينة لظهور الإسلام فيها كأبي عامر الفاسق ، لم يفلحوا في وجهتهم ، ومنهم من مات على الكفر وحال الغربة ، ومنهم من عاد ودخل الإسلام تائباً.

(١) الدر المنثور ٢٠١/٣.

(٢) سورة النحل ٤١.

قراءة في أسماء القرآن

هل أسماء القرآن بعرض واحد من حيث الموضوع والدلالة ، الجواب لا ، فمنها ما هو اسم علم اختص به القرآن كما في اسم القرآن إذ ورد في نحو خمسين موضعاً ، ومعناه في اللغة على وجوه :

الأول : القرآن مصدر قرأ يقرأ من القرآن والتلاوة ، فيكون من إطلاق المصدر وإرادة المفعول ، فالقرآن بمعنى المفعول أي المقروء والمتلو .

الثاني : مصدر قرأ أي جمع ، فهو مقروء بمعنى مجموع أو هو قارئ بمعنى جامع ، أي اسم فاعل ، قال تعالى ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ^(١) ، أي قراءته .

(وَقَرَأَ الشَّيْءَ : جَمَعَهُ وَضَمَّهُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَقَرَأْتُ الشَّيْءَ قُرْآنًا : جَمَعْتُهُ وَضَمَمْتُ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : مَا قَرَأْتُ هَذِهِ النَّاقَةَ سَلَا قُطٌّ وَمَا قَرَأْتُ جَنِينًا قُطٌّ أَي لَمْ تَضُمَّ رَحِمُهَا عَلَى وَلَدٍ قَالَ عَمْرُو بْنُ كُلثُومٍ : ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءُ بَكْرٍ ... هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا)^(٢) .

والقرآن هو كلام الله المعجز الذي أنزله الله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر ، السالم من المعارضة ، المتعبد بتلاوته والذي يبدأ بسورة الفاتحة ، ويختتم بسورة الناس .

وبقيد كلام الله يخرج الحديث القدسي والسنة النبوية ، وبقيد الذي أنزله على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لتخرج الكتب السماوية السابقة الأخرى .

وبقيد المكتوب في المصاحف لإفادة الحصر في سور وآيات القرآن وخروج القراءات الشاذة ومنسوخ التلاوة .

ولتأكيد قانون وهو سلامة القرآن من الزيادة أو النقصان ، وليبيان مسألة وهي الفصل بين القرآن والسنة ، ولم يرد لفظ الإعجاز في القرآن أو السنة

(١) سورة القيامة ١٧-١٨ .

(٢) تاج العروس ١/١٩٠ .

إنما المراد أن القرآن معجز للغير ، ويستقرأ من آيات القرآن ومنها ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١).

ويدل قيد المنقول بالتواتر على تلاوة ورواية النبي والصحابة له ثم التابعين ، ومن الآيات أن جيل التابعين غير منفصل عن الصحابة ، ولا هو متصل معه على نحو انتهاء عهد الصحابة وابتداء عهد التابعين ، إنما هناك تداخل بين الاثنين ، فقد صاحب التابعون الصحابة ، وسمعوا منهم ، وقضوا معهم سنوات وأخذوا منهم العلوم.

ويمكن تسمية التابعين بأنهم (صحابة الصحابة) وهذا مصطلح بياني جديد لبيان تواتر آيات القرآن وتوارث المسلمين لأسباب نزول آيات القرآن وأخبار السنة النبوية .

وسياتي ان شاء الله قانون (صحابة الصحابة).

ومن إعجاز القرآن أنه الإمام في منهاج سلوك المسلم ، والواقية من الشطط والظلم للذات والغير ، فمن إعجاز القرآن الغيري بعثه النفرة في النفوس من الظلم والتعدي ، وإذا كان بعضهم يأتي بسبب الظلم ، فإن الحجة والبرهان يفضحه ويأتي تعاقب الأيام ليبين قانوناً وهو بطلان وزيف أسباب الظلم والإرهاب.

ومن خصائص القرآن مجئ الأوامر والنواهي فيه بألفاظ فصيحة ، وبلاغة تسمو على كلام البشر ، وتتصف كلماته بأنها خفيفة على اللسان وحسنة الوقع على السمع ، وتأخذ بمجامع القلوب ، وفيه القوانين والقواعد والحقائق ، والقصص التي هي عبرة وموعظة .

ترى ما هي النسبة بين الأحسن في قوله تعالى ﴿نَحْنُ نُقْصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ

الْغَافِلِينَ»^(١)، وبين العبرة في قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ»^(٢)، الجواب هو العموم والخصوص المطلق ، فالأحسن أعم ، ومن الإعجاز في المقام دلالة التقييد في قوله تعالى ﴿قَصَصِهِمْ﴾ على الحصر ، أما الأحسن فهو مطلق .

وبقيد السالم من المعارضة لبيان عجز الخلائق إلى يوم القيامة عن الإتيان بمثله من جهات :

الأولى : كلمات القرآن .

الثانية : ترتيب الآيات وتقسيم القرآن إلى سور .

الثالثة : مضامين كل آية من القرآن .

الرابعة : دلالة كل آية من القرآن .

الخامسة : المعاني القدسية للجمع بين كل آيتين .

السادسة : الإسرار القدسية في كل فرائد القرآن .

السابعة : نزول القرآن نجوماً .

الثامنة : أسباب النزول .

التاسعة : ملائمة القرآن للوقائع والأحداث .

ومن الإعجاز في أسماء القرآن أنها شاهد على إجتناّب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغزو والهجوم على القبائل والمدن ، لقد كانت رسالته باعثاً للأمان في الأرض ، ولم تمر ثمان سنوات على الهجرة النبوية حتى أدى الناس حج البيت الحرام بأمان وإيمان وسلامة في الطريق ، ورأوا كيف أصبح البيت خالياً من الأصنام والأوثان ، وكيف أن مناسك الحج عادت كما أداها إبراهيم عليه السلام .

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا وَمَنَعَتِ الشَّامُ مَدْيَهَا وَدِينَارَهَا وَمَنَعَتِ مِصْرُ إِرْدَبَهَا

(١) سورة يوسف ٣.

(٢) سورة يوسف ١١١.

وَدِينَارَهَا وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعَدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ^(١).

ولعل هناك كلمة ساقطة في بداية الحديث لأنه يتكلم عن المستقبل مثلاً (إذا منعت ... مع حذف الواو في (وعدتكم)) والمختار أن من مراد النبي هذا الزمان بتقسيم بلاد المسلمين إلى دول مستقلة كل دولة تستقل بمواردها ، فلا يبعث أحد إلى المدينة ومركز البلاد زكاة أو خمساً أو خراجاً .

خاصة وأن الحديث سابق لزمان وضع القفيز والدرهم ضريبة على الأرض أيام عمر بن الخطاب ، وأسأل الله أن لا يكون تأويل (وعدتكم من حيث بدأتم) (نضوب ثروة النفط في الجزيرة .

وأسأله أن يتوجه إلى زيادة أعداد الحجيج ، وترغب الناس بالحج وإلغاء مسألة الحصص فيه أو مضاعفتها وما فيها من المنافع والموارد المالية ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(٢) واستدامة النعم عليهم في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبُشِّرِ الْمَصِيرُ﴾^(٣).

الأول : القفيز : مكيال يعادل نحو ستة عشر كيلو غرام .

الثاني : المدى : مكيال لأهل الشام ، ويسمى أيضاً الجريب .

الثالث : الإردب : مكيال يسع أربعة وعشرين صاعاً ، وكل صاع نحو

ثلاثة كيلو غرام ، أي يكون مقداره اثنين وسبعين كيلو غراماً .

في النيابة على المدينة

(١) صحيح مسلم ١٧٥/٨ .

(٢) سورة آل عمران ٩٦ .

(٣) سورة البقرة ١٢٦ .

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يخرج في كتيبة إلا ويستعمل أحد أصحابه على المدينة حتى لو كان خروجه لموضع قريب ، فمثلاً بينما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في المدينة يؤدون الصلوات الخمس في السنة الثانية للهجرة أغار كرز بن جابر الفهري ورجاله من قریش على سرح المدينة وإبل ومواشي أهلها التي كانت ترعى حولها ونهبوا بعضها .

فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخرج نحوهم ومعه مائتان من أصحابه فحالما جاءه خبرهم سارع إلى الخروج في طلبهم (وَأَسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ^(١)).

ووصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه الى واد يقال له (صفوان) من ناحية بدر ، وفاته كرز وأصحابه الذين سارعوا الى الهروب إلى مكة وتسمى بأسماء:

الأول : غزوة بدر الأولى ، لأن صفوان قرية من ماء بدر ، وسميت الأولى للفصل بينها وبين معركة بدر.

الثاني : غزوة صفوان .

الثالث : غزوة سفوان.

والمختار أنها ليست غزوة لغة وعرفاً واصطلاحاً ، إنما كان المشركون كرز وأصحابه هم الغزاة ، وقد تقدم الكلام في تسميتها^(٢) ، كتيبة بدر الأولى ، وهل يصح تسميتها (خروج النبي لدفع غزوة كرز بن جابر) .

الجواب نعم ، وهل يمكن الإستدلال على تعجيل كرز بدخول الإسلام كشاهد على ان المشركين هم الغزاة وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يغزوهم ، الجواب نعم.

وولاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم سرية في أثر العرينين الذين قتلوا راعي إبل الزكاة وساقوها.

(١) ابن هشام / السيرة النبوية ٦٠٠/١ .

(٢) أنظر الجزء الثالث والستين بعد المائة ص ٩١ من هذا السفر.

وأشهد كرز بن جابر القهري يوم فتح مكة في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة إذ أخطأ الطريق (وسار في غير طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقى المشركون فقتلوه رحمه الله. وذكر الطبري، عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق أن كرز ابن جابر وحبيش بن خالد الكعبي كانا في خيل خالد بن الوليد يوم فتح مكة فشذا عنه وسلكا طريقاً غير طريقه جميعاً، فقتل قبل كرز، فجعله كرز بين رجله ثم قاتل حتى قتل وهو يرتجز: قد علمت صفراء من بني فهر ... نقية الوجه نقية الصدر

لأضربن اليوم عن أبي صخر وكان حبيش يكنى أبا صخر^(١). ومن الآيات أن زيد بن حارثة الذي استخلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة يومئذ من المهاجرين ، ولم يظهر الأنصار وعموم أهل المدينة أي إعتراض أو إمتعاض ، إنما تلقوا الأمر بالقبول والرضا لأن استعمال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لزيد على المدينة من الوحي وسيأتي قانون نواب النبي (ص) على المدينة.

سبحان الذي يسمع كل صوت

الحمد لله على سماعه للدعاء والمسألة ، وهو سبحانه لا ينساها وإن نساها العبد ، والمتبادر من السمع هو تلقي آلة السمع الصوت ، وللسمع أطراف :

الأول : القائل .

الثاني : القول الصادر من القائل .

الثالث : تلقي السامع للصوت وتمييزه.

ومن مصاديق قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، إن سمع الله يختص بأمور :

(١) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٤٠٦/١.

(٢) سورة الشورى ١١.

الأول : يسمع الله عز وجل كل صوت يصدر من الخلائق ، وفي أي مكان أو موضع من السموات والأرض.

الثاني : وقسمت صفات الله بحسب علم الكلام إلى جهات .

الأولى : صفة نفسية .

الثانية : صفة سلبية .

الثالثة : صفة معنى .

الرابعة : صفة معنوية .

الخامسة : صفة فعلية تتعدى إلى المفعول مثل الإيجاد والخلق والإنشاء .

السادسة : صفة جامعة .

الثالث : من معاني السميع في صفات الله أنه مُسمع للخلائق ، فهو فاعل بمعنى مفعول ، مثل بشير بمعنى مبشر ، ونذير بمعنى منذر ، وبديع بمعنى مبدع.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في قوله تعالى { فاطر السماوات والأرض } ^(١) قال : بديع السموات والأرض.

وأخرج أبو عبيد في فضائله وابن جرير وابن الأنباري في الوقف والابتداء عن ابن عباس قال : كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال ، أحدهما : أنا فطرتها . يقول : أنا ابتدأتها ^(٢).

وفي (باب فاعل وفعل بمعنى ماء باضع وبضيع ، مثل ناجع ونجيع ، إذا كان مريئاً . ولون ناصع ونصيع .

وخابر وخبير .

وشاهد وشهيد .

وعالم وعليم .

وحازم وحزيم . قال الشاعر :

(١) سورة فاطر ١.

(٢) الدر المنثور ٤/٣٨.

وقد تزدري النفس الفتى وهو عاقل ... ويؤفن بعض القوم وهو حزيم
وقادر وقدير.

وماجد ومجيد.

ووعد ناجز ونجيز.

وقابض وقبيض في السرعة.

وناضر ونضير.

وسامر وسَمير.

وكافل وكفيل.

وضامن وضمين.

وزاعم وزعيم من السُودد والكفالة؛ وزعيم القوم: سيدهم، وزعيم
القوم: كفيلهم.

وعالن وعلين.

ورابط الجأش وربيط الجأش، إذا كان شجاعاً.

وجرن الأديم فهو جارد وجرين، إذا لان ومرن.

وكامن وكمين.

ومكان واجن ووجين: صلب شديد.

وماء آجن وأجين.

وراجل ورجيل، وهذا يختلف فيه يقال: مكان رجيل، إذا كان صلباً،

ورجل رجيل: قوي على المشي. قال الهذلي:

ويقضي حاجه الرجلُ الرجيلُ

وشاحم وشحيم، ولاحم ولحيم؛ وهذا يختلف فيه، يقولون: رجل

لاحم كما قالوا: تامر ولاين، وقالوا: رجل لحيم، إذا كان ضخماً.

وسامن وسمين.

وبقير، جمع البقر؛ وماعز ومعيز، وضائن وضئين.

وقافل وقفيل، إذا ييس.

وعاجل وعجيل.

وصامل وصَمِيل: يابس.
 وحامل وَحْمِيل في معنى كافل وكفيل.
 وصابر وصَبِير، والصَّبِير: الكفيل، ولا يقال في معنى صَبْر: صَبِير.
 وحاسر وحَسِير في معنى الإعياء.
 وسامق وسَمِيق من قولهم: نبت سامق: تامّ. وظهير، وهذا يُختلف فيه
 ربما كان الظهير المعين.
 وناصر ونَصِير.
 باب ما جاء من فَعِيل على مُفْعَل
 رجل مَعْرَق في الكرم والنسب وعَرِيق، أي له آباء كرام.
 ومؤَلِم وأَلِيم.
 وموجع ووجِيع.
 ومورِق وورِيق.
 ومُكْرَث وكَرِث من قولك: كرثني الأمر، إذا أثقلني، وقال أيضاً أمر
 كارث ومُكْرَث وكَرِث.
 ومُعْرَب وعَرِيب.
 ومجرم وجريم، وهو المذنب، وهذا يُختلف فيه فيقال: جريمة قومه، أي
 كاسبهم، ولا يقال: جريم من جارم.
 ومُرْطَب ورَطِيب.
 ومُسمِع وسمِيع. وأنشد:
 أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ^(١).
 الرابع: من معاني السميع صفة لله عز وجل أنه يسمع الشكوى فيصرف
 البلوى، ويستجيب للدعاء، وفي التنزيل ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
 وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(٢).

(١) أنظر جمهرة اللغة ٢/٢٠٧.

(٢) سورة النمل ٦٢.

لتكون النسبة بين السمع والاستجابة للأصوات في المقام هي العموم والخصوص المطلق ، فالسمع هنا أعم ، وهو من فضل الله .
ومن معاني السمع صفة لله عز وجل أنه يسمع المعصية أيضا ، وقد يتفضل برفعها ومغفرتها .

والقول القبيح يصدر من الإنسان فيمهلّه ، أو لا يؤاخذّه عليه ، أو يهديه إلى التوبة ، ويسمع القول من مقدمات الحرام فيحول دون ذات الحرام ، فالله هو السميع الذي يمنع الذي يأتي مقدمات الحرام من إتيانه .
الحمد لله الذي جعل كل مسلم ومسلمة يقولان سمع الله لمن حمده سبع عشرة مرة عند رفع الرأس من الركوع والإعتدال منه على نحو الوجوب عدا صلاة النافلة ، ومعناه على وجوه :

الأول : اللهم إنك تسمع من يحمّدك ليكون من معاني هذا القول التسليم والشهادة من كل مسلم ومسلمة بأن الله عز وجل يسمع الذي يشكره .

الثاني : إن الله يسمع من يحمده .

الثالث : إن الله يستجيب لمن حمده ، وهل يختص الأمر بالاستجابة ، الجواب لا ، إذ أن القول (سمع الله لمن حمده) أعم ويكون تقديره على وجوه أخرى منها :

الأول : رحم الله من حمده .

الثاني : الله لطيف بمن حمده .

الثالث : سمع الله لمن حمده يا أيها الناس احمّدوه سبحانه .

الرابع : سمع الله لمن حمده ومن شكره ومن أحبه وأطاعه .

الخامس : سمع الله لمن دعاه ، وفي التنزيل ﴿وَإِذَا سَأَلَ عِبَادِي عَنِّي

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(١).

السادس : يا أيها الناس سمع الله لمن حمده ، فبادروا إلى الحمد والشكر لله ، ففيه الأجر والثواب والمغفرة ، وفي التنزيل ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١).

السابع : الحمد لله الذي سمع من حمده .

الثامن : الحمد لله الذي جعلنا ممن يسمع حمدهم له .

التاسع : يا أيها الناس ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فهي مناسبة لحمد الله ، وبه تكرار كل مسلم ومسلمة و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في صلاة الفريضة والنافلة على أنهم مواظبون على الذكر والدعاء ، ورجاء فضل الله عليه السلام وأنهم لا يقصدون الغزو والقتال .

فان قلت هل هذه الوجوه على وجه الإنفراد ، وأن المقصود وجه واحد منها ، أم أنها جميعاً من مصاديق قول المصلي (سمع الله لمن حمده) وقول المأموم (ربنا ولك الحمد) الجواب هو الثاني ، وهو باب فتحه الله عز وجل للمؤمنين في صلاتهم وخشوعهم لله عز وجل ، قال تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٢) .

قانون سمع الله لمن حمده

الحمد لله بعدد ما سبج ويسبح ملائكة السماء إذ نرجو بقاء صدور الحمد لله منا وثوابه حتى بعد مغادرتها الدنيا .

فالملائكة لا ينامون لإنشغالهم بالتسبيح ، ليكون من رشحات ومنافع قوله تعالى بخصوص الملائكة ﴿يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٣) أي ليس

(١) سورة آل عمران ١٢٣.

(٢) سورة البقرة ٤٥.

(٣) سورة الأنبياء ٢٠.

من فترة أو انقطاع في تسييحهم ، ولا يشغلون عن التسييح ، ولا تدب إليهم الغفلة .

وهل تعني الآية أعلاه أنه ليس من عمل أو شغل للملائكة إلا التسييح ، الجواب لا ، إنما يجمعون بين التسييح وبين الأفعال الأخرى التي يأمرهم بها الله ، فالملائكة الذين نزلوا لنصرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يوم معركة بدر بقوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُبْدِّئُكُمْ بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ﴾^(١) ، لم يتركوا التسييح أثناء النزول وفي المعركة .

و(عن الحسن البصري في قوله : { يسبحون الليل والنهار لا يفترون }^(٢)) قال : جعلت أنفاسهم تسييحاً^(٣) .

ويحمل الكلام العربي على حقيقته إلا مع الدليل أو القرينة ، ولا مانع من الجمع في معاني تسييح الملائكة أن أنفاسهم تسييح وكذا أنهم يقومون بالتسييح والذكر .

إنما أصلح الله عز وجل الملائكة في الخلقة والإرادة بملازمة التسييح في كل الأحوال .

وعن (ابن عباس قال : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في المسجد خلق خلق ، فقال لنا : فيم أنتم؟

قلنا : نتفكر في الشمس كيف طلعت ، وكيف غربت؟ قال : أحسستم كونوا هكذا تفكروا في المخلوق ولا تفكروا في الخالق فإن الله خلق ما شاء لما شاء وتعجبون من ذلك إن من وراء (ق) سبع بحار كل بحر خمسمائة عام.

(١) سورة الأنفال ٩.

(٢) سورة الأنبياء ٢٠.

(٣) الدر المنثور ٥٢/٧.

ومن وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورها لأهلها ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة خلقوا على أمثال الطير هو وفرخه في الهواء ، لا يفترون عن تسيحة واحدة .

ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة خلقوا من ريح ، طعامهم ريح ، وشرابهم ريح ، وثيابهم من ريح ، وأنيتهم من ريح ، ودوابهم من ريح ، لا تستقرحوا فردوا بهم إلى الأرض إلى قيام الساعة ، أعينهم في صدورهم ينام أحدهم نومة واحدة ، يتنبه وعند رأسه رزقه .

ومن وراء ذلك ظل العرش ، وفي ظل العرش سبعون ألف أمة ما يعلمون أن الله خلق آدم ولا ولد آدم ولا إبليس ولا ولد إبليس ، وهو قوله تعالى { ويخلق ما لا تعلمون }^(١) ^(٢).

الحمد لله اللهم أن جعل الحياة الدنيا دار امتحان وإبتلاء فله الحمد في السراء والضراء ، واليسر والعسر والغبطة والإلتفات والغفلة ، وإتيان الحسنة وعدم ركوب المعصية ، فمن معاني قوله تعالى ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾^(٣) ما ورد (عن عبد الله بن عباس، قال: أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا محمد، استعذ. قال: "أستعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم" ثم قال: قل: بسم الله الرحمن الرحيم. ثم قال: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }^(٤).

قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بلسان جبريل)^(٥).

(١) سورة النحل ٨.

(٢) الدر المنثور ٩ / ٣٣٢.

(٣) سورة غافر ٥٦.

(٤) سورة العلق ١.

(٥) تفسير ابن كثير ١ / ١١٣ .

والإستعاذة مستحبة وهو مشهور علماء الإسلام ، ولكن ليس كما قال ابن سيرين (إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب) ^(١). إذ يدل القرآن على لزوم إتيان المسلم لإستعاذة على نحو متعدد لقول الناس ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ^(٢).

بالإضافة إلى تعاهد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإستعاذة في الصلاة وخارجها ، وحثه عليها وبيانها لمنافعها .

إن الله عز وجل يسمع عزم الإنسان على المعصية ، وتهيئة مقدماتها فيصرفه عنها ، أو يصرفها عنه ، ويدفع الوسائط ، وتكون الإستعاذة حصناً وواقية منها.

سكن هاجر وإسماعيل مكة بشارة النبوة

ورد في التنزيل حكاية عن إبراهيم ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ^(٣).

لقد نقل إبراهيم زوجه هاجر وابنها إسماعيل إلى مكة حيث لا ماء ولا زرع وفيه معجزة حسية وتحتمل وجوهاً :

الأول : إنها معجزة لإبراهيم.

الثاني : معجزة لإسماعيل لأنه أشرف على الهلاك أول أيامه في مكة فأنعم الله عليه وعلى أمه بيئر زمزم.

(١) تفسير ابن كثير ١/ ١١٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١١٣ .

(٣) سورة إبراهيم ٣٧ .

الثالث : إنها معجزة حسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم متقدمة على زمانه.

الجواب لا تعارض بين هذه الوجوه ، وتدل عليه صيغة الجمع ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

فصحيح أن الاثنين أقل الجمع ، ولكن الآية جاءت بصيغة الجمع لبيان عمارة المسلمين للبيت الحرام بالصلاة ، وميل الناس إلى الإسلام. وجاءت الآية بصيغة التبعيض ﴿أَفَذَّةً مِنَ النَّاسِ﴾^(١) وهذه الآية بشارة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن مجاهد قال : قال إبراهيم ﴿أَرَأَيْتَ إِنَّا مَنَّا سَكَنَّا﴾^(٢) ، فأتاه جبرائيل ، فأتى به البيت ، فقال : ارفع القواعد. فرفع القواعد وأتم البنيان ، ثم أخذ بيده فأخرجه فانطلق به إلى الصفا ، قال : هذا من شعائر الله. ثم انطلق به إلى المروة ، فقال : وهذا من شعائر الله؟.

ثم انطلق به نحو منى ، فلما كان من العقبة إذا إبليس قائم عند الشجرة ، فقال : كبر وارمه. فكبر ورماه.

ثم انطلق إبليس فقام عند الجمرة الوسطى ، فلما جاز به جبريل وإبراهيم قال له : كبر وارمه. فكبر ورماه. فذهب إبليس وكان الخبيث أراد أن يدخل في الحج شيئاً فلم يستطع ، فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به المشعر الحرام ، فقال : هذا المشعر الحرام. فأخذ بيد إبراهيم حتى أتى به عرفات. قال : قد عرفت ما أريتك؟ قالها : ثلاث مرار. قال : نعم.

وروي عن أبي مجلز وقتادة نحو ذلك. وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا حماد بن سلمة ، عن أبي العاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس ، قال : إن إبراهيم لما أرى أوامر المناسك ، عرض له الشيطان عند المسعى ،

(١) سورة إبراهيم ٣٧.

(٢) سورة البقرة ١٢٨.

فسابقه إبراهيم، ثم انطلق به جبريل حتى أتى به منى، فقال: منّاخ الناس هذا. فلما انتهى إلى جمرة العقبة تعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم أتى به الجمرة الوسطى، فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب، ثم أتى به الجمرة القصوى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، فأتى به جمعاً. فقال: هذا المشعر. ثم أتى به عرفة.

فقال: هذه عرفة. فقال له جبريل: أعرفت^(١).

وقد تضمن الجزء الرابع والتسعين بعد المائة من تفسيري للقرآن قانون مقدمات بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٢).

وعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين.

وأخرج أحمد وابن سعد والطبراني وابن مردويه والبيهقي عن أبي أمامة قال: قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك، قال: دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام^(٣). وقانون مصاديق البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها:

الأولى: بشارة الأنبياء بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأولهم آدم عليه السلام فلم يهبط إلى الأرض إلا وقد قرأ اسم النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند العرش فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن آدم لما اقترف الخطيئة بالأكل من الشجرة قال يارب بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي.

(١) تفسير ابن كثير ١/٤٤٣.

(٢) أنظر الجزء ١٩٤ ص ٣٤.

(٣) الدر المنثور ١/٢٦٨.

قال وكيف عرفت محمداً ، قال لأنك لما خلقتني بيدك ونفغت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضيف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك.
قال : صدقت يا آدم ولولا محمد لما خلقتك^(١).

الثانية : تهيئة الأنبياء السابقين مقدمات بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتدل بالدلالة التضمنية على البشارة بنبوته .

الثالثة : مجئ التوراة بالبشارة ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والإخبار عن حج البيت الحرام ، عابرين في وادي البكاء ، وفي الترجمة الانكليزية للكتاب المقدس في وادي (بكة) ، وهو من مصاديق قوله تعالى ﴿إِن أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(٢).

ليكون من مصاديق البركة في المقام ورود اسم (بكة) في الكتب السماوية السابقة ، وهل هو من الإستصحاب القهقري الجواب لا ، إنما هو من تجدد البشارة وشواهد التنزيل على أن البيت الحرام أول بيت أنشأ في الأرض .

وبيان قانون وهو أن أول بيت في الأرض انشأ من عند الله ، لذي له ﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣).

الرابع : إخبار عيسى عن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن قوانين النبوة أنه ما من رسول إلا وبشر بالرسول الذي يأتي من بعده ، ويقوم الأنبياء الذين يعملون بشريعة الرسول بتوارث ذات البشارة والتبليغ بها للتصديق

(١) الخصائص الكبرى للبيهقي ٦٠/١.

(٢) سورة آل عمران ٩٦.

(٣) سورة آل عمران ١٨٩.

به عند بعثته ، وفي التنزيل حكاية عن عيسى ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(١)،

وليس من ماء وزرع في مكة ، وسأل إبراهيم الثمرات وهو الذي حصل في هذا الزمان.

مع إقامة الصلاة في كل حال من الجوع والعطش.

وليس من بداية للاحتفال بالمولد النبوي ، وقد احتفلت به الدولة الفاطمية في مصر في القرن الخامس الهجري أيام المستعلي بالله ، وقال السيوطي أول من احتفل بالمولد بشكل كبير ومنهم هو حاكم أربل أي أربيل في شمال العراق الملك المظفر ابو سعيد بن بكتكين نحو سنة ستمائة للهجرة .

ولقد حدث علامات كونية متعددة يوم ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة ولي إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة منه ، وغيض بحيرة ساوة ، وخمود نار المجوس ، والرعب والإرباك الذي أصاب الشياطين.

وتقع مزدلفة بين منى وعرفة ، وهي داخل حدود الحرم المكي ، تبعد مزدلفة عن المسجد الحرام ١٢ كم تقريباً .

وهل المناسب حساب هذه المسافات بلحاظ البعد عن الكعبة الشريفة لأن المسجد الحرام في توسعة مستمرة والحمد لله ، الجواب نعم .

والجمرة الكبرى هي أقرب الجمرات إلى مكة .

والمسافة بين جمرة العقبة والوسطى ٢٢٥م والمسافة بين الوسطى والصغرى ١٣٥م وتكون الصغرى أبعدهن عن مكة ، وأقربهن إلى مزدلفة. وتقع الجمرات على خط مستقيم .

ويقع جبل عرفة ويسمى أيضاً جبل الرحمة شرقي عرفات ويتكون من حجارة صلدة سوداء كبيرة ، ونصب في أعلاه شاخص عمود حجري طوله سبعة أمتار .

ويسمى (علم عرفة) وذكر المقدسي البشاري المتوفى سنة ٣٨٠ هجرية وجود علم بعرفة ، وذكره ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان ، وكان طوله ثلاثة أو أربعة أمتار تعلق عليه ليلة عرفة المصاييح ، ومن منافعها جذب الناس من منى وهداية التائبين ، ومنع هلاكهم أو لا أقل تفويت فرصة الوقوف على جبل عرفة بعد زوال يوم عرفة وقد بني في منتصف القرن السادس الهجري درجاً من أسفل الجبل إلى سطحه لتسهيل الصعود إلى سطح الجبل ، ومنع وقوع وضرر بعضهم .

ويرتفع جبل عرفة عن سطح البحر ٣٧٢م ، وارتفاعه عن الأرض التي تحيط به ٦٥م .

لماذا قال عيسى (ع) أحمد ولم يقل محمداً

لقد نزل القرآن بتسمية النبي محمد وهو اسمه المعروف عند الأجيال هو اسم (محمد) وقد ورد في القرآن أربع مرات في أربع آيات وهي :

الآية الأولى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

الآية الثانية : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران ١٤٤.

(٢) سورة الأحزاب ٤٠.

الآية الثالثة : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾^(١).

الآية الرابعة : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وجاءت سورة كاملة باسم سورة محمد .

ولم يرد اسم (أحمد) في القرآن إلا مرة واحدة في بشارة عيسى بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن الإعجاز أن النبي محمداً هو الذي تلا هذه الآية وأخبر عن نزولها من عند الله ، وترشحت عن بشارة عيسى بالنبي محمد توارث علماء وملوك النصراني لهذه البشارة .

كما في حديث سلمان الفارسي والراهب الذي كان يعظه ويرشده إذ قال سلمان (وخرجت معه يمشي واتبعه ، يذكر الله ، ولا يلتفت ولا يقف على شيء حتى إذ أمسى قال : يا سلمان صل أنت ونم ، وكل واشرب ، ثم قام هو يصلي إلى أن انتهى إلى بيت المقدس ، وكان لا يرفع طرفه إلى السماء حتى انتهينا إلى بيت المقدس .

(١) سورة محمد ٢.

(٢) سورة الفتح ٢٩.

وإذا على الباب مقعد قال : يا عبد الله ، قد ترى حالي فتصدق عليّ بشيء ، فلم يلتفت إليه ودخل المسجد ودخلت معه ، فجعل يتتبع أمكنة من المسجد يصلي فيها .

ثم قال : يا سلمان ، إني لم أنم منذ كذا وكذا ولم أجد طعم نوم ، فإن أنت جعلت لي أن توقظني إذا بلغ الظل مكان كذا وكذا نمت ، فاني أحب أن أنام في هذا المسجد وإلا لم أنم .

قال : قلت : فيأني أفعل . قال : فانظر إذا بلغ الظل مكان كذا وكذا فأيقظني إذا غلبتني عيني ، فنام فقلت في نفسي : هذا لم ينم منذ كذا وكذا وقد رأيت بعض ذلك ، لأدعنه ينام حتى يشتهي من النوم .

وكان فيما يمشي وأنا معه يقبل عليّ فيعظني ، ويخبرني أن لي رباً وأن بين يديه جنة وناراً وحساباً ، ويعلمني بذلك ويذكرني نحو ما كان يذكر القوم يوم الأحد حتى قال فيما يقول لي : يا سلمان ، الله تعالى سوف يبعث رسولاً اسمه أحمد يخرج بهتامة - وكان رجلاً أعجمياً لا يحسن أن يقول تهامة ولا محمد - علامته أنه يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم ، وهذا زمانه الذي يخرج فيه قد تقارب ، فأما أنا فإني شيخ كبير ولا أحسبني أدركه ، فإن أدركته أنت فصدقه واتبعه .

قلت : وإن أمرني بترك دينك وما أنت عليه؟ قال : وإن أمرك فإن الحق فيما يجيء به ، ورضا الرحمن فيما قال .

فلم يمض إلا يسير حتى استيقظ فزعاً يذكر الله تعالى فقال : يا سلمان ، مضى الفياء من هذا المكان ولم أذكر الله ، أين ما جعلت لي على نفسك؟ قال : قلت : أخبرتني أنك لم تنم منذ كذا وكذا ، وقد رأيت بعض ذلك فأحببت أن تشتهي من النوم فحمد الله .

فقام وخرج فتبعته فقال المقعد : يا عبد الله ، دخلت فسألتك فلم تعطني ، وخرجت فسألتك فلم تعطني ، فقام ينظر هل يرى أحداً فلم يره ، فدنا منه فقال : ناولني يدك ، فناوله فقال : قم بسم الله ، فقام كأنه نشط من عقل صحيحاً لا عيب فيه ، فخلى عن يده ، فانطلق ذاهباً فكان لا يلوي على أحد ولا يقوم عليه .

فقال لي المقعد : يا غلام ، أحمل على ثيابي حتى أنطلق وأبشر أهلي ، فحملت عليه ثيابه وانطلق لا يلوي عليّ .

فخرجت في أثره أطلبه ، وكلما سألت عنه قالوا : أمامك . حتى لقيني الركب من كلب فسألتهم ، فلما سمعوا لغتي أناخ رجل منهم بعيره فحملني ، فجعلني خلفه حتى بلغوا بي بلادهم .

قال : فباعوني فاشترتني امرأة من الأنصار فجعلتني في حائط لها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرت به ، فأخذت شيئاً من تمر حائطي فجعلته على شيء ، ثم أتته فوجدت عنده أناساً.....(الحديث^(١)).

ومنه حديث النجاشي ، وإقراره بنبوة محمد صلى الله وآله وسلم ليكون من معاني إرشاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه للهجرة إلى الحبشة ، شهادتهم على التاريخ ، بإقرار النجاشي بنبوته.

والمختار أن من وجوه وأسباب تسمية عيسى عليه السلام للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم باسم أحمد التورية والتقية من الذين كفروا ومن الحساد ، بالإضافة إلى قاعدة تعدد أسماء الرسل زيادة في المعنى وللإكرام ، وورد لعيسى اسم المسيح وابن مريم .

والملاك المعجزة لأن عيسى قيد البشارة بالرسالة والتي تصاحبها المعجزة
وسنن شريعة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العدد: ١٩/٢٨١٢
التاريخ: ٢٠١٩/١٢/٣

مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي
صاحباً أحسن تفسير للقرآن

**م/شآبيب^(١) إطفاء نائرة^(٢) المرقد بجهود ومتابعة من قبل سماحة
سماحة السيد مقتدى الصدر ومساوي مكتبنا ورؤساء العشائر
وأعيان النجف**

(١) الشآبيب من المطر : الدفعات ، وشآبيب الوجه : بريقه .

(٢) النائرة : العداوة والشحناء ، يقال اطفأ فلان النائرة ، وفتأ القدور الفائرة.

قال تعالى ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾

في ليلة يوم أمس الإثنين دخل الشيخ عبد الله على والده المرجع الشيخ صالح الطائي وأخبره بأنه اتصل بعدد من شيوخ وأعيان النجف الأشرف للذهاب إلى مكتب السيد الصدر لرجاء تدخل سماحة الحجة السيد مقتدى الصدر لإصلاح الحال ورفع الفتنة .

واتفق مع المكتب الخاص لسماحة السيد مقتدى الصدر على موعد اللقاء في الساعة الحادية عشرة من ظهر يوم ٢٠١٩ / ١٢ / ٢ فلم يخبر والده إلا بعد أتم المقدمات مع أنه لا يفصل بينه وبين والده سوى أربعة أمتار ، وباب مفتوح على مدار الساعة ، إذ يتخذ المرجع الطائي من غرفة نومه مكتباً له ، فبارك لهم ، قال تعالى ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ .

وقد صدرت بفيض من الله (١٩٢) جزء من تفسيره للقرآن الذي لم يشهد له تأريخ الإسلام مثيلاً ، وكله قوانين وعلوم مستحدثة ومسائل مستنبطة و يتوالى صدور الأجزاء على نفقته الخاصة بمشقة مع أنها من أفضل موارد الخمس .

وفي الموعد عند الساعة الحادية عشرة ذهب الشيخ عبد الله الطائي ومعه نحو خمسين من شيوخ وأعيان النجف الأشرف إلى المكتب الخاص لسماحة السيد مقتدى الصدر فاستقبلهم أحسن استقبال ، وقام أعضاء الوفد بالثناء على سماحة السيد مقتدى ودوره الوطني وأستحضروا ذكرى ومآثر السيد الأستاذ الشهيد الصدر ، وسألوا تدخل سماحة السيد مقتدى لوقف نزيف الدم ، ومنع زهوق الأرواح وحدوث الأضرار البالغة ، والفصل بين المتظاهرين ومرقد السيد الحكيم ، وتعاهد قدسية المدينة ، وأخبرهم المكتب بأنهم سينقلون طلب الذوات الكرام إلى سماحة السيد مقتدى "حفظه الله" .

وفي الساعة الثانية ظهراً اتصل المكتب الخاص لسماحة السيد مقتدى الصدر بمكتبنا وأخبرنا بأن سماحته أمر المعاون الجهادي بالتوجه إلى النجف واشترك ذوي القبعات الزرق في

التهدة والسعي الجاد لنشر الأمن باللف وأسابب المودة في عاصمة العلم النجب الأشرف ، وكانت بشارة وشاهداً على سنجية القيادة والإخلاص في خدمة العراق ، وأحطنا عدداً من الذوات الكرام الذين حضروا اللقاء بالأمر ، فأكثروا من الشاء على مكتبنا وكذا أطلعنا بعض الجهات ذات العلاقة .

وفي السابعة مساءً اتصل المكتب الخاص لسماحة السيد مقتدى الصدر وطلبوا حضور الشيخ عبد الله الطائي إلى إجتماع في المكتب مع المعاون الجهادي ، وعدد من قادة سرايا السلام ، فذهب مسرعاً كما حضر الإجتماع عدد من الشيوخ والوجهاء من الذين حضروا اللقاء الأول قبل الظهر ، وحضر مدير شرطة المحافظة ومساعدون له ، ونقيب المحامين ، وأحضروا عشرة من شباب ساحة التظاهر في النجب الأشرف على نحو عشوائي للإستماع إلى مطالبهم ، واتفقوا على حلّ مناسب لسلامة الشباب ، وعصمة الدماء ، وحفظ مرقد الشهيد محمد باقر الحكيم ، ومنع تأجج الشحاء .

ولأن المرجع الشيخ صالح الطائي قد اتصل في ذات اليوم بسماحة رئيس الهيئة العامة لتيار الحكمة مرتين ، وأطلعته ، وعلم منه رغبتهم الملحة لاستتباب الأمن وحقق الدماء ومباركتهم لهذه الجهود ، فقد زود ولده الشيخ عبد الله بان لا يتخذوا أي قرار بهذا الخصوص إلا بعد الإتصال بمكتب السيد الحكيم وموافقتهم ، لذا بادر الشيخ عبد الله الطائي وبحضور الجميع وأعلن بأنه يلزم الإتصال بمكتب السيد الحكيم وتولية المرقد ، ثم أشار إلى أحد الوجهاء المجتمعين وقال له : إنك على صلة واتصال مع السادة وتولية المرقد فاتصل واخبرهم بالحل الذي توصل إليه المجتمعون ، فاستحسن الجميع الرأي ، فاتصل وفتحت حاكية الهاتف ليسمع المجتمعون وابلغه بالحل الذي توصلوا إليه فآظهر موافقته ورضاه وشكرهم .

والإجماع على لزوم حقن الدماء، وإكرام الشباب ذكوراً وأنثاءً، قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

إِخْرُؤُ﴾ واتصل مكتبنا عصر أمس بالشيخ النائب أ.د. عبود العيساوي وأطلععه فاستبشر ، وبإادر صباح هذا اليوم الثلاثاء ١٢ / ٣ بالذهاب إلى السيد رئيس الجمهورية وأخبره بنافذة الحل المبارك ومقدماته وكيفيته ، وأبدى السيد الرئيس رغبته باللقاء بالشيوخ والأعيان الذين سعوا لهذا الحل يوم غد الأربعاء فاعتذروا لأنهم مشغولون بالتهذية والمنع من التصعيد وأسباب الفتنة من أول أيام الاحتجاجات .

نرجو التفضل بالدعاء والإلحاح به لإستمرار نعمة الهدوء والأمن ، ودفع ورفع الضرر ووقف نزيف الدم في العراق وعموم الأرض ، قال تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

ونتوجه في هذه المناسبة بالشكر الجزيل إلى سماحة الحجة السيد مقتدى الصدر وإلى عموم شباب العراق والحريصين على أمنه ووحدته وأراضيه ، وإلى القوى الأمنية الساهرة وإلى المتظاهرين الذين يطالبون بالحقوق بالصيغ السلمية ، ونؤكد على حرمة سفك الدماء والحرق وتلف الممتلكات العامة والخاصة ، وفي المادة ٢٧ من الدستور (للأموال العامة حرمة ، وحمايتها واجب على كل مواطن).

ونجدد حزننا وألمنا على سقوط الشهداء في الناصرية والنجف وبغداد ومواساتنا لأهلهم والشفاء للجرحي ، وليس المستأجرة كالتكلي ، وقد سقط بيد الإرهاب سنة (٢٠٠٥) الشيخ علي النجل الأكبر للشيخ الطائي.

يرجى دراسة تقديم هذه الوثيقة إلى منظمات حقوق الإنسان ، ومنظمة الأمم المتحدة وترجمتها، لتكون شاهداً لوجه من وجوه الإصلاح ، وبلغة في التقويم ، وصرف البلاء ، وفي

التنزيل ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ﴾.

ردود كريمة على بعض الأجزاء الأخيرة من هذا السفر المبارك

- ١- سماحة الإمام شيخ الأزهر.
- ٢- سماحة العلامة الشيخ أ.د. مفتي جمهورية مصر العربية.
- ٣- الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي.
- ٤- سيادة رئيس المحكمة الاتحادية العليا.
- ٥- سيادة القاضي رئيس الادعاء العام.
- ٦- سيادة القاضي رئيس هيئة الإشراف القضائي.
- ٧- سيادة رئيس مؤسسة الشهداء.
- ٨- الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب.
- ٩- كلية الإمام الاوزاعي للدراسات الإسلامية/ بيروت.
- ١٠- سعادة أ.د. مدير جامعة الملك فيصل/ المملكة العربية السعودية.
- ١١- سعادة أ.د. مدير جامعة كردفان/ الجمهورية السودانية.
- ١٢- سعادة أ.د. مدير الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة.
- ١٣- سعادة أ.د. رئيس الجامعة العراقية.

- ١٤- سعادة أ.د رئيس جامعة البصرة / العراق
١٥- سعادة أ.د. رئيس جامعة ذي قار / العراق.
١٦- سعادة أ.د. رئيس جامعة جدارا/ المملكة الأردنية الهاشمية.
١٧- سعادة أ.د. مدير جامعة الأمير عبد القادر/ الجمهورية الجزائرية.

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩ / ٥
٨ / ٩ / ٢٠٠٠

الأزهر
مكتبة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،.....

فلقد تلقيت بحمد الله رسالتكم الرقيقة وبها الجزء الحادي والخمسون في تفسير آية واحدة من سورة آل عمران من القرآن الكريم.
نتضرع إلى الله العلي القدير أن يلهمكم العلم النافع وان يجعله في ميزان حسناتكم.
وشكر الله لكم حسن عملكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر

محضره

(الدكتور/ محمد سيد طنطاوي،

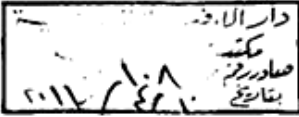
في: ١٣ من صفر ١٤٢٩ هـ

الموافق: ٢٠ من فبراير ٢٠٠٨ م

مصطفى عباس □

٦/١٩

بسم الله الرحمن الرحيم



المرجع الديني الشيخ/صالح الطائي

صاحب أحسن تفسير للقرآن وأستاذ الفقه والأصول والتفسير

والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،
فإنه ليسعدني أن أتقدم لسيادتكم بخالص الشكر والتقدير
والإحترام على تفضلكم بإهدائنا نسخة من الجزء الثاني والثمانين.
وأتمنى من الله أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية وأن يسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وان يوفقنا لما يحبه ويرضاه.
شاكرين لكم، ولكم تحياتي

أ. د. علي جمعة
مفتي جمهورية مصر العربية

ORGANISATION OF ISLAMIC COOPERATION
GENERAL SECRETARIAT
ORGANISATION DE COOPERATION ISLAMIQUE
SECRETARIAT GENERAL



OIC/CAB-01/2012 001010

جدة في: 23 FEB 2012

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي حفظه الله ورعاه
صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد،
فقد تسلمنا بيد الشكر والتقدير نسخة من كتاب "معالم الإيمان في تفسير
القرآن" الجزء التسعون- الآية ١٣٤ من سورة آل عمران، والذي تفضلتم
بإهدائه إلى معالي البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام
لمنظمة التعاون الإسلامي، ويشرفنا أن نتقدم إليكم بجزيل شكرنا على
جهودكم المتواصلة لتفسير أي الذكر الحكيم، فجزاكم الله عنا خير الجزاء
وبارك فيكم وفيما تقومون به من جهد مبارك خدمة للإسلام والمسلمين.

وتفضلوا بقبول وافر الشكر والتقدير.



مستشار الأمين العام



بسم الله الرحمن الرحيم

كو^٧ماري عيراق

داد كاي بالآي ئينتيجادي

العدد : ٥١ / مكتب / ٢٠١٩

التاريخ: ١٢ / ٥ / ٢٠١٩



جمهورية العراق

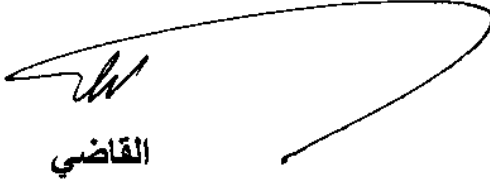
المحكمة الاتحادية العليا

مكتب رئيس المحكمة

سماحة الشيخ صالح الطائي المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

م/شكر وتقدير
تحية طيبة...

إشارة إلى كتابكم المرقم (١٩/١٠٣٥) المؤرخ ٢٠١٩/٥/٦.
تسلمنا ببالغ الإعزاز إهدائكم نسخة من كتابكم الموسوم ((معالم
الإيمان في تفسير القرآن، الجزء الثمانون بعد المائة)).
نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية.
مع فائق التقدير



القاضي

مدحت المحمود

رئيس المحكمة الاتحادية العليا

٢٠١٩/٥ / ١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد /
التاريخ / ٢٠١٩/



جمهورية العراق

مجلس القضاء الاعلى

رئاسة الادعاء العام

المكتب

مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي

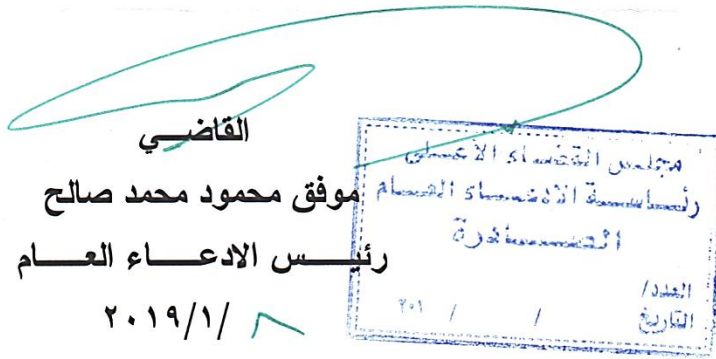
م/شكر

تحية طيبة

كتابكم ذي العدد ١٩/٢٣ المؤرخ في ٢٠١٩/١/٢.

استلمنا هديتكم (الجزء الخامس والسبعين بعد المائة من تفسير القرآن الكريم) ونقدم لكم شكرنا آمليين منكم المزيد من العطاء والتوفيق.

مع التقدير.



بسم الله الرحمن الرحيم

العدد / ٨ / مكتب / ٢٠١٩ / ١٧٩٣
التاريخ / ١٢ / ٥ / ٢٠١٩



جمهورية العراق
مجلس القضاء الأعلى
رئاسة هيئة الإشراف القضائي
مكتب رئيس الاشراف

الى / سماحة الشيخ (صالح الطائي) المحترم
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق

م / شكر وتقدير

تلقينا ببالغ الإعتراز كتابكم الموسوم ((معالم الإيمان في تفسير القرآن، الجزء الثمانون بعد المائة)).
وكانت الهدية بواسطة السيد ((عبد الله الشيخ صالح الطائي)).
نقدم شكرنا وتقديرنا متمنين لكم دوام الموفقية .
مع فائق التقدير .

القاضي
جاسم محمد عبود



رئيس هيئة الإشراف القضائي

٢٠١٨/١٢/١١

Arab League
Union of The Arab
Historians
General Secretary



جامعة الدول العربية
اتحاد المؤرخين العرب
الإمامة العثمانية

العدد: ١٥٣/ت
التاريخ: ٢٠ رمضان ١٤٣٩
الموافق: ٢٠١٨/٦/٥
هجري
ميلادية

إلى/ سماحة المرجع الديني للمسلمين الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
أستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
م/شكر وتقدير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :
وأسأل الله تعالى ان يوفقكم ويحفظكم ويرعاكم انه سميع مجيب الدعاء.
عزيزي سماحة الشيخ المحترم :

تسلمت مع بالغ الشكر وعظيم التقدير والإمتنان هديتكم القيمة والمتمثلة في
الأجزاء (١٦٠-١٦١-١٦٤) من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) ان ولوجكم في هذا
الميدان العلمي من التأليف في تفسير القرآن العظيم يعيد الى الأذهان ذكريات
أولئك المفسرين العظماء الكرماء الذين خلدهم التاريخ بإنجازاتهم العلمية الوفيرة
والنادرة ، وان هذا المؤلف الكبير هو من المؤلفات النادرة حقاً في هذا الزمن
الشحيح في علماء التفسير بحيث اعاد الأمل الى نفوس العلماء وطلاب العلم ،

بان ميدان التأليف في هذا الفن العلمي انما هو رافدٌ عظيم من روافد الفكر الاسلامي الخالد والذي نفتخر ونعتز به ، وأسأل الله تعالى ان يسبغ عليكم بوافر الصحة ونعمة العافية من اجل اكمال هذا المشروع العلمي الخالد كي نباهي به الأجيال وكي نؤكد لكافة المسلمين ان هذا الاسلام يظل منبع للعلم والعلماء من اجل ديمومة هذا العلم الخالد .

اكرر شكري وتقديري على كرمكم الأصيل باهدائكم هذه الاجزاء لنا ، وأسأله تعالى ان يستمر عطائكم وتأليفكم بانجاز هذا المشروع التاريخي الخالد . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مع

الأستاذ الدكتور محمد جاسم المشهداني

اتحاد المؤرخين

بسم الله الرحمن الرحيم

لعربي

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت في ٩/ربيع الأول/١٤٤٠هـ

الموافق ٢٤/١١/٢٠١٨م

سماحة المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تتقدم كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بأطيب تمنياتها، وتشكركم على الجزء (١٧١) الذي وصلنا من جانبكم من كتاب: "معالم الإيمان في تفسير القرآن" والذي يتضمن قراءة في آيتين من القرآن بما يدل على أن النبي (ص) كان لا يسعى إلى الغزو ولم يقصده ولم يدع إليه.

آملين الإستمرار في إرسال الأجزاء التي ستصدر منها مستقبلاً،
شاكرين لكم حسن تعاونكم الدائم معنا وداعين الله تعالى أن يوفقنا وإياكم
لما فيه خير الإسلام والمسلمين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
(037)



الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم
جامعة دمشق
{ ٠٣٧ }

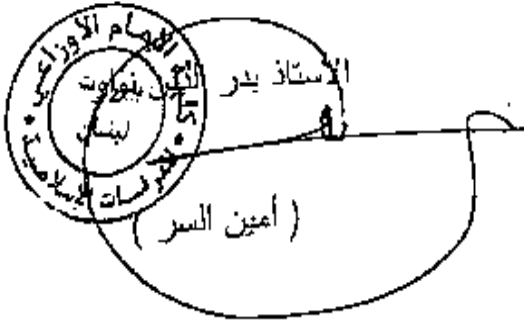
الموضوع:

الموقر

فضيلة الشيخ/ صالح الطائي
مكتب المرجع الديني وصاحب أحسن تفسير للقرآن
وأستاذ الفقه والأصول والتفسير والأخلاق
ص.ب - ٢١١٦٨ مملكة البحرين

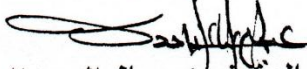
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
تلقيت بكل الثناء والتقدير خطاب فضيلتكم رقم ١٦/١٨٦١ وتاريخ
٢٠١٦/٥/٢٠م المرفق طيه نسخة من كتاب بعنوان "معالم الإيمان في
تفسير القرآن" الجزء الثاني والثلاثين بعد المائة.

يطيب لي ويسعدني
أشكر فضيلتكم جزيل
الشكر على إهتمامكم
المتواصل بتزويد إدارة
الجامعة بهذه النسخة ،
وستحال إلى مكتبة
الجامعة للإطلاع عليها،
سائلاً المولى جلّت قدرته
للجميع التوفيق والسداد.



وتقبلوا خالص تحياتي وتقديري،،،

مدير الجامعة



د. عبدالعزيز بن جمال الدين الساعاتي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة كردفان
UNIVERSITY OF KORDOFAN

Our Ref:
Date:

مكتب المدير
Vice Chancellor Office

المرجع: ... ج ك/م م/١٧/ح/٣
التاريخ: 2016/8/16م

السادة/ مكتب المرجع الديني

الشيخ صالح الطائي

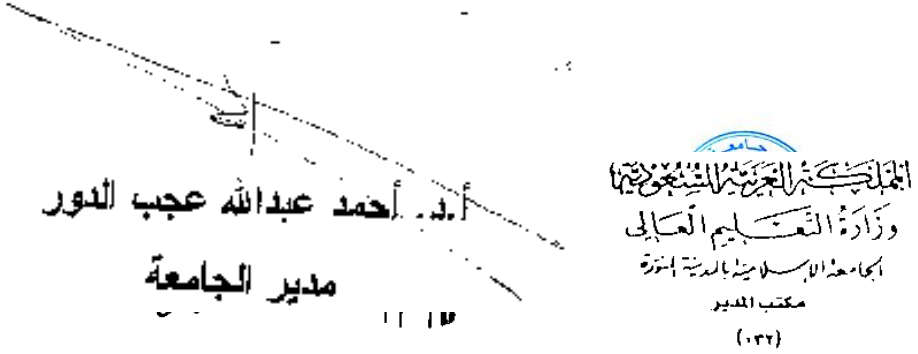
صاحب أحسن تفسير للقرآن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تهديكم جامعة كردفان أطيب التحايا ، وتغمرنا السعادة بالإصدارات التي تتوالى إلينا بانتظام من مكتب المرجع الديني في (معالم الإيمان في تفسير القرآن) والذي كان آخر هذه الإصدارات (الجزء السادس والثلاثين بعد المائة) والذي تشرفنا بإستلامه بموجب خطابكم رقم ١٦/١٥٣٥ الصادر في ٢٠١٦/٧/١٣م، وذلك إثراءً للمعرفة في مجال تفسير آيات القرآن، خدمة للباحثين والمهتمين بأمر التفسير القرآني، والتي أضحت متاحة في الأقسام المختصة بالمكتبات الأكاديمية في الجامعات ومراكز البحوث وجامعة كردفان تحظى بأعداد وافرة منها في مكتبها المركزية.

ختاماً لكم الشكر والعرفان على هذا الصنيع، نفعنا الله به، وأثابكم عليه خير الجزاء .

وتفضلوا بقبول فائق عبارات التقدير والإحترام



سلمه الله

معالي الشيخ/ صالح الطائي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،، وبعد

فأسأل الله لمعاليتكم العون والتوفيق، ويسرني إفادتكم بأني تلقيت بكل تقدير وإمتنان إهداءكم للجامعة نسخة من الجزء التاسع بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن).

وإنني إذ أتقدم لمعاليتكم بخالص الشكر والعرفان على هذا الإهداء، لأدعو الله العلي القدير أن يمدكم بعونه وتوفيقه، وأن يسدد خطاكم ويكمل أعمالكم بالنجاح إنه سميع مجيب يحفظكم الله ويرعاكم.

ولكم تحياتي وتقديري

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مدير الجامعة الإسلامية

أ.د / عبدالرحمن بن عبدالله السند

MINISTRY OF HIGHER EDUCATION
& SCIENTIFIC RESEARCH
THE IRAQIA UNIVERSITY
THE PRESIDENT OFFICE OF UNIVERSITY



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة العراقية
مكتب رئيس الجامعة

NO.:

DATE: / / 201

العدد: ٢٩٧ / ١
التاريخ: ٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م
١٤٣٧ / ١ / ١٠ هـ

المرجع الديني الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة...

نشكر مبادرتكم الطيبة بإهداءكم لنا نسخة من كتابكم الموسوم الجزء
الثلاثون بعد المائة من (معالم الإيمان في تفسير القرآن) سائلين الباري عز
وجل أن يوفقكم في مسيرتكم العلمية والعملية خدمة لبلدنا العزيز.
ومن الله التوفيق...

أ.د. علي صالح حسين

رئيس الجامعة العراقية

٢٠١٦ / ٤ / ١٠ م

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Basrah
Chancellor Office



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصرة
مكتب رئيس الجامعة

Ref.:

Date:

العدد : ٢٥١٧ / ٢٠١٩

التاريخ : ٢٠١٩ / ٩ / ٢٨

إلى / الشيخ صالح الطائي المحترم
صاحب أحسن تفسير للقرآن

م/شكر على إهداء

نهدىكم أطيب التحيات ،

تسلمنا مع بالغ الاعتراز والتقدير من خلال اهداءنا نسخة من الجزء السادس والثمانين
بعد المائة التي تبين الصلة بينها وبين الآية (١٨١) في كتاب القرآن الكريم ، شاكرين تواصلكم معنا
متمنين لكم المزيد من النجاح وبلدنا العزيز .

مع التقدير .

الاستاذ الدكتور
سعد شاهين حمادي
رئيس الجامعة وكالة
٢٠١٩/٩/٢٩





إلى / مكتب المرجع الديني الشيخ صالح الطائي
صاحب أحسن تفسير للقرآن

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا...

باعتراز بالغ واعجاب شديد بالجهود الكبيرة لسماحة آية الله
العظمى الشيخ صالح الطائي (دام ظله) في تفسير كتاب الله
العظيم من خلال تلقينا اهداءكم المبارك للجزء (١٣٢، ١٣٣،
١٣٤) من معالم الإيمان في استظهار كنوز من كتاب الله المجيد،
سائلين المولى عز وجل ان يوفق الشيخ الجليل لما فيه خير الدنيا
والآخرة وخدمة الإسلام والمسلمين .

والله اعلم
بما نزل به الرسل من ربهم

أ. د. رياض شنته جبر
رئيس جامعة ذي قار
٢٠١٦/٦/٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

Jadara University
Office of the President



جامعة جدارا
مكتب الرئيس

Ref.:

الرقم ١١٦٠٨/٤ ٧٦٩

Date: _____

التاريخ ١٦٠٢ هـ

الموافق ٥ - تموز ١٩٤٢

سيادة الأخ الشيخ صالح الطائي المحترم

صاحب أحسن تفسير للقرآن الكريم

وأستاذ الفقه والأصول والأخلاق

بكل فخر واعتزاز تلقيت رسالتكم الموقرة التي تحمل العدد (٥٣٢) تاريخ ٢٦/٥/٢٠١٢م، ومرفقها الجزء التسعون من التفسير في الآيات (١٣٣) من سورة آل عمران.

وانني إذ أشكركم جزيل الشكر وعظيم الإمتنان على اهدائكم هذا، سائلاً المولى عز وجل أن يديم عليكم نعمة الصحة والعافية، وأن يجعلكم سنداً وذخراً للأمة الإسلامية متمنياً لكم كل التقدم والازدهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجامعة
أ. د محمد الطعانه

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



رئاسة الجامعة

قسنطينة في: 25/03/2015

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

رقم 498... / ر.ج / 2014

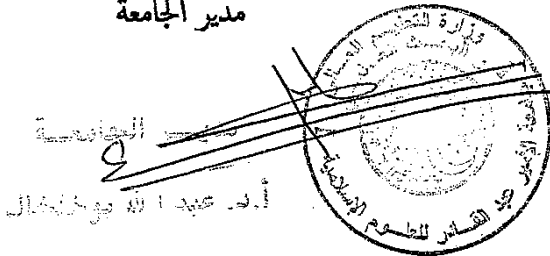
إلى السيد المحترم / مكتب المرجع الديني
الشيخ صالح الطائي صاحب أحسن تفسير للقرآن
تحية طيبة وبعد :

تلقينا نحن أ.د/ عبدالله بو خلخال مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية قسنطينة، هديتكم القيمة المتمثلة في كتاب (معالم الإيمان في
تفسير القرآن) الجزء الثالث عشر بعد المائة.

وإذ نعبر لكم عن شكرنا على هذه الإلتفاتة الكريمة، نهديكم نحن بدورنا
نسخة من مجلة الجامعة العدد ٣٣ ونسخة من نشرة أخبار الجامعة.

تقبلوا فائق الاحترام والتقدير.

مدير الجامعة



الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	١٧٥	قانون كثرة أسماء القرآن مانع من الإرهاب
١٧	من هم (قانون كانوا غزى)	٢١٧	أول من أسلم
٢٤	اصطلاح جديد وقف معنى	٢٢٠	قريش قبل الإسلام
٣٤	الصيام المندوب	٢٢٢	معجزات ميلاد النبي (ص)
٦٥	كتيبة السويق	٢٣١	كتيبة بني المصطلق
٦٩	قانون رشحات معركة بدر	٢٣٥	أسباب كتيبة بني المصطلق
٧٣	خلو القرآن من لفظ السيف معجزة	٢٦١	الآيات القرآنية التي نزلت بخصوص معركة بدر
٩١	قانون بيت النبي هو المسجد	٢٦٧	أسماء المهاجرين على الحبشة
٩٧	قانون معجزات النبي في كل كتيبة	٢٧٥	قراءة في أسماء القرآن
١٠٦	من إعجاز القرآن	٢٧٩	في النيابة على المدينة
١١٠	أسماء قتلى المشركين يوم أحد	٢٨١	سبحان الذي يسمع كل صوت
١١٦	المشورة يوم بدر	٢٨٦	قانون سمع الله لمن حمده
١١٨	إعداد المشركين سنة كاملة لمعركة أحد	٢٨٩	سكن هاجر وإسماعيل مكة بشارة النبوة
١٢٢	الصلوة طرد لمفاهيم الشرك	٢٩٤	لماذا قال عيسى (ع) أحمد ولم يقل محمداً
١٣٤	كتيبة النبي إلى دومة الجندل	٢٩٧	شآبيب إطفاء نائرة المرقد بجهود ومتابعة من قبل سماحة السيد مقتدى الصدر ومساعي مكتبنا ورؤساء العشائر وأعيان النجف
١٦٠	من جهاز غازياً	٣٠١	ردود كريمة

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٣٩٥٢ لسنة ٢٠١٩